

محمد زکریا الخراوی

۱۲۷۶

مَجَانِي الْأَدَبِ

في

حَدِيقِ الْعَرَبِ

عُنيَ بجمعه وضبطه وتصحيحه

الأب لويس شينغو اليسوعي

الجزء الثالث



طبعة ثامنة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٠

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الحليّة ١٧٢

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّدْنِي

فِي كَلَامِهِ تَعَالَى

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى خَالِقُ الْأَعْيَانِ
وَالْأَنْوَارِ . وَمَكْشُورُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . الْعَالَمُ بِالْحَقِيقَاتِ .
وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ . سِوَاهُ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
الْلطِيفُ الْخَبِيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمَشِيئَتِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعِينٌ . وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ . لَا
تَلْزَمُهُ لَمْ . وَلَا يُجَاوِرُهُ أَيْنَ . وَلَا تُلَاصِقُهُ حَيْثُ . وَلَا تُعَدُّهُ كَمَ . وَلَا
تُحْصِرُهُ مَتَى . وَلَا تُحِيطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ . وَلَمْ تَقْتَهُ بَعْدُ . وَلَمْ
تَجْمَعْهُ سِوَى كُلِّ . وَصْفُهُ لَا صِفَةَ لَهُ . وَكَوْنُهُ لَا أَمَدَ لَهُ . وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ
وَالْأَصْوُرُ . وَلَا تُغَيِّرُهُ إِلَّا نَارُ وَالْغَيْرِ . وَلَا تُجُوزُ عَلَيْهِ الْمَأْسَةُ وَالْمُقَابَرَةُ .
وَلَتُسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْمُخَاذَاةُ وَالْمُقَابَلَةُ . إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ
الْمَكَانَ وَجُودَهُ . لَمْ يَقْتَرِفْ وَجُودَهُ إِلَى أَيْنَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ غَنِيٌّ
بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَأُ . وَإِنْ
قُلْتَ : مَا هُوَ . فَلَا مَا هِيَ لَهُ (مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِنْسِ . وَالْقَدِيمِ

تَعَالَى لَا جِسْرَ لَهُ) وَإِنْ قُلْتَ: كَمْ هُوَ. فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ. مُتَفَرِّدٌ
بِصِفَاتِهِ. وَإِنْ قُلْتَ: مَتَى كَانَ. فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتَ كَوْنُهُ وَإِنْ قُلْتَ:
كَيْفَ هُوَ. فَمَنْ كَيْفَ الْكَيْفِيَّةُ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ. وَمَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ
الْكَيْفِيَّةُ جَارَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ. وَإِنْ قُلْتَ: هُوَ فَلَهُاءُ وَالْوَاوُ خَلَقَهُ. فَمَا تُصَوِّرُ
فِي الْأَوْهَامِ. فَهُوَ بِخِلَافِهِ. وَلَا تَمَثِّلُهُ الْعُيُونُ. وَلَا تُخَاطِبُهُ الظُّنُونُ.
وَلَا تُصَوِّرُهُ الْأَوْهَامُ. وَلَا يُحِيطُ بِهِ إِلَّا فَهَامُ. وَلَا تُقَدِّرُ قَدْرَهُ إِلَّا يَامُ.
وَلَا يَخْوِيهِ مَكَانُ. وَلَا يُقَارَنُهُ زَمَانُ. وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدُ. وَلَا يَجْمَعُهُ
عَدَدُ. قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ. وَبَعْدُهُ إِهَانَتُهُ. عَلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ. وَغِيْبُهُ مِنْ
غَيْرِ تَقَلُّلٍ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ. وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ.
الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَمَا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوک لاطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ. وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ.
وَيَا مُجِيرَ الضَّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْمَلَكِي. وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ. وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ. وَخَفِيفُ
الشَّجَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ. يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْمَوَسِينِ
لَا مُتَكِلِينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَهِدْتَهُمْ وَغَايَبْتَهُمْ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ.
وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ. وَأَنَا إِلَيْكَ مَلْهُوفٌ. إِذَا أَوْحَشَتْنِي الْعُرْبَةُ

آتَسْنِي ذِكْرَكَ . وَإِذَا أَكَبْتُ عَلَى الْغُيُومِ لَجَأْتُ إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ .
 عَلِمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِكَ . فَأَقَانِي
 إِلَيْكَ مَغْفُورًا لِي مَعْصُومًا بِطَاعَتِكَ بَاقِي غَمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَمِنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظُ فَلَسِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُوَافَقَةِ الْحَقِّ أَتِبَاءَ وَجْهِكَ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . وَارْزُقْنِي الْعِلَظَةَ وَالشَّدَّةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدُّعَارَةِ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتِدَاءَ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي شَجِيجٌ فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمُرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِنَاءٍ وَلَا سَمْعَةٍ . وَاجْعَلْنِي أَتْبَغِي بِذَلِكَ وَجْهِكَ
 وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ وَلَيْنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ فَالْهَمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرُ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي
 الشَّاطِطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ ثَلِّثْنِي بِالْيَقِينِ وَالْيَرِّ وَالْتَّقْوَى وَذِكْرُ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَالْحَيَاءِ مِنْكَ . وَارْزُقْنِي الْحُشُوعَ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي وَالنَّحَاسَةَ لِنَفْسِي
 وَإِصْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أُحْتَجَبُ بِشُعَاعِ نُورِهِ
 عَنْ نَوَاطِرِ خَلْقِهِ . يَا مَنْ تَسَرَّبَلُ بِالْجَلَالِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَاشْتَهَرَ بِالتَّجَبُّرِ فِي
 قُدْسِهِ . يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكِبْرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ جَدِّهِ . يَا مَنْ أَنْفَادَتْ

الْأُمُورُ بِأَزْمَتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ ، يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بِحُجَبَاتٍ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيْنَ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحَلْقِهِ . يَا مَنْ
 أَنْارَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمَظْلِمِ بِطُفْعِهِ . يَا مَنْ أَنْارَ الشَّمْسِ
 الْمُنِيرَةِ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحَلْقِهِ . وَجَعَلَهَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِشَرِّهِ سَحَابٍ نَعِيمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ الدِّرِّ مِنْ
 عَرْشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتَهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِينَ حَوْلَ
 عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ يَا الْأَسْمَاءَ الَّتِي تَجَلَّيْتَ بِهَا لِلْكَلِيمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شُعَاعُ نُورِ الْخُجُبِ مِنْ بَهَاءِ الْعَظَمَةِ خَرَّتِ الْجِبَالُ
 مُتَدَكِّكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ يَا اسْمَ الَّذِي فَتَقَتْ
 بِهِ رَتَقَ عَظِيمٍ جُفُونِ الْعُيُونِ لِلنَّاظِرِينَ . الَّذِي بِهِ تُدِيرُ حِكْمَتَكَ
 وَشَوَاهِدُ نَحْجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَصْرِفَ عَنِّي وَأَهْلَ حُرَانِي
 وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ الْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشَّكَّ وَالْكَفْرَ وَالنِّفَاقَ وَالشَّقَاقَ
 وَالضَّلَالَةَ وَالْجَهْلَ وَالْمُتَّ وَالنَّغْصَ وَالْعُسْرَ وَالضِّيقَ وَفَسَادَ الصَّبْرِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَغَلَبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ بِمِيعِ الدُّعَاءِ
 لَطِيفٌ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المنادة

٥ يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّمَاءِ . يَا دَائِمَ الْبَقَاءِ . يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ .
يَا عَالِمَ الْغُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ الْعُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
الْكُرُوبِ . يَا فَاتِقَ الصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ النَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّتَاتِ .
يَا مُنْشِرَ الرُّفَاتِ . يَا قَالِقَ الصُّبْحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيحِ . فَجَرَّاعَ
الرَّوَّاحِ . يُجَلِّنُ فِي النُّوَاجِي . يَا هَادِيَ الرَّشَادِ . يَا مُلَوِّمَ السَّدَادِ .
يَا رَازِقَ الْعِبَادِ . يَا مُجَبِّي الْبِلَادِ . يَا مُطْلِقَ الْأَسِيرِ . يَا قَاهِرَ الْكَبِيرِ .
يَا مُغْنِيَ الْفَقِيرِ . يَا غَازِي الصَّغِيرِ . يَا مَالِكَ النُّوَاجِي . مِنْ طَائِعِ
وَعَاصٍ . مَا عَنْهُ مِنْ مَنَاصٍ . لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصٍ . أَجْرٍ مِنْ الْحُجَّيمِ .
مِنْ هَوَاهَا الْعَظِيمِ . مِنْ عَائِشَهَا الذَّمِيمِ . مِنْ حَرَّهَا الْهَيْمِ . أَسْكِنِي
أَجْنَانًا . بَلِّغْنِي الْأَمَانَا . فِي مَنْزِلِ تَعَالَى . بِالْحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِالنُّورِ قَدْ
تَلَالَا . أَلْقَى بِهِ الْجَلَالَا (ديوان علي)

٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ سَمِعْتُ غُلَامًا يُحَدِّثُ رَبَّهُ بِأَيَّاتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ:
يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلَا رِزْقِ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
يَا مُسْنِعَ الْبَرِّ الْخَزِيلِ وَمُسْنِلَ السِّرِّ الْجَمِيلِ عَيْمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْوَعْدِ الْوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُحْصِيَ أَثْنَاءُ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرُ وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِجَلَمِكَ قَائِلُ
رَبِّ يَرْبِّي الْعَالَمِينَ بِرَبِّهِ وَتَوَالَهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تَقْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ فُحُوكَ دَائِمًا مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسَاهِلُ
 مُتَقَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ بِقَبَاحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ
 وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْخُلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْأَمِلُ
 وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النُّجَاةِ فَأَلْهَمَا سَبَبٌ وَلَا يَدْنُو لَهُ مُتَاوِلُ
 يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافَةِ الْفَرَجُ الَّذِي لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
 يَأْمُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مَنْ يَسْعَى إِلَى أَبْوَابِ غَيْرِكَ فَهُوَ غَرٌّ جَاهِلُ
 وَمَنْ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْجَا أَحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلُّ زَائِلُ
 رَأْيِي يُلِمُ إِذَا عَرَّتْهُ مُلَمَّةٌ بِسِوَى جَنَابِكَ فَهُوَ رَأْيِي مَا نِلُ
 عَمَلٌ أُرِيدُ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ عَمَلٌ وَإِنْ زَعَمَ الْمُرَائِي بَاطِلُ
 وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيْنٌ وَإِذَا حَصَلَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ
 أَنَا عَبْدٌ سَوْءٌ آتَى كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَوْزَارَ الْكِبَارِ حَامِلُ
 قَدْ أَهْلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ صُحُفِي الْعُيُوبُ وَسِتْرُ عَفْوِكَ شَامِلُ
 هَاقْدًا أَتَيْتُ وَحَسَنُ ظَنِّي شَافِي وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلُ
 فَانْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَأَرْزُقْهُ نَوًى فِيمَا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلِكَ كَامِلُ
 وَأَفْعَلُ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ وَأَظُنُّ كُلَّ الظَّنِّ أَنَّكَ فَاعِلُ
 ٧ قَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الزُّمَرِيُّ :

يَا مَنْ تَحُلُّ بِذِكْرِهِ عَقْدُ النَّوَابِ وَالشَّدَايِدُ
 يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَإِلَيْهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدُ
 يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ صَدْدًا تَنْزَعُ عَنْ مُضَادِّدُ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعَبَا دِ وَأَنْتَ فِي الْمَلَكُوتِ وَاحِدٌ
 أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا أُنْبِئْتُ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيَّ شَاهِدٌ
 إِنَّ أَلْهُومَ جِيُوشَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ قَلْبِي تُطَارِدُ
 فَرَجَ بِحَوْلِكَ كُرْبَتِي يَا مَنْ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدِ
 فَتَحْنِي لُطْفَكَ يُسْتَعَاذُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمُعَانِدِ
 أَنْتَ الْمُسِيرُ وَالْمُسَبِّبُ وَالْمُسَهِّلُ وَالْمُسَاعِدُ
 سَبِّبْ لَنَا فَرَجًا قَرِيبًا يَا إِلَٰهِي لَا تُبَاعِدُ
 كُنْ وَاحِدِي فَلَقَدْ يَأْسَتْ مِنْ الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ
 وَعَلَى الْعِدَى كُنْ نَاصِرِي لَا تُشْمِتْنِي بِیَ الْحَوَاسِدِ
 يَا ذَا الْجَلَالِ وَعَافِنِي مِمَّا مِنَ الْبَلَوَى أَكَّابِدِ
 وَعَنْ أَلْوَرَى كُنْ سَائِرًا عَنِّي بِفَضْلِ مِنْكَ وَارِدِ
 يَا رَبِّ قَدْ صَافَتْ بِي أَلْ أَحْوَالُ وَأَغْتَالَ الْمُعَانِدِ
 فَأَمْنُنْ بِنَصْرِكَ عَاجِلًا فَضْلًا عَلَى كَيْدِ الْحَوَاسِدِ
 هَذِي يَدِي وَبَشِدَّتِي قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدِ
 فَلَكُمْ إِلَٰهِي قَدْ شَهِدْتُ بِفَيْضِ لُطْفِكَ مِنْ عَوَائِدِ

محبة الله والثقة به

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنُ إِسْطَاطٍ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى
 عُقْبَةِ الْعَابِدَةِ الصُّرُورَةِ وَكَانَتْ قَدْ تَعَبَّدَتْ وَبَكَتْ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ
 حَتَّى عَمِيَتْ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: مَا أَشَدَّ أَلْعَمَى عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا. فَسَمِعَتْ غَمِيرَةٌ قَوْلَهُ فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمَى الْقَلْبَ عَنْ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا. وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
مَحَبَّتِهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا (للبيهقي)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مُتَغَزِّلًا فِي حَبِّهِ تَعَالَى:

هَجَرْتُ الْخُلُقَ طَرًّا فِي رِضَاكَ وَنَيْمْتُ الْعِيَالِ لِكَيْ أَرَكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا لَمَّا حَنَّ الْفَوَادُ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تَرَابٍ وَبِتُ مَجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَوْنِي أَصِحَّابِي وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ
قَالَ آخَرُ يَصِفُ عَابِدًا:

مَا زَالَ يَخْتَفِرُ الدُّنْيَا بِهَيْمَتِهِ حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْآخِرَى بِهِ هِمَّةٌ
رَثَ الْبَلَّاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَرٌ فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ لِسِمَّةِ
طُوبَى لِعَبْدٍ يَجْهَلُ اللَّهَ مُعْتَصِمٌ عَلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّبِيِّ:

يَا طَالِبَ الطِّيبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْدَّاءِ
هُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَاقِبَةِ لَأَمْ مَنْ يُذِيبُ لَكَ التَّيْرِيَّاقَ فِي الْمَاءِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

لَيْتَكَ لَيْتَكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَأَرْحَمُ عِبِيدًا إِلَيْكَ مَلْجَأُ
يَا ذَا الْمَعَالِي عَلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرْقَا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرُ مِنْ حَيِّهِ لِمَوَلَاهُ
إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَفْيٍ وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْنَاهُ
صَوْتَكَ تَشَاقُّهُ مَلَائِكَةُ فَذَنْبَكَ الْآنَ قَدْ غَفَرْنَاهُ
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مَا تَمْنَاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
سَلْنِي بِلاَ خَشْيَةٍ وَلَا ضَجَرٍ وَلَا تَخَفٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُ

١٠. أَوَّلُ مَقَامَاتِ الْإِنْتِبَاهِ هُوَ الْبَقَّةُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ . ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ
الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ . ثُمَّ الْوَرَعُ وَالْتِهَاسُ لَكِنْ وَرَعُ أَهْلِ
الشَّرِيعَةِ عَنِ الْحَرَمَاتِ وَوَرَعُ أَهْلِ الطَّائِفَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ . ثُمَّ الْحَاسِبَةُ
وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي
نَوْعِهِ . ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرِّغْبَةُ فِي نَيْلِ الْمُرَادِ مَعَ الْكَدِّ . ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ
تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّبَرُّعُ عَنْ غَيْرِ الْمَوْلَى . ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ تَخَايَةُ الْقَلَابِ
عَمَّا خَلَتْ عَنْهُ أَلْيَدُ . وَالْفَقِيرُ مَنْ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ . ثُمَّ
الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حُلُّ النَّفْسِ
عَلَى الْمَكَارِهِ . ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشَّكْوَى وَقَعِ النَّفْسِ . ثُمَّ الرِّضَا
وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبُلُوَى . ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخَلْقِ عَنْ مُعَامَلَةِ
الْحَقِّ . ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الْاعْتِمَادُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
مَعَ الْعَالَمِينَ بَانَ الْخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ (لباء الدين العاملي)

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

يَا رَبُّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي عَمْرِنَا مَدَدًا .
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا . فَالْنَفْسُ تَعْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا .
الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمَلَى عَلَيْنَا أَعْرَاجِي يُقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ . وَيَقْطَعُ الْعَمَلُ .
أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ وَعَلَى الْفَقْرِ وَغَمَّتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَتِهِ وَعَلَى
الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عِزًّا لَا
تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا . اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتَ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ
إِلَيْهِ يَا رَبُّ تَطَاهَرْتُ عَلَى مِنْكَ النِّعَمُ . وَتَدَارَكْتُ عِنْدَكَ مِنِّْي الذُّنُوبُ .
فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَطَاهَرْتُ وَاسْتَفْرَكْتُ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ .
أَمْسَيْتُ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا . اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا ابْتَلَيْتَهُمْ
صَبَرُوا . وَإِذَا أَذْكُرْتَهُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْ بَابًا . لَا فَاجِرَ أَوْ لَا
مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا أَرْدَادُوا وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا .
اللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ
مَا تُحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُبْحَتِي . وَتَعْجِزُ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْعُوكَ
دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ . مُتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ . ضَائِبِينَ عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ

ضَعِيفٌ وَمُنْتَهَ عَاجِزَةٌ . قَدِ انْتَهَتْ عُدَّتُهُ . وَخَلَقْتَ جِدَّتُهُ . وَتَمَّ ظُهُوهُ .
 اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ . وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
 طُولِ النَّسِيَةِ . وَحُسْنِ التَّبَاعَةِ وَتَشْنِجِ الْعُرُوقِ وَإِسَاعَةِ الرِّيقِ وَتَأَخُّرِ
 الشَّدَايِدِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلَالِ إِلَّا لَكَ . وَأَعُوذُ
 بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَعْرُورًا . وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ . وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيَةِ الرَّجَاءِ (لابن عبد ربه)

١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْأَقْلَيْشِيِّ مُسْتَعْظِمًا :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُحَايِفٌ
 قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغَيْرَةً وَلَمْ يَنْهَ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفٌ
 تَرِيدُ سُنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضَلَّةً فَهِيَ هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفٌ
 تَطْلَعُ صُبْحُ الشَّيْبِ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ فَمَا طَافَ مِنْهُ مِنْ سَنَى الْحَقِّ طَائِفٌ
 ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّى كَأَنَّهَا حُلُومٌ تَقَضَّتْ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفٌ
 وَجَاءَ الشَّيْبُ الْمُنْدِرُ الْمَرءَ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَأَلَّفُ
 فَيَا أَحْمَدُ الْخَوَّانُ قَدْ أَدْبَرَ الصَّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفٌ
 فَهَلْ أَرَقَ الطَّرْفُ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفٌ
 فَجَدَّ بِالْذُّمِّ الْحَمْرُ خُرْنَا وَحَسْرَةٌ قَدَمُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفٌ
 قَالَ آخِرُ :

إِلَهَ الْخَلْقِ قَدْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي فَسَاحِ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكِ

أَجْرِيَا سَيِّدِي عَبْدًا فَقِيرًا أَنَاخَ بَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَإِنِّي لَا دَعْوَى لِلَّهِ أَسْأَلُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفُو وَيَغْفِرُ
لِمَنْ أَعْظَمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصْغُرُ

١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْخَطِيبِ مُسْتَعْفِرًا :

يَا مَنْ يَدِي مَا فِي الصَّبِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُسْتَكِي وَالْمَفْرَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمَنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى قَهْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالْإِقْتِنَارِ إِلَيْكَ قَهْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَهْرِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَمَنْ رُدِدْتُ قَائِي بَابِ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يَمْنَعُ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ يَقْطَعَ عَاصِيَا أَلْفُضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

١٤ قَالَ ابْنُ الْقَرَضِيِّ :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَنْبَغْ عَنْكَ عَيْبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهَوَّ رَاجٍ وَخَافِفُ
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّخَافُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلُمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ ذَوُوالْقُرْبَى وَيَجْهَوُ الْمَوَالِفُ
لِمَنْ صَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي قَائِي لَتَالِفُ

العالم العقلي

١٥ مِنْ التَّلَوِيحَاتِ عَنْ أَفْلَاطُونِ الْأَلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَبُّمَا خَلَقْتُ نَفْسِي
كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ . وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَجْرَدَةِ عَنْ
الْمَادِّيَّاتِ . وَخَلَعْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصِرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلا بَدَنٍ عَارٍ عَنِ
الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ . فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَغِصِلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
فِيمَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . فَحِينَئِذٍ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ
وَالْبَهَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحُسَيْنِ الْقَرِيبَةِ الْعَجِيبَةِ الْأَيُّقَةِ مَا أَبْقَى مَعَهُ
مُتَّعِجًا حَيْرَانًا بَاهِتًا . فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ
الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ . وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَّالَةٍ . ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحَضَرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ . فَصِرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ
فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النُّورِيَّةِ . فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذَلِكَ
الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْبَهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَقْدِرُ الْأَلْسُنُ
عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَقْشِهِ . فَإِذَا اسْتَغْرَقَنِي ذَلِكَ الشَّانُ
وَقَلْبِي ذَلِكَ النُّورُ وَالْبَهَاءُ وَلَمْ أَقْوَعَلِ احْتِمَالَهُ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
عَالَمِ الْفِكْرَةِ . فَحِينَئِذٍ حَجَبَتِ الْفِكْرَةُ عَنِّي ذَلِكَ النُّورَ فَأَبْقَى مُتَّعِجًا أَنِّي
كَيْفَ اتَّحَدَرْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ . وَعَجِبْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مُمْتَلِئَةً
نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا . فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرِيُوسٍ حَيْثُ
أَمَرَنَا بِالطَّلَبِ وَالتَّجَسُّصِ عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ الشَّرِيفِ وَالْإِرْتِقَاءِ إِلَى
الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ .

(لبهاء الدين)

أَلْبَابُ الثَّانِي فِي الزَّهْدِ

فِي الْخَوْفِ

١٦ قَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْأَخْلَاصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ فَاصْكِينَ . وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ شُرُورَهُمْ مَا مَوْنَهُ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً . لِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَفَّوْا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجَارُونَ إِلَى رَبِّهِمْ : رَبَّنَا رَبَّنَا . يَطْلُبُونَ فَكَاكِرِيقَهُمْ . وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَّةٌ أَتَقِيَاءُ كَانَهُمْ الْقِدَاحُ (الْقِدَاحُ السِّهَامُ يُرِيدُ فِي ضَمِّهَا) . يَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّاطِرُ قِيُولُ : مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضَى . (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) فِي مَجَالِسِ الزَّهْدِ إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ مَثَلًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا . فَهُمْ أَنْصَاءُ عِبَادَتِهِ . حُلَقَاءُ طَاعَتِهِ . قَدْ فَصَّحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَافْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي مَحَارِبِهِمْ . يُنَاجُونَ ذَا الْكِبَرِيَاءِ وَالْعِظَامَةِ فِي فَسَاكِرِيقِهِمْ

زهد النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ الَّذِي بَنَى الْخَوَرْتَقَ وَالسَّيْدِرَ أَشْرَفَ عَلَى الْخَوَرْتَقِ يَوْمًا فَاعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّعَةِ وَنَفُوذِ

الْأَمْرَ وَإِقْبَالَ الْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَصْحَابِي : هَذَا الَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ : بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسُرِرْتَ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّةٌ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ . قَالَ : فَأَيْنَ الْمَرْبُ . قَالَ : إِمَّا أَنْ تُفِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتُلْحَقَ بِجَبَلٍ تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَتَفَرَّقُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا قَعَلْتُ ذَلِكَ فَمَا لِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقُمُ . وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا بَيْنِي وَاللَّهِ لَا أَطْلُبَنَّ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا . فَأَتْلَحَّعُ مِنْ مُلْكِهِ وَلَيْسَ إِلَّا أَمْسَاحٌ وَسَاحٌ فِي الْأَرْضِ . وَتَبِعُهُ الْحَكِيمُ وَجَعَلَا يَسِيحَانِ وَيَعْبُدَانِ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا . وَفِيهِ يَقُولُ عَدِي بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَرِ نَقِي إِذَا أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهَدَى تَفَكُّيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَابْتِجَرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدُ
فَارْعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ فَمَا غِبْطَةُ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنَّعْمَةِ وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ مَ فَأَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالْدُّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

١٨ رُوِيَ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَصِدًّا وَمَعَهُ عَدِي بْنُ زَيْدٍ

قُرْأَ الشَّجَرَةَ . وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيَحْدِثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُؤَفٍّ عَلَى قُرْبٍ ذَوَالٍ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكَبٍ قَدْ أَتَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ بِالمَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قَدُمٌ وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمِرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ أَمِنُوا دَهْرَهُمْ غَيْرَ وَجَالٍ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَقْرَضُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَدَحَالٍ

قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ قُرْأَ الْمُقْبِرَةَ . فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمُقْبِرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرُّكْبُ الْخَبِيرُ نَ عَلَى الْأَرْضِ أَلْهَجِدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا وَكَمَا كُنْ تَكُونُونَا

فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمُقْبِرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظَمِي فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَا السَّبِيلُ الَّذِي تُدْرِكُ بِهِ النُّجَاةَ . قَالَ : دَعِ عِبَادَةَ الْأَوْتَانِ وَاعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ . قَالَ : وَفِي هَذَا النُّجَاةَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكْ عِبَادَةَ الْأَوْتَانِ وَتَنَصَّرَ حَيْثُ نَزَلَ وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِجْتِهَادِ (للطرطوشي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوْلُمَا

١٩ (مِنْ الْمُنْهَجِ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ يَوْدَاعٍ . وَإِنَّ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَقَتْ بِإِطْلَاعٍ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ . وَغَدَا
السِّبَاقَ وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةُ وَالْعَايَةُ النَّارُ . أَفَلَا تَأْتِي مِنْ خَطِيئَتِهِ . قَبْلَ مَنِيَّتِهِ .
أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ يُوسَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأْيِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَقَدْ خَسِرَ
عَمَلُهُ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ . كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرِ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ خَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَتَّقُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُرْتُمْتُمْ بِالظُّلْمِ . وَذُلُّتُمْ عَلَى
الزَّادِ . وَإِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَتَّبِعُ الْهُوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .
تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا

٢٠ (عَنْ تَوْفِي الْبِكَالِيِّ) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا تَوْفُ
أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ. قُلْتُ: بَلْ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: يَا تَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ بَسَاطًا وَثَرَابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالدِّينَ شِعَارًا وَالْدُّعَاءَ دِثَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ (لبهاء الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بِيَدِي

وَبَيْنَهُ مَوَاسَّةٌ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . فَقَالَ : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ
شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ إِلَّا لِسُنَّ وَصَفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ لِحِجِّ رَحْمَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ
عَلَى مَا تَتَلَبَّ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَتْ بِهَا
الْأَسْمَاعُ . وَتَنَطَّقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَنَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَامْتَرَجَتْ بِهَا
الطَّبَائِعُ . فَقُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . فَقَالَ : خَوْفُ اللَّهِ . فَقُلْتُ :
وَمَا أَكْمَلُ الْعَقْلِ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى
التَّخَلُّصِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ أَنْقِضَاءَ أَمَلِكَ .
فَقُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَمَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَةِ .
فَقَالَ : لِأَحْسِنَ هَذَا السَّبْعَ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَدْيِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى
وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينَ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتُخَالِطُنَا . فَقَالَ : لِأَنَّ
الْأَشْيَاءَ الْمَوْبِقَةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . فَقَالَ : لَوْ ذُقْتَ حَلَاوَةَ
الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحَشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَيْسَتْ السَّرَادَ .
فَقَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَأْتَمٍ وَأَهْلُهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزِنْتُ لَيْسَتْ
السَّوَادَ . فَقُلْتُ : كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : مَا أَطْرَفُ طَرَفَةَ عَيْنٍ إِلَّا
ظَنَنْتُ أَنِّي مُتٌ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الثَّقَلَةَ مِنَ الْعُمُرَانِ

إِلَى الْحَرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ : أَلْبِغُ الْعِظَاتِ الدَّارَ
إِلَى عَجَلَةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِيعَتْ
جَنَازَةٌ فَكُنْ كَأَنَّكَ الْحُمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَسْأَلُكَ .
وَأَحْسِنْ سِرِّيَّتَكَ . يُحْسِنِ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَأَطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِتَبَاهِيَ أَوْ تُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ
الْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تُجَالِسَ مَنْ يُشْغَلُكَ
بِالْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ الْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هَذِهِ الْعُيُومِ . وَيَتَبَرَّأْ مِنْكَ
وَيَنْقَلِبْ عَلَيْكَ . وَلَا تَنْشَبْ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعُظَمَاءِ
وَلَا فِي مَشِيكَ بِالْجَابِرَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ
شَرُّهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ابْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا أَعْتَلَّتْ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنِّيمَةَ فَإِنَّهَا
تَرْعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّعَائِفِ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَيِّينَ . وَانْظُرْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَأَمِثْلَهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ فَتَجَنَّبْهُ . وَأَرْضِ لِلنَّاسِ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوَصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوِدِعُكَ لِلَّهِ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا بَنِي مَلَكُوتِكَ . لَتَكُنْ

مَشِيَّتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . أَرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمَ مَا يَوْمُ .
 أَغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَآمِنَّا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلَّصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ
 لِلْسَّيِّئَاتِ وَنُقَدِّسَكَ وَنُسَبِّحَكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيْضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَمَطْمَتِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصُنْعُكَ أَفْضَلُ مِنْ أَمَانِنَا . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَاتِكَ حَتَّى
 تَشْتَعَلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِ قُلُوبُنَا . اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَنَبْتَغِي طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَفُوزُ بِهِ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْغِرُّ وَالسُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ . قَالَ
 السَّيِّحُ : فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُو لَنَا وَانْصَرَفْتُ
 وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَالَ قَتْمُ الزَّاهِدُ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . فَقُلْتُ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ اخْتَوَشَتْهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَذْعُورٌ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَتَقَرَّسَهُ أَوْ يَلْهُو فَتَنْهَشَهُ . فَلَيْلَهُ لَيْلُ خِفَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 الْمُغْتَرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حُزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَتَرَكَنِي
 فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنَّ الظُّلْمَانَ يَنْعَمُ بِسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنَّ الْحَاسَةَ الْجَلِيدَةَ إِذَا كَانَتْ مُؤَوِّقَةً بِرَمْدٍ وَنَحْوِهِ فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ
 الْأَشِعَّةِ الْفَائِضَةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مُؤَوِّقَةً بِالْهَوَى
 وَاتَّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَالِاخْتِلَاطِ بِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ تَحْجُوبُهُ عَنْ ذَوْقِ اللَّذَاتِ الْإِلَهِيَّةِ . وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ :

ذَا مَرَّتْ فَعِذَا مُنْتَصِبٌ ذَا مُنْخَفِضٌ ذَا مُنْجَزِمٌ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا أُوجِدُوا لَا يَتَعَبِرُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءَ نَفْسِهِمْ عَبَدُوا وَالنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَمٌّ
(لِبِهَا الدِّينِ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِي :
عَجِبْتُ لِمَتَابَعِ الضَّالَّةِ بِالْهَدَى وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالْدِّينِ أَعْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَيْنِ أَخِيبُ
٢٤ قَالَ الْحَسَنُ : ابْنُ آدَمَ أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَائِهَا بِمَا
يَنْقُضِي . وَمَنْ نَعِمَ بِمَا يَمُضِي . وَمَنْ مُلِكَمَا بِمَا يَفْقَدُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
الْأَوْزَارَ وَلَا هَلَاكَ الْأَمْوَالُ . فَإِذَا مِتَّ حَمَلْتَ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ
أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبْقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ أَلْمَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلُوا أَلْبَكَاءَ فَمَا يَكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَأَسْتَحْكَمُ الْفِيلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالُ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةً إِذَا أَخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمْوَالُ إِلَّا قِجَائِعُ عَلَيْهَا وَلَا أَلْدَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخَّتْ بِالْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عُيُونًا دَمَعُهَا أَلَانَ سَاكِ
فَلَا تَكْتُمِلُ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ابْنُ عِرَّانَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شُغِفْنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا لَاهَوَى مُتَّبِعٌ
فَتَانَةٌ تَخْدَعُ طَالِبَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَتَخَدَّعُ
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوَ مِضِ الْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعَ

٢٥ (مِنْ خُطْبَةِ لَامِيْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
أَنْتُمْ خَلْفُ مَاضِينَ وَبَقِيَّةُ الْمُتَقَدِّمِينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بَسْطَةً وَأَعْظَمَ
سَطْوَةً . أَرْجِعُوا عَنْهَا أَسْكُنْ مَا كَانُوا إِلَيْهَا قَعَدَرْتِ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا .
فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قِلَّ مِنْهُمْ بَذْلُ فِدْيَةٍ . فَارْحَلُوا نُفُوسَكُمْ
بِرَإْدِ مُبَلِّغٍ قَبْلَ أَنْ تَوْحَدُوا عَلَى فُجَاءَةٍ . فَقَدْ غَفَلْتُمْ عَنِ الْأَسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
أَلْفَتُمْ بِمَا هُوَ كَانُ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا . وَمَهْدُوا لَهَا قَبْلَ
أَنْ تُعَذِّبُوا . وَتَزِدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تُرْجِعُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْثِقُ عَدْلٍ
وَقَضَاءُ حَقٍّ . وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ

٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَنَزَلَ قُلْعَةٌ وَعَنَاءٌ . هَذَرُوعَتْ مِنْهَا
نُفُوسُ السُّعْدَاءِ . وَأَنْتَرَعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَأَسْعَدَ النَّاسَ
فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا . وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ الْغَاشَّةُ لِمَنْ أَتَتْصَحَّهَا
وَالْمُنُوءِيَّةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِعَبْدٍ أَتَقَى فِيهَا
رَبَّهُ وَتَصَحَّ نَفْسُهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْقُضَهُ الدُّنْيَا
إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُضَيِّعَ فِي دِمْنِ غَبْرَاءٍ . مُدْهِمَةً ظُلَمَاءٍ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يَأْشُرُ فَيُخْشِرُ إِمَّا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَفْقَدُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْبُلَّاءِ : الدُّنْيَا إِنَّمَا أَقْبَلَتْ بَلَاءً . وَإِنْ أَدْبَرَتْ
بَرَاءً . أَوْ أَطْنَبَتْ بَلَاءً . أَوْ أَرَكَبَتْ كِبَاءً . أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَاتٍ . أَوْ
أَسْفَعَتْ عَفَاتٍ . أَوْ أَيْعَتْ نَعَاتٍ . أَوْ أَكْرَمَتْ رِمَاتٍ . أَوْ عَاوَنَتْ وَنَاتٍ .
أَوْ مَا جَنَّتْ جَنَاتٍ . أَوْ سَاحَتْ مَحَاتٍ . أَوْ صَلَحَتْ لَحَاتٍ . أَوْ وَصَلَتْ
صَلَاتٍ . أَوْ بَالَغَتْ لَغَاتٍ . أَوْ وَفَرَتْ فَرَاتٍ . أَوْ زَوَّجَتْ وَجَاتٍ . أَوْ
قَوَّهَتْ وَهَاتٍ . أَوْ وَلَهَتْ لَهَاتٍ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَاتٍ (لبهاء الدين)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ وَجْدِي وَبَقِيَتْ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَجْدِي
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شِرَارٌ فَهُوَ بِغَايَةِ الْبُعْدِ
لَوْ بُعِثَتْ لِلخَلْقِ أَطْبَاقُ الثَّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ
مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِنَاعِمِ الْحَدِّ
٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْآيَاتُ :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ شُومٌ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ تَمْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ الظُّلُومِ
سَتَنْقَطِعُ اللَّذَازَةُ عَنْ أَنْاسِي مِنَ الدُّنْيَا وَتَقْطَعُ الْهَمُومُ
لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَ اللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ النُّجُومُ
سَلِّ الْأَيَّامَ عَنْ أَمْرِ تَقَضَّتْ سَخِيرَكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمَنَاءِ فَكَمْ قَدَرَامَ مِثْلِكَ مَا تَرُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ الْمَنَاءُ تَذَنُّ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَوُومُ
لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِحِرِّ الرَّجَاءِ وَنَارِ الْأَمَلِ
يَوْمَلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُونُ الْأَجَلِ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِلْمَنَاءِ عَمَلُ
قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَقْتُونٍ يُخَلِّفُ بَعْدَهُ لَوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَا مَالَهُ ثُمَّ اسْتَهْلُوا أَقْبَرِهِ بِأَدْيٍ بُكَاءُ تَحْتَهُ صَوْنُ الْقَلْبِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبَقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حَرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَصْهَلُ غَدًا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجُهُولُ الْجُهُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمِّلُ غَيْبُ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
٢٩ أَوْرَدَ ابْنُ خَلِّكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَازِنُ :

عَنَتِ الدُّنْيَا لِطَالِيهَا وَاسْتَرَاحَ الرَّاغِدُ الْفَطْنُ
كُلُّ مَلَكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفْنُ

يَقْتَنِي مَالًا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُفْتَنٌ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَتَّخِذُ بِهِ وَسَنٌ
 لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَذَا أَلْهَمُ وَالْحَزَنُ
 وَأَشَدُّ عَذَابِي بَنُ رَيْدٍ:

أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوِشِرْ وَأَنْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ تَجَبَّى إِلَيْهِ وَأَلْسَابُورُ
 شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وَكُودُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ فَبَابَهُ مَهْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ:

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَعَيْنِ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ كَالْحَيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخَرُ:

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَأَنْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْئَانِ
 مَا فَاتَ مِنْهَا فَحْلُهَا وَمَا بَقِيَ فَلَمَّانِي
 ٣٠. اسْتَشَدَّ التَّوَكُّلُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنِ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ: إِنِّي لَقَلِيلُ
 الرِّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ. فَقَالَ: لَا بُدَّ. فَأَشَدَّهُ:
 بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلَبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ

وَأَسْتَنْزِلُوا بَعْدَ عِزِّهِ عَنْ مَعَالِيهِمْ
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا
أَيْنَ أُلْجُوهُ أَلَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
وَطَالَمَا كَثُرُوا الْأَمْوَالُ وَادَّخَرُوا
وَطَالَمَا شَبِدُوا دُورًا لِيُخَصِّنَهُمْ
أَضْحَتْ مَسَاكِنُهُمْ وَحَشًا مُعْطَلَةٌ
سَلَّ الْخَلِيفَةُ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ
أَيْنَ الْكُنُوزُ أَلَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا
أَيْنَ الْعَيْدُ أَلَّتِي أَرْصَدْتَهُمْ عُدَا
أَيْنَ الْفَوَارِسُ وَالْعِلْمَانُ مَا صَنَعُوا
أَيْنَ الْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
أَيْنَ الْكُمَاةُ أَمَا حَامَوْا أَمَا غَضِبُوا
أَيْنَ الرُّمَاءُ أَلَمْ تَمْنَعْ بِأَسْمِهِمْ
هَيْبَاتَ مَا مَنَعُوا ضِمًّا وَلَا دَفْعًا
وَلَا الرُّشَى دَفَعَتْهَا صَاحٍ لَوْ بَذَلُوا
مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبُهُمْ
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَلْشَى بِهِ أَحَدٌ

فَاوْدِعُوا حُفْرًا يَا بَشَرُ مَا نَزَلُوا
أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالْتِيحَانُ وَالْحُلُلُ
مِنْ دُونِهَا تُضْرِبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَكَلُ
تِلْكَ أُلْجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَلُ
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
فَخَلَفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا
فَقَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَانْتَقَلُوا
وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدَرَحَلُوا
أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْحَيْلُ وَالْحَوْلُ
نُتُو بِالْعَصَةِ الْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا
أَيْنَ الْعَبِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْحَطِيبَةُ الذُّبُلُ
لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَبْتَهِلُ
أَيْنَ الْحِمَاةُ أَلَّتِي تُحْمَى بِهَا الدُّوَلُ
لَمَّا أَتَتْكَ سِيَاهُ أَلُوتٍ تَنْفُضُ
عَنْكَ الْمُنِيَّةَ إِذْ وَافَى بِهَا الْأَجَلُ
وَلَا الرُّشَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بَشَرُ مَا فَعَلُوا
وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَخَشَا لَا أُنِيسَ بِهِ يَفْشَاكَ مِنْ كَفِّهِ الرُّوعُ وَالْوَهْلُ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطْرَحًا وَكُلُّهُمْ بِاقْتِسَامِ أُمَالٍ قَدْ شُغِلُوا
 لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ إِلَّا أَنَاخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ
 وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا وَرُوحُهُ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
 وَجِسْمُهُ لِلْبَّائِتِ الرَّدَى غَرَضُ وَمَلِكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ
 (وَتَرَوِي هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي دِيْوَانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)

حفظ الخوارج

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ: شَكَوْتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَّادِ فَسَادًا أَجِدُهُ فِي قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوقَعْتَكَ فِي مَكْرُوهِ. وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا مَلَكَتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسْلِمُ الْخَوَاصِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصُّوفِيُّ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ. وَإِيَّارٍ مَا يَجِبُ عَلَى تَحِيَّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرَفُكَ وَشَوْقُكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِمَا مَا يُطَالِبَانِكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا أَرَدْتَ. فَلَمْ يَعْصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدَّا لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ): إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ الْجَوَارِحِ تَقَادُّ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَاصِ طَبِيعُهُ وَهُوَ مُدِيرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا وَسَائِقُهَا وَيَارَادُ بِهِ تَتَّبِعُ وَفِي طَاعَتِهِ تَقَلُّبُ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاضِدُهُ

أَفْقَهُمْ . وَرَأَيْدُهُ الْعَيْنَانِ . وَطَلِيعَتُهُ الْأَذُنَانِ . وَهَمَا فِي النُّقْلِ سَوَاءٌ لَا
يَكْتُمَانِي أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحادثه

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ
وَيُجَدِّدُ الْأَمَالَ وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأَمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفِرَ مِنْهُمْ لُغْبَ . وَمَنْ فَاتَهُ نَصَبٌ . قَالَ : فَمَا يُبْنِي دَنَّهُ .
قَالَ : قَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَيْرُ وَأَوْفَى . قَالَ : الْعَدْلُ
الصَّالِحُ وَالْتَقْوَى . قَالَ أَهْلُهُمْ أَضُرُّ وَارْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ أَخْرَجُ . قَالَ : سُئِلُوكَ أَلْتَهَجُ . (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَفَ لِلدَّهْرِ مَا اكْتَدَرَ صَافِيَهُ وَأَخِيبَ رَاجِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلِيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعَ مِنْ
بَيْنِهِ فِي الْبَذْلِ . لَا يُعْطِي يَدَهُ إِلَّا أَنْ تَجْعَ بِلَاكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يُؤْمِنُ يَوْمَهُ . وَيَخَافُ غَدَهُ . يُرْضِعُ نَدِيَّهُ وَيَجْرَحُ يَدَهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَغْرُومُ . وَيَسُو مِنْ حَيْثُ يَسُرُ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاهِبُ . حَتَّى تَحْتَاطِلَهَا الْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْنُفُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكْذِرَهَا الشَّوَابُ . (وَفِي فَصْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ) : هَذَا زَهْرَانُ مُتَلَوْنُ الْأَخْلَاقِ
مُتَدَاعِي الْبَيَانِ . مُوقِفُ الشَّرِّ مِنْهُمُ الْخَيْرِ . مُطْلَقُ أَعْنَتِ الظَّالِمِ حَاسِسُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْكَفَايَةِ مِنَ الْبُهْجَةِ
وَالْقُطُوبِ مِنَ الْبَشْرِ . مُرُ الثَّمَرَةِ بَعِيدُ التَّجَنُّبِ . قَابِضُ عَلَى النَّفْسِ

بَكَرَّتْهُ . مُنِجٌ عَلَى الْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالشُّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَأْوَى . (وَمِثْلُهُ فَضْلٌ لِلصَّاحِبِ) : الزَّمَانُ
حَدِيدُ الظُّفْرِ . لَيْمُ الظُّفْرِ . حُلُوُ الْمَوْرِدِ مَرُّ الْمَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَرْءِ كَأَثَرِ
السَّيْفِ فِي الضَّرِيَّةِ وَاللَّيْثِ فِي الْقَرْيَةِ . (وَلِشَّمْسِ الْعَالِي قَابُوسٍ) :
الدَّهْرُ شَرُّ كُلِّهِ . مُفْصَلُهُ وَجَمَلُهُ . إِنْ أَضْحَكَ سَاعَةً أَبْكَى سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الْأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيرَةً . وَمَنْ أَبْتَنَى مِنْهُ الرِّعَايَةَ . أَبْتَنَى مِنَ الْقَوْلِ الْهُدَايَةَ
(طَرَائِفُ اللَّطَائِفِ لِلْمَقْدِسِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالَا طَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الْحَيَاةِ فَضَاعَ الْحِرْصُ وَالْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهَجَتِهَا نِعَمَ الْغُصُونِ وَلَكِنْ بِأَسْمَا الشَّرِّ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَقَاتِ مَقْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَقَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الْأَمْرِ مَقْصُودُ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فَجَائِعَ الدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتَ كَأَلْبَازِي الْمُنْتَفِ رِيْشُهُ يَرَى حَسْرَاتِ كُلِّمَا طَارَ طَائِرُ
يَرَى خُرْقَاتِ الْجَوِّي يَخْرُقْنَ فِي الْهَوَا فَيَذْكُرُ رِيْشًا مِنْ جَنَاحِيْهِ يَوَافِرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ مُنْعَمًا عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ فَأَصْبَحَ مَقْصُوصَ الْجَنَاحَيْنِ خَائِرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ الْأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهَا
بِحَجَائِهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرٍ تَلْتَطِمُ
وَالْعَمْرُ يُسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ تَقَرُّ لَهُ قَدَمٌ
قَدَمَانِ لَهُ يُسْعَى بِهِمَا فَضْحَى وَدَجَّى ضَوْوُهُ ظُلُمٌ
وَالنَّاسُ يُحْلَمُ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الْحِلْمُ
صَمٌّ بَيْنَهُمْ عُمَى بِهِمْ نَعَمُ قَسَمَتْ لَهُمْ نَعَمٌ
فُرِقُوا فِرْقًا فُرِقُوا فِرْقًا وَمَضُوا طَرَقًا لَا تَلْتَمِ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ فَيَقْدَرُ مَا يَكُونُ صُعُودُ الرُّدْفِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَهَيْبَاتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا شُرُوطُ الَّذِي يَرُقُّ إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمَا وَقَاءَ بَمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذِكْرُ الْمَوْتِ

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

نَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهِنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّطَهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
نَبَا أَفْجَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَاعِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ مِنَ التَّقَى فَعُمُرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِّتَ عَلَيْهَا وَقَدْ أُخْرِجَتْ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي صِرْتُ مُتَفَرِّدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا هُنَاكَ بِمَا عَلَيَا
كَأَنَّ الْبَالِكَاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُنْبِئُنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنَ مَنِيَّتِي فَتَعَيْنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَا
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزِيرٍ وَأَنْتَ مِنَ الْمَلَالِكِ عَلَى شَفِيرٍ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتُسَلِّبُ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى الْمَعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيِّتٍ :

ضَعُوا خَدَّيْ عَلَى لَحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ عَقْرِ التُّرَابِ قَوِّسُودُهُ
وَشَقُّوا عَنْهُ أَكْفَانًا رِقَاقًا وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَنَسُوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ صَبِيحَةُ نَالِثٍ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَأَلَتْ نَوَاطِرُ مُفْلَتِيهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى أَلْبَلَى هَذَا فُلَانُ هَلُمُّوا فَانْظُرُوا هَلْ تَعْرِفُونَهُ
خَلِيلُكُمْ وَجَارُكُمْ الْمُفْقَدَى تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَلَسِيْتُمُوهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالتَّهَبَرَمَسَ كُنْهُهُ وَالْبَعَثَ مُخْرِجُهُ

وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَّتِ سَبَّحَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ نَارِ سَبَّحَهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّقْوَى بِهِ سَمَجٌ وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ اسْمُهُ
رَأَى الَّذِي أَخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا لَمْ يَذَرِ أَنَّ الْمُنَايَا سَوْفَ تُرْجَعُ
وَقَالَ آخَرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى الْمَوْتِ:

حَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ يُجِلُّ تَخْلِيسَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى
وَيُذِنُ مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنِّي فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَُا
أَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ فَأَعْتَمًا عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يُعْشَقَا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَزْتُ عَلَى الصُّبُورِ مُسْلِمًا عَلَى الرَّمِيمِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي
يَا صَاحِبَ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا أَنْكَرْتَ بَعْدِي خَلَّةَ الْأَصْحَابِ
قَالَ الرَّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ وَأَنَا رَهْنُ جَنَادِلٍ وَرُتَابِ
أَكَلِ التُّرَابِ مُحَاسِنِي فَتَسَيِّتُكُمْ وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحْبَابِي
٣٦ وَقَالَ آخَرُ:

إِسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَأَسْعِي لِتَجَاةٍ فَالْحَازِمُ الْمُسْتَعِدُّ
قَدْ تَيَسَّنَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْفَ تَرُدِّينَ وَالْعَوَارِي تَرُدُّ
أَنْتِ تَسْهِنِينَ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْهَوُ وَتَلْهَيْنَ وَالْمُنَايَا تُجَدُّ

أَيُّ مُلْكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيْ حَظٍّ لَا مَرِيَّ حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ لَحْدٌ
لَا تُرْجَى الْبَقَاءُ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ خُوفِهَا لَكَ وَرَدٌ

التوبة الى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ :

سَاوَتْ عَنْ الْأَجَبَةِ وَالْمَدَامِ وَمَلْتُ عَنْ التَّهْتِكِ وَالْهَيْسَامِ
وَسَلَّمْتُ الْأُمُورَ إِلَى إِلَهِي وَوَدَعْتُ الْغَوَايَةَ بِالسَّلَامِ
وَمَلْتُ إِلَى اكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي وَقَدِمًا طَالَ عَزْمِي بِالْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عَنَانِي أَلْهَوَى لَكِنْ تَرَى يَدَيَّ زَمَامِي
أَبْعَدَ الشَّيْبِ وَهُوَ أَخْوَسُ كُونِ يَلِيْقُ بِأَنْ أَمِيلَ إِلَى الْغَرَامِ
فَشَرِبُ الرِّاحَ تَقْصُ بَعْدَ هَذَا وَلَوْ مِنْ رَاحَتِي بَذَرُ الْتِمَامِ
فَكَمْ أَجْرَيْتُ فِي مَيْدَانِ لَهْوِ خِيُولِ هَوَى وَكَمْ ضَرَبْتُ خِيَامِي
سَاوَيْتُ الْكَاسَ تَعْيِيسًا وَصَدًّا وَإِنْ جَاءَتْ تَقَابِلُ بِالنِّسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى الرُّجُوعِ عَنِ الْمُنَاهِي وَمِثْلِي مَنْ يَذُومُ عَلَى اعْتِرَامِ

٣٨ صَعِدَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُنْبَرِ فَخَطَبَ الْقَوْمَ بِالشَّعْرِ فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيَ الْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَالْجَهْدِ
مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَقَدْ أَصَابَا أَوْ يَعْصِهِ أَوْ الْقَصِيرَ خَابَا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَقِيَ لَدَيْكُمْ حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَلُّوا عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهَجِهِ تَضَلُّوا
لَا تُشْرِكُنْ نَضْعِي فَإِنِّي نَاصِحٌ إِنَّ الطَّرِيقَ قَاعِلُنْ وَاصِحٌ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ غِيبَ التَّقَى
 إِنْ التَّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا الْحَجِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يَخْصُدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ صَارًا إِلَى الْهُدَى
 أَرَى جَمَاعَ الْبِرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 يَوْمَ الْإِقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
 فَأَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ إِنْ عَقَلْتُمْ
 وَمَا يُقَدِّمُ مِنْ صَلَاحٍ يَحْمَدُهُ
 فَالْمَوْتُ مِنْكُمْ فَأَعْلَمُوا قَرِيبُ
 (الْأَغَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامٌ أَنْتَ يَا يَاهِيكَ مُشْتَقِلُ
 تَمْضِي مِنَ الدَّهْرِ بِالْعَيْشِ الدَّيْمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَانْهَضْ إِلَى ذُرْوَةِ الْعِلْيَاءِ مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَفِرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
 وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِ وَجَدًا فَأَحْسَنُ مَا
 عَنْ نَحْجٍ قَصْدِكَ مِنْ خَيْرِ الْهَوَى ثَمَلُ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يُغْرِي بِكَ الْأَمَلُ
 وَأَنْتَ مُنْقَطِعٌ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزْمًا لِيَتَرَقَى مَكَانًا دُونَهُ زَحَلُ
 بَقَاؤُهَا بَيْقَاءَ اللَّهِ مُتَّصِلُ
 يُقَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ
 ٤٠ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَائِضًا بَحْرَ الْأَمَانِي
 أَصْعَتِ الْعُمُرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلُ
 إِلَى كَمْ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمُ
 هَذَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 فَهَلَا أَيُّهَا الْمُرُورُ مَهْلًا
 فِي تَوْبِ الْعَمَى وَالنَّبِيِّ رَافِلُ
 فِي وَقْتِ الْغَسَائِمِ أَنْتَ نَائِمُ

وَطَرُفَكَ لَا يَرَى إِلَّا طُحُوحًا وَنَفْسُكَ لَمْ تَرَ أَبَدًا جُوحًا
وَقَلْبُكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَعَاصِي قَوْلِكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالْأَوْاصِي
بَلَالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ بِحَيٍّ عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقُ
يَبْحُرُ الْأَيْثَمُ لَا تُضْنِي لَوَاعِظُ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظِ
وَقَلْبُكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ وَجْهَكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَرْذَادٍ
عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدُّنْيَةِ مُجَدًّا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعِشِيِّ
وَجُهِدُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدُ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ وَلَمْ يَجِدْ لِمَطْلَبِهَا قُلَامَهُ
٤١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

نَزَلَ الشَّيْبُ وَإِنَّهُ فِي مَفَرِّقِي لِأَعَزُّ نَازِلُ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بُ فَاهِ آهِ عَلَيْهِ رَاحِلُ
بِاللَّهِ قُلْ لِي يَا فُلَانُ وَلِي أَقُولُ وَلِي أَسْأَلُ
أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتُ فِي الْعِشْرِينَ قَاعِلُ
هَمِّهَاتٍ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثُ عَاقِلُ
قَدْ كُنْتُ تُعَذِّرُ بِالصَّبَا وَالْيَوْمَ ذَاكَ الْعُذْرُ زَائِلُ
مَنْيَتَ نَفْسَكَ بِاطِّلَا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلُ
قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحٍ رَاحِلُ
ضَيِّعْتَ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَلَمْ تَفُزْ فِيهِ بِطَائِلُ

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمَرَاثِي

رثاء داود الطائي

٤٢ لَمَّا مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَكِ مَثْنِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَغْشَى بَصَرُ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَرُ . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَحِبُّونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَفْتُونِينَ
مَفْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتِ الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُجَّهَا قُلُوبَكُمْ اسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ حَسِبْتَهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشَيْتَ الْمَطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيِّبَهُ .
وَخَشَيْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَيْتَهُ . ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَقَبَّرْتَهَا
قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَذَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ سَجَنَتَ نَفْسِكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
تُحَدِّثُ لَهَا لَوْلَا جَلِيسٌ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ تَحْتُكَ وَلَا سِتْرٌ عَلَى بَابِكَ . وَلَا
قَلَّةٌ تُبَرِّدُ فِيهَا مَاءُكَ . وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا عَدَاؤُكَ وَعِشَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدُهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَيِّبُهُ وَلَا مِنَ الْإِلْبَاسِ لَيْتُهُ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدْتَ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَصْغَرَمَا بَذَلْتَ وَمَا أَهْقَرَمَا
تَرَكْتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَلْتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

الْإِخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مَتَّ شَهْرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ وَأَلْبَسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ .
فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ (لابن عبد الوهبة)
رواه الاسكندر .

٤٣ مُخْتَارٌ مِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ عِنْدَ وَفَاةِ الْإِسْكَندَرِ لِمَا جُعِلَ فِي تَأْيُوتَ
مِنْ ذَهَبٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : كَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّ الذَّهَبَ وَقَدْ
صَارَ الْآنَ الذَّهَبُ يُحِبُّهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَالَ : قَدْ طَافَ الْأَرْضِينَ
وَمَلَّكَهَا ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي أَدْنَى أَذْرُعٍ . (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ :
أَنْظِرْ إِلَى حُلُمِ النَّائِمِ كَيْفَ أَنْقَضَى إِلَى ظِلِّ النِّعَمِ وَقَدْ انْجَلَى .
(وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُقِلُّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَقِلُّ مَلِكَ الْعِبَادِ . (وَقَالَ آخَرُ) : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ
عَنْ ضِيقِ الْمَكَانِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رُحْبِ الْبِلَادِ (وَقَالَ آخَرُ) :
أَمَاتَ هَذَا أَلَمْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِلْأَيْمُوتِ وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . (وَقَالَ
آخَرُ) : مَا كَانَ أَقْبَحَ إِفْرَاطِكَ فِي التَّجْبُرِ أَمْسٍ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ
الْيَوْمِ . (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا) : مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُغْلِبُ . (وَقَالَ رَيْسُ
الطَّبَّاخِينَ) : قَدْ نَضَّدْتُ النَّضَائِدَ وَأَلْقَيْتُ الْوَسَائِدَ وَنَضَبْتُ الْمَوَائِدَ
وَلَسْتُ أَرَى عَمِيدَ الْمَجْلِسِ . (للقيرواني)

٤٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرْثِي وَلَدَهُ يَحْيَى :

وَكَيِّدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَيْدِي قَدْ حَرَقَتْهَا لَوَائِحُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لَيْتَ أَسْفَا أَعْدَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدًّا دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي
 وَتَوَرِّي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ
 مَنْ كَانَ خِلَافًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ وَطِيبَ الرُّوحِ طَاهِرِ الْجَسَدِ
 يَا مَوْتَ يَحْيِي لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ لَيْسَ بِزُمَيْلَةٍ وَلَا نَكِيدِ
 يَا مَوْتَ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتُهُ يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكَتُهُ لَعَدِ
 يَا مَوْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ لَكَانَ لَا شَكَّ بَيْضَةُ الْبَلَدِ
 أَوْ كُنْتَ رَاحِيَتَ فِي الْعَيْنَانِ لَهُ حَازَ الْعُلَى وَاحْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
 أَيُّ حُسَامٍ سَلَبْتَ رَوْنَقَهُ وَأَيُّ رُوحٍ سَلَلْتَ مِنْ جَسَدِ
 وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمٍ وَأَيُّ كَفٍّ أَرَلْتَ مِنْ عَضَدِ
 يَا قَمْرًا أَجْهَفَ الْخُسُوفِ بِهِ قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَاءِ فِي الْعَدَدِ
 أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفًا وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجِدِ
 لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلَدٌ فَجَعْتَ يَا صَبْرُ فِيهِ وَالْجَلَدِ
 لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا لَحِقَ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
 يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَا عِجْمَا يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَيْدِي

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ السُّكْنَا وَلَا أُمَّتًا فَرَحًا إِلَّا أُمَّتًا حَزَنَا
 لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَا
 إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحِرْنَا وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحِرْنَا
 يَا سَيِّدِي وَمَرَّاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ لَحْدٌ وَيُلَيْسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنًا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنٌ أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مُعَاوَضَةً مِنْهُ لَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ :

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحَدُّهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَازِرُ
لَئِنْ عَمَرْتُ دُورٌ يَمُنُّ لَا أَحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ مِمَّنْ أَحِبُّ الْمُقَابِرُ
وَمَاتَ ابْنُ لِأَعْرَابِيٍّ فَأَشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكَنِّي
بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَعْظَمَ لِقَائِكَ . قَالَ :

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ عَبَاتُ خُوطُهُ بِيَدِي وَفَارَقَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ أَسْأَلُوهُ وَكَيْفَ أُنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَإِنَّمَا أُدْعَى بِهِ
وَقَالَ آخِرُ بَيْتِي أَخَاهُ :

أَخٌ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَعْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَعْدُو إِلَى قَبْرِهِ
٤٧ قَالَتِ الْخَنَسَاءُ تَرَى أَخَاهَا :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ اللَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِيِّ الْجَوَادَا أَلَا تَبْكِيَانِ أَلْقَى السَّيِّدَا
طَوِيلُ التَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
يُحْمِلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلَدَا

جَمُوعُ الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أُخْتُ الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفٍ زَيْتِي أَخَاهَا الْمَذْكُورَ :

أَنَا سَجَمُ الْحَابُورِ مَالِكُ مُورِقَا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنَ قَنَا وَسُيُوفِ
فَقَدَنَاهُ فِقْدَانِ الرَّيْعِ فَلَيْتَنَا قَدَنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَا فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَفَا يَكُلُّ شَرِيفٍ

قَالَ ابْنُ مَعْتُوقٍ يَزِيهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَقْضِي وَتَصْبِرِي مِنِّي عَلَى تَعَدُّرَا
وَارْحَمَاهُ لِصَارَخَاتِ حَوْلِهِ تَبْكِي لَهُ وَلَوْ جِهْمَا لَنْ تَسْتُرَا
مُلِقَى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَنْظُهُ دَاوُدُ فِي الْخِرَابِ حِينَ تَسُورَا
لَهْفِي عَلَى الْهَاوِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَرَّ هَوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكْغُورَا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبَنَانِ تَقْطَعُتْ لَوَانَهَا أَتَّصَلْتُ لَكَ أَنْتِ أَبْجُرَا
لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَنْدَلٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَدُّرَا
لِحَقِّ الْغُبَارِ حِينَهُ وَلَطَالَمَا فِي شَأُوهِ لِحَقِّ الْكِرَامِ وَغَبَّرَا

٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ قَدْ مَالَتْ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ قَدْ حُرِّقَتْ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ
وَقَالَ الصَّفَدِيُّ :

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبْلَى مُحَاسِنُهُ اللَّهُ يُؤَلِّكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتَ جُرِعتَ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذْوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْقَاضِيَّ الْبَاقِلَانِيَّ الْبَصْرِيَّ :

أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَخْوِي مِنَ الصَّلَفِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُعْتَمِدًا وَأَنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدَفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُودِعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بَعِيرَ خَلِيلٍ
 وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَجِيَّ مَنِيَّتِي وَيُفَرِّدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخِرُ بَيْتِي أَخَا أَسْمُهُ حَيْبُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتِي حَيْبُ زُرْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمَعِينَ
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبُ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحْ بِمَصْرَعِهِ الْأَعَادِي فَمَا نُلْفَى لَهُمْ مُتَخَشِعِينَ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصَّوَلِيُّ بَيْتِي أَبْنَا لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعِّعًا :

كُنْتُ السَّوَادَ لِقَلْبِي قَبَكِي عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْتَ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَادِرُ

٤٩ قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ بَيْتِي عَلِيٌّ بْنُ يَحْيَى الْمُتَحِمُّ :

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسْلِمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ رَأْبَهُ فَلَطَلَمَا عَنِّي حَمَلَتْ نَوَائِي
 قَالَ الْهَيْثِيُّ فِي ابْنِ لَهُ تُوْفِي صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَأَلْأَسَى غَيْرُ صَغِيرٍ
كَانَ رَيْحَانِي فَأَمْسَى وَهُوَ رَيْحَانُ الْقُبُورِ
عَرَسَتْهُ فِي بَسَاتِينِ اللَّيْلِ أَيْدِي الدُّهُورِ
قَالَ مُتِمُّ بْنُ نُؤَيْرَةَ يَرَى أَخَاهُ مَالِكًا:

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَاكِ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ نَوَى بَيْنَ الْوَلَى قَالَ كَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنْ الشَّجَا يَبْعُ الشَّجَا فَدَعْنِي فَهَذَا كُنْهُ قَبْرِ مَالِكِ
قَالَ آخَرُ:

لِكُلِّ أَنْاسٍ مَقْبَرٌ يَفْنَاهُمْ فَهُمْ يَفْضُونَ وَالْقُبُورُ تَرِيدُ
وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمٌ دَارَ قَدْ اُخْلَقَتْ وَبَيْتٌ لَيْتَ بِالْفَنَاءِ جَدِيدُ
هُمْ حَبِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارُهُمْ فَدَانٍ وَأَمَّا الْمُلتَقَى فَبَعِيدُ
هـ قَالَ الْغَطَّاشُ الضَّبِّيُّ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ
أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ
قَالَ آخَرُ:

أَجَارِي مَا أَرْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ إِلَيْكَ وَمَا تَرْدَادُ إِلَّا تَوَانِيَا
أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ قَدَتْ نَفْسٌ مَيَّتَ قَدَيْتِكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُمْلَأَ حَبَّةَ فَحَالٍ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
أَلَا فَلَيْتُ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّعْبِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:
 أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا أَسِيرٌ يُقِفُ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ
 لَعْمَرِي لَنْ عَمَرْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَاءَةَ الْمُتَشَاوِلِ
 لَقَدْ كَانَ بَيْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ وَيُعْطِي اللَّهُ فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
 فَإِنْ تَسَجَّنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ
 قَالَتْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ:

كُنَّا كَقَضَيْنِ فِي جُرُثْمَةٍ سَمَقًا حِينًا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ
 حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا وَطَابَ قِيَاهُمَا وَأَسْتَنْظِرُ الثَّمَرُ
 أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَبِّ الزَّمَانِ وَمَا يُسْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
 كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ
 ٥٢ وَقَالَ التَّيْمِيُّ فِي مَنْصُورٍ:

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلَهْفَةٍ مِنْ خَائِفٍ يَبْنِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُحِيرُ
 أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُمْ أَوَّلِسُ مَجْوَارٍ قَبْرِكَ وَالْأَدْيَارُ قُبُورُ
 عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ قَالَتِ النَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَاجُورُ
 يُبْنِي عَلَيْكَ لِسَانٌ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالنَّاءِ جَدِيرُ
 رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ تَشْرِهَاتِ مَنَشُورُ
 قَالَتِ النَّاسُ مَا مَنَعَهُ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
 عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرَعٍ فِي خَمْسَةِ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرُ
 (الحماسة لابي تمام)

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحُكْمِ

٥٣ قِيلَ : لَا تَسْتَصْرِغَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ . لِأَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدَ وَإِنْ ظَفِرَ بِكَ لَمْ تُعَذَّرْ . وَالضَّعِيفُ الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ . وَقِيلَ : الْعَدُوُّ الْمُخْتَرِرُ رُبَّمَا أَشَدَّ . كَالْفُضْنِ النَّضْرِ رُبَّمَا صَارَ شَوْكًَا . وَقِيلَ : لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِطَكَ . قَالَ رُحْ قَدْ يُقْتَلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانُ وَالزُّجَّ . قَالَ الْمَوْسَوِيُّ :

الْفَيْلُ يَضْمُرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُعُوضِ
٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقَرْيَةِ دَخَلَ عَلَى الْحُجَّاجِ وَقَالَ لَهُ : مَا الْكُفْرُ . فَقَالَ :
الْبَطْرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ : مَا الرِّضَا . فَقَالَ : الْفُتُوحُ
بِعِطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارَةِ . فَقَالَ : مَا الصَّبْرُ . فَقَالَ :
كَظْمُ الْغَيْظِ وَالْإِحْتِمَالُ لِمَا لَا يُرَادُ . فَقَالَ : مَا الْحِلْمُ . فَقَالَ : إِظْهَارُ
الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَا عِنْدَ الْغَضَبِ . فَقَالَ : مَا الْكِرَمُ . فَقَالَ :
حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحُقُوقِ . فَقَالَ : مَا الْحِمِيَّةُ . فَقَالَ : الْوُقُوفُ
عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَقَالَ : مَا الشُّجَاعَةُ . فَقَالَ : الْحِمْلَةُ فِي وُجُوهِ
الْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ . وَالثَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الْفِرَارِ . وَإِرْضَاءُ الرِّجَالِ .
قَالَ : مَا الْعَدْلُ . قَالَ : تَرْكُ الْمُرَادِ . وَصِحَّةُ السَّيْرِ وَالْإِعْتِقَادِ . فَقَالَ :

مَا إِلَّا نَصَافُ. قَالَ : الْمَسَاوَاةُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ . فَقَالَ : مَا
 الْأَذْلُ . قَالَ : الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوعِ الْيَدِ وَالْإِنْكَسَارُ مِنْ قَلَّةِ الرِّزْقِ . فَقَالَ :
 مَا الْحَرَصُ . قَالَ : حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ . فَقَالَ : مَا الْأَمَانَةُ . قَالَ :
 قَضَاءُ الْوَاجِبِ . فَقَالَ : مَا الْحَيَاةُ . قَالَ : التَّرَاخِي مَعَ الْقُدْرَةِ . فَقَالَ :
 مَا الْقَهْمُ . قَالَ : التَّفَكُّرُ وَإِذْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (للفزالي)

٥٥ (فَائِدَةُ جَامِعَةٍ وَلَمَعَةٌ سَاطِعَةٌ وَمَقَالَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ) قَالَ : لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
 إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ . يَغْفِرُ زَلَّتْهُ . وَيَرْحَمُ عَثَرَتْهُ . وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ . وَيَقْبَلُ
 عَثَرَتَهُ . وَيَقْبَلُ مَعْدِرَتَهُ . وَيَرْضَى غِيْبَتَهُ . وَيَدِيمُ نَصِيحَتَهُ . وَيَحْفَظُ خَلَّتَهُ .
 وَيَرْغَى ذِمَّتَهُ . وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ . وَيَشْهَدُ مِيتَتَهُ . وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ . وَيَقْبَلُ
 هَدِيَّتَهُ . وَيُكَافِي صِلَتَهُ . وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ . وَيُحْسِنُ نُصْرَتَهُ . وَيَحْفَظُ
 حُرْمَتَهُ . وَيَقْضِي حَاجَتَهُ . وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ . وَلَا يُخَيِّبُ مَقْصِدَهُ . وَيُسَمِّتُ
 عَطْسَتَهُ . وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ . وَيُرْدِي سَلَامَتَهُ . وَيُطِيبُ كَلَامَهُ . وَيُبْرِئُ إِنْعَامَهُ .
 وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَهُ . وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى
 وِفَاءِ حَقِّهِ . وَيُؤَاوِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ . وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَشْتَتُهُ . وَيُجِيبُ لَهُ مِنْ
 الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ . فَلَا يَتْرُكُ
 وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالَبَهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصبهاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ طَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَانٌ وَلَا نَمَامٌ . وَلَا
 مُغْتَابٌ وَلَا قَتَاتٌ . وَلَا حَسُودٌ وَلَا حُقُودٌ . وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ . يُطْلَبُ

مِنَ الْخَيْرَاتِ أَعْلَاهَا . وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ
 الْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ . غَضِيزُ الطَّرْفِ . سَخِيُّ الْكَفِّ . لَا يَرُدُّ سَائِلًا .
 وَلَا يَخْلُ بَنَائِلًا . مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ . مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ . يَزِنُ كَلَامَهُ
 وَيَحْرُسُ لِسَانَهُ . وَيُحَسِّنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ . مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ . لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ الْمَعُونَةِ قَلِيلُ
 الْمَوْنَةِ . يَغْطِفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عَشْرَتِهِ . يَلْمِزُ مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ . فَهَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ (للدّميري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمُلُوكِ الْجَارِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ) : قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبْتَ الْمُلُوكَ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبْتَ الرِّعْيَةَ عَنِ الطَّلَاعَةِ . (أَفَرْدُونُ) الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ أَجَالِكُمْ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ . (أَنُوشِيرَوَانُ) الْمَلِكُ إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ يَمَّا يَأْخُذُ مِنْ رِعْيَتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ يَمَّا يَقْتُلُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَاتِهِ . (أَبْرَوِيزُ) أَطْعَ مَنْ فَوْقَكَ يُطْعَمُكَ مَنْ دُونَكَ . قَالَ ابْنُ
 الْمُعْتَزِّ:

كَمْ فَرَصَةٍ ذَهَبَتْ فَمَادَتْ غُصَّةً لُشْجِي يَطُولُ تَهْفٍ وَتَدْمٍ
 لَمَّا عَزَمَ الْمُتَصَوِّرُ عَلَى الْقَتْلِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَرَزَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَعْجَلَ
 فَأَجَابَهُ الْمُتَصَوِّرُ :

إِذَا كُنْتَ ذَارِئِي فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تُتَمَلِّ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا بِغُدْوَةٍ وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا عَدَا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا ظَفِرَ الْهَوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبِ): النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَأَهْمَقٌ وَقَلْبَرٌ.
فَالْعَاقِلُ الدِّينُ شَرِيعَتُهُ وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ. إِنْ سُئِلَ
أَجَابَ. وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ. وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَغَى. وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى.
وَأَمَّا الْأَهْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجَلَ. وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ. وَإِنْ أَسْتُزِلَّ عَنْ رَأْيِهِ
تَزَلَّ. فَإِنْ حَمَلَ عَلَى الْقَسْبِ حَمَلَ. وَأَمَّا الْقَلْبَرُ فَإِنْ أَلْتَمَسَتْهُ خَانَكَ. وَإِنْ
حَدَّثَتْهُ شَانَكَ. وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ لَمْ يَدْعَكَ. وَإِنْ أَسْتَكْتَمَ لَمْ يَكْتُمُ.
وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَعْلَمْ. وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ. وَإِنْ فُتِّهَ لَمْ يَفْقَهْ

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلاَحٌ مُلْكُكَ وَاسْتِقَامَةٌ رِعْيَتُكَ. قَالَ: مَا هُنَّ؟ قَالَ:
لَا تَعْدِ عِدَّةً لَا تَبْقَى مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا. وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْمُرتَقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُتَحَدُّرُوعَرًا. وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَأَتَقِ
الْعَوَاقِبَ. وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ. قَالَ عِيسَى بْنُ دَاوُدَ:
فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْهَمْدِيِّ فِي يَدِهِ لُحْمَةٌ قَدَّرَفَهَا إِلَيَّ فِيهِ. فَأَمْسَكْتُهَا
وَقَالَ: وَيْحَكَ أَيْدِيَّ عَلَيَّ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْبَغَ لُحْمَتُكَ. فَقَالَ:
حَدِيثُكَ أَتَعْجَبُ إِلَيَّ (للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمُّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا. الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمُّ قَاتِلُ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
 سُمُّ قَاتِلُ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمُلْكُ الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلُ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ
 ٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمُومِ وَصَوْمُ
 الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمُومِ فَهُوَ كَفُّ
 الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
 وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَمَسَاوِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْإِسْثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
 خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الْهُمُومِ الدُّنْيَا وَالْأَفْكَارِ
 الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكثرة المدفون)

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بَرْزُجْهَرُ حَكِيمِ الْفَرَسِ (قَالَ) : نَصِيحَتِي
 النَّصِيحَةُ وَوَعْظِي الْوَعَاظُ شَفَقَةٌ وَنَصِيحَةٌ وَتَأْدِيبٌ فَلَمْ يَعْظِي أَحَدٌ مِثْلَ
 شَيْئِي وَلَا نَصِيحَتِي مِثْلَ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَضَتْ بِنُورِ الشَّمْسِ وَضُوءِ
 الْقَمَرِ فَلَمْ اسْتَضِ بِضِيَاءِ أَضْوَاءِ مِنْ نُورِ قَاتِلِي . وَمَا كُنْتُ إِلَّا حَرَارَ
 وَالْعَبِيدِ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهْرِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
 فَلَمْ أَرَأِ أَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِتُ وَأَحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي مِنْ
 الْخُلُقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا شَرًّا أَلَّا نَفْسَ لِنَفْسِهَا .
 وَرَأَيْتُ أَنَّهَا لَا يَأْتِيهَا الْقَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا . وَرَأَيْتُ أَنَّهَا لَا يَأْتِيهَا الْقَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا . وَرَأَيْتُ أَنَّهَا لَا يَأْتِيهَا الْقَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا .
 مِثْلُ الْخُلُقِ السَّوِّءِ وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبُعْدِ وَأَطْوَلَ الطُّوْلِ فَلَمْ أَقْعُ فِي
 شَيْءٍ أَضُرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرِّمَاءِ
 فَلَمْ أَرِ نَارًا أَحْرَأَ عَلَيَّ مِنْ غَضِي إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّي . وَطَالَ بَيْتِي الطَّلَابُ فَلَمْ

يُذَكِّرُنِي مُذَرِّكَ مِثْلُ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سُبْحَانَهُ . وَأَتَمَسْتُ الرَّاخَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئًا أَرْوَحُ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَغْنِيهَا . وَرَكِبْتُ النِّجَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ
فَلَمْ أَرْ هَوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوْدِ . وَعَالَجْتُ السَّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذَّنَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَغَلَبْتُهَا فَعَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ
السَّوْدِ وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكِرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلْذَّ مِنْ
الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنْ
الْإِنْسَانِ السَّوْدِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا أَمْرًا مِنْ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجُيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قِرْنًا أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السَّوْدِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُذِلُّ الْعَزِيزَ وَيَكْسِرُ
الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذْلًا مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِشْتُ
بِالنَّشَابِ وَرَجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السَّوْدِ يُخْرِجُ مِنْ
فَمِّ مُطَالِبٍ بِحَقٍّ . عَمَرْتُ السِّجْنَ وَشَدِدْتُ فِي الْوَنَاقِ وَضُرِبْتُ
بِعَمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي الْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَعْتُ الْأَخْوَانَ وَأَتَخَيْتُ الْأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ وَالشَّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئًا أَخِيرَ مِنَ الْكَرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَغْنَى مِنَ الْقَنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالْخَايِرِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْغُرْبَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرِ أَذْلَ مِنْ
مُقَاسَاةِ الْجَارِ السَّوِّءِ . وَشِدَّتِ الْبُيُوتُ لِإِعْزَازِهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرِ شَرْفًا
أَرْفَعَ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمَرْوُوفِ . وَلَيْسَتْ الْكُتُبُ الْفَاحِشَةُ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ
مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ

٦٢ (فصل) مِنْ حِكْمِ شَتَائِقِ الْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ مُتَحَلِّ
الْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ابْنِ قُبَايْصِ الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْوَالِي أَتَقِ عَثَرَاتِ
الزَّمَانِ وَأَخْشَ تَسَاطُطِ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ غَلَبَةُ الدَّهْرِ . وَأَعْلَمَ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ
جَزَاءً فَأَتَقِ الْعَوَاقِبَ وَلِلْأَيَّامِ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانُ مُتَقَابٌ
مُتَوَلٍّ فَاحْذَرْ تَقَلُّبَهُ . لَيْمُ الْكُرَّةِ فَخَفِ سَطَوَتَهُ . سَرِيعُ الْغَيَرَةِ فَلَا تَأْمَنْ
دَوْلَتَهُ . وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يُدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامٍ إِلَّا تَامَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّفَاءِ فِي دَارٍ لَا دَوَاءَ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَهُ
وَأَسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرِ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ بُبْلُهُ . وَمَنْ لَمْ
يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ
يَضْبِطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صَعِبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ
وُخْشُونَةُ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ الرِّعْيَةِ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
الْمُلْكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدَأِ الْمَلِكُ إِسْلَاطَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
عَدُوٍّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعْ فِي قَهْرِ حَوَاسِهِ
الْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صُوْنِحَاتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ

الْقُوَّةِ الْحَذَرَةَ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمُ
 أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِأُخْرَى فَاقْتَهَرَهَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا .
 وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَرَّاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسُ
 فَلَيْسَتْ كُنْ مِنْ حَرِّهَا وَيُجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَذْنُو مِنْهَا فَتُحْرِقُهُ . وَالظَّبْيُ عَلَى
 نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَأِهي فَيُمْكِنُ الْقَانِصُ مِنْ
 نَفْسِهِ . وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتَحْصُلُ الصِّمَارَةُ
 فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يَحْسُنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يُشَبَّهَ تَصَارِيفَ تَذْيِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
 الْغَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالرَّيْحُ وَالنَّارُ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالْمَوْتُ . فَأَمَّا
 شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ
 كَذَلِكَ يَتَنَبَّيُ لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا
 لِثَمَنَةِ السَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
 بِمَنْزِلَتِهِ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي الْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْمَةٍ وَشَرْفٍ وَغَائِطٍ
 مُسْتَفِيلٍ . وَيَعْمُرُ كَلَّامِينَ مَا بِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبُ الْمَلِكُ فِي
 الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُصُوقَهُ مِنْ غَلَاتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجِيبُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
 وَحِدَةً فَعَلِمَا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْإِمْطَارِ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرِّيحِ)
 فَإِنَّ الرِّيحَ لَطِيفَةُ الْمَدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتُهَا مَكَانٌ
 كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَتَنَبَّيُ أَنْ يَتَوَلَّجَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَاسِيسِهِ وَعِيُونِهِ
 لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتِرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

(وَكَا لَقَمَرٍ) إِذَا اسْتَهْلَ تَمَامُهُ فَأَضَاءَ وَأَعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسَرَّ النَّاسُ
بِضَوِّهِ . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِبَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ وَإِنْجَاسِهِ
رَعِيَّتُهُ بِبَشَرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيْفًا دُونَ وَضِيعٍ بَعْدَهِ . (وَكَا لَنَارٍ) عَلَى أَهْلِ
الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ . (وَكَا لَأَرْضٍ) عَلَى كِسْمَانِ السِّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ
وَالْأَمَانَةِ . (وَكَا قِيَةِ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يَقْصُرُ
عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَنْجَاوِزُهُ . (وَكَا لِمَاءٍ) فِي لَيْسِهِ لِيَنْ لَا يَنْهُ . وَهَذِهِ
وَأَفْتِلَاحُهُ عَظِيمُ الشَّجَرِ لِيَنْ جَاذِبُهُ

(الطرطوشي)

اشعار حكيمية

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاه :

السَّيْلُ يَقْلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الصَّخْرُ يَنْقَطِرُ
حَتَّى يُوَافِيَ عِبَابَ النَّجْرِ تَنْظُرُهُ قَدْ اضْطَحَلَ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارُهُ فَإِذَا بَادَرْتُهُ تَحْدَا
وَأَنْ تَوَانَيْتَ عَنْ إِطْفَافِهِ كَسَلًا أَوْرَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقَلْبَ وَالْكَيْدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ لَمَا أَفَادُوكَ فِي إِتْحَادِهَا أَبَدَا
وَقَالَ أَيْضًا :

أَرَى النَّاسَ يُوَلُّونَ الْغَنِيَّ كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرِفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيَلُوونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَلَاقَى بِأَكْبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارِ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تَعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيهَا
بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكَ
تَبَتُّغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جَنَسِكَ
قَالَ آخَرُ :

لَا يُعْجِبَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
لَوْ زِيدَتْ الشَّمْسُ فِي أَجْرَاهَا مِثَّةً
فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فَضَائِلِهَا
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ
قَوْمٌ هَوَوْا مَعَهُ فُضَّاعَ وَضِعًا
غَرِقَتْ وَفَرَّقَ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَمَّا
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَنْبَا زُرْعًا
فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زُرْعًا
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مَاهَانَ الْخَزَاعِي :

إِقْبِضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ
فَلْتَحْزِرْ أَيَّامَ الْفَتَى
تَوَكَّنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِجٌ
يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ

٦٦ قَالَ الْقَطَامِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ تَقُوتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجُهُمْ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَغْنَى الزَّلَالُ
مَعَ التَّرَاخِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجِلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ
فَمَا حَسَنُ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بُشَيْرٍ :

لَأَنْ أَرْجِي عِنْدَ الْغُرَى بِالْخُلُقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِثْلًا
وَأَجْتَرِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعَلَقِ
مَعْقُودَةً لِلنَّاسِ فِي عُنُقِي
وَإِنِّي وَإِنْ قَصَرْتُ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي
لَتَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي
وَكَانَ مَا لِي لَا يَتَّوَى عَلَى خُلُقِي
عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي الْمَنْهَلِ الرَّثِقِ
وَقَالَ أَيْضًا :

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرُّوحَاتِ وَالْدُّجَا
كَمْ مِنْ مَقْتِي قَصَرْتُ فِي الرِّزْقِ خُطُوتهُ
أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَزَكُّبُ الْحُجَا
إِنْ الْأُمُورَ إِذَا انْتَسَدَتْ مَسَالِكُهَا
أَلْقَيْتُهُ بِسَهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
لَا تَيَاسَّنْ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ
فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا أَرْتَجَا
أَخْلَقَ بِيَدِي الصَّبْرَ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ
إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
قَدَّرَ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
وَمُدْمِنَ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
وَلَا يُغْنِيكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةِ رَجُلَا
وَقَالَ التَّنِيذِيُّ :

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا
وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ
قَالَ آخَرُ :

فَقَرُّ الْقَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَّ أَرْتَمِسٍ عِنْدَ الْمَغِيبِ
 إِنْ غَابَ لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ الْوَرَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبِ
 يَجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَحْفِيًّا وَفِي الْفَلَائِكِ بِدَمْعِ صَيْبِ
 وَاللَّهِ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا بَلَغَ الْفَقْرَ إِلَّا غَرِيبُ
 قَالَ نَاهِضُ الْكِلَابِي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ الْحَرَمَ حِينَ يَكُونُ فَرْدًا
 قَالَ آخَرُ :

مَا مِنْ الْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبُعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَانْظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجَ بَعْدَ الدُّخُولِ
 ٦٩ كَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى أَبِيهِ الْحُسَيْنِ :

أَحْسِنُ إِلَيَّ وَاعِظْ وَمُودِبْ فَافْهَمْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمُتَادِبُ
 وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنِ يَنْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تَعَطِبُ
 أَبْنِيَّ إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 لَا تَجْعَلَنَّ أُمَالَكَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا وَتَتَّقِ إِلَهَكَ فَاجْعَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
 كَفَلَ الْإِلَهِ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ وَأُمَالُ عَارِيَةٍ تَحْجِي وَتَذْهَبُ
 وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَقُّتِ نَاطِرٍ سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبِّبُ
 وَمَنْ السُّيُولُ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَالطَّيْرُ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تَصُوبُ
 أَبْنِيَّ إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ فَمَنْ الَّذِي يُعْظَاهُ يَتَادِبُ

وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَةٍ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذَابِهِ
إِنِّي أَبُو بَعَثْتَنِي وَخَطِئْتَنِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
فَأَسْأَلُ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
وَأَجِدُ لَعْلَكَ أَنْ تُحِلَّ بِأَرْضِهَا
بَادِرُ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
وَأَخْضُضُ جَنَاحَكَ لِلضَّعِيفِ وَكُنْ لَهُ
وَالضُّعُوفِ فَكُنْ مَا اسْتَطَعْتَ جَوَارَهُ
وَأَجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا أَخِيَتْهُ
وَأَطْلُبُهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمُنَى بِلِسَانِهِ
وَأَحْذَرُ ذَوِي الْمُلْتَقِ اللَّيَامِ فَإِنَّهُمْ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ
وَلَقَدْ تَصَحَّحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ تَصِحَّتِي
٧٠ وَكَتَبَ لَهُ أَيْضًا :

عَلَيْكَ بَيْتُ الْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
فَلَا تَضْحَكَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
وَرِ ذَوِي الْقُرْبَى وَرِ الْأَبَاعِدِ
عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكُفَّ الْأَذَى وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ
وَتَأْفِسْ بِذَلِّ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
وَعُضِّ عَنْ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنِبْ
وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُؤَمِّلَ
وَكُلْ صَدِيقَ لَيْسَ فِي اللَّهِ وَدَهُ
٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدِّمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرَوْدًا
وَأَهْتَمَّ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
وَأَجْعَلْ تَرَوْدَكَ الْحَقَافَةَ وَالتَّقَى
وَأَقْعِ بِقُوتِكَ فَالْفَنَاءُ هُوَ الْغَنَى
وَأَحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّئَامِ فَإِنَّهُمْ
أَهْلُ الْمَوَدَّةِ مَا أَتَلَّهْمُ الرِّضَا
لَا تُفْشِ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرِي
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا
لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ
فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْفَتَى
وَدَعِ الْمَزَاحَ قَرُبَ لَفْظَةٍ مَازِحٍ
فَلَقَدْ تُفَارِقُهَا وَأَنْتَ مُوَدَّعُ
أَنَايَ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
قَلَمٌ حَقَّقَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
وَالْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَشْنَعُ
مَنْعُولُ صَفْوٍ وَدَادِهِمْ وَتَصْنَعُوا
وَإِذَا مَنَعْتَ فَمِنْهُمْ لَكَ مُنْقَعُ
يُفْشِي إِلَيْكَ سَرَائِرًا لَيْسَتْ دُوعُ
فَكُذِّبْ بِسِرِّكَ لَا حِمْلَةَ يَصْنَعُ
قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْنَعُ
وَلَعَلَّهُ خَرِقُ سَفِيهِ أَرْقِعُ
جَلَبَتْ إِلَيْكَ بَلَايَا لَا تُدْفَعُ

وَحِفَاطَ جَارٍ لَا تُضَعُّهُ فَإِنَّهُ
وَإِذَا اسْتَمَّاكَ ذُو الْإِسَاءَةِ عَثْرَةً
وَإِذَا أُوثِنْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَأَخْفِهَا
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَاطِعُ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِ النَّفْسَ وَأَحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا
وَلَا تُزَيِّنِ النَّاسَ إِلَّا تَجْمَلًا
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
يَعِزُّ غَنِي النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَلَوْنِ
جَوَادٍ إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ قَالَ :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ
وَيَظَلُّ يَرْقَعُ وَالْخُطُوبُ تَمَزِقُ
وَلَا نَ يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَجْحَقُ
فَارَبًّا بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَجْمَعًا
إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
يَبْدِي عُقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنَاطِقُ
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيُطْرَقُ

حَتَّى يَحُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
 لَا الْفَيْنَكَ نَأْوِيَا فِي غُرْبَةٍ
 مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
 وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
 لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عَمَلِهِمْ
 لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
 وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقِيَا
 سَكَتَ الَّذِي تَبَعَ الْعَرُوسَ مُبَهَّتًا
 وَإِذَا أَمْرُوهُ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً
 بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا
 ٧٤ قَالَ دِرْزَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ:

وَلِالصَّبْحِ وَاللَّيْلِ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
 لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةً
 مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا
 أَدُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي
 يَمْلِكُ شَيْئًا لِأَمْرِهِ وَرَعَهُ
 قَدْ يَجْمَعُ أَمْالًا غَيْرَ آكِلِهِ
 يَأْقُومُ مِنْ عَازِرِي مِنَ الْخُدَعَةِ
 وَيَقْطَعُ الثَّوبَ غَيْرَ لَا يَسِهِ
 وَيَأْكُلُ أَمْالًا ذَيْرٌ مِنْ جَمْعِهِ
 وَيَلْبَسُ الثَّوبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهُ
 مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَاشِيهِ نَفَعَهُ
 فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
 وَصِلْ جِبَالَ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ
 وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَالِكَ أَنْ تَرْكُمَ يَوْمًا وَالِدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِي) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً وَالْقَوَافِيهَا تَصَانِيفٌ . فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ عَصَى بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنَ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةٍ نَفْسِهِ . الْبَعْدِيمُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى لَيْمٍ . مَنْ لَمْ يَتَعَبَّرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السَّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ . رَبُّ عَيْتٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍ . أَنْتَ مُزِرٌ نَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونُكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجُهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَالَ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِقِيلٍ وَقَالَ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ . غَتُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِّينَ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمُسِيرَ أَذْرَكَ الْقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَهَجَاوِرِ التَّجَرِّ لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّيْمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ فِي الْمَقَارَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنَامُ قَرَائِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فَلْسَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجِدَدَ أَمِنَ الْعِتَارَ (للطَّرطُوشِي)

نبد من كلام الزمخشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السَّمَّ
أَتَكَالَ عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
الْعَلَانِيَةِ وَيُؤَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
الْلُطْفُ رُشُوءٌ مِنْ لَا رُشُوءَ لَهُ . مَنْ تَلَجَّرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَسْ يَبْعُهُ . وَلَمْ
يُخَسَّرْ رَيْبُهُ . أَدْوِيَةُ الدُّنْيَا تَقْصُرُ عَنْ شُمُومِهَا . وَتَسِيْمُهَا لَا يَفِي بِسُمُومِهَا .
مَنْ زَرَعَ الْإِحْسَانَ حَصَدَ الْخَيْرَ . لَا بُدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوَاطِ . وَإِنْ كَانَ
بَعِيدَ الشَّوْطِ . شُعَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفَا . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُطْفَأُ . أَعْمَالُكَ
نَيْلٌ . إِنْ لَمْ تُضَيِّحْهَا بِنَيْلٍ . لَا يَجِدُ الْآخِرُ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْمَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عَمَلِهِ كَفَاتِحَتِهِ .
وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاتِحَتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ التَّقْوَى . وَأَجَلُ مَا لَيْسَتْ
الْوَرَعُ . وَأَحْسَنُ مَا أَكْتَسَيْتَ الْحَسَنَاتُ . كَفَى بِالظُّفْرِ شَفِيعًا بِالذَّنْبِ .
أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْحَقْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتِدِ : لِمَ تَشْفِينِي . قَالَ : سَلْ
مَنْ يَدْفِنِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رَبُّمَا كَانَ حَنَفٌ أَمَرِي فِي مَا تَمَنَّى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرَ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
يَذْمُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِينَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
وَالْأَحْنَاسِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّمِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشَجُّعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عَفْرِينَ . وَأَخَذَرُ مِنْ غُرَابٍ .
وَأَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ
قَرَسٍ . وَأَنُومُ مِنْ قَهْدٍ . وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ صَفْرَدٍ . وَأَضْرَعُ
مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبِرُ مِنْ عَوْدٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ .
وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذَبُ مِنْ قَاخِثَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ .
وَأَجُوعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْعَفُوقِ . (الصَّافِرُ)
الْبَصِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعَوْدُ الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأُنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
إِنَّهُ يَبْيِضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْقَارَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَالْقَاخِثَةُ
طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ

(مَا ضَرَبَ بِهِ الْمَثْلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَّانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النِّجَمِ .
وَأَجُودُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَعُ مِنَ الْبَجْرِ . وَأَنُودُ مِنْ
النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ رَجَلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمِيَّةٍ .
وَأَزْهَى مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَنَسُ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضْيَقُ
مِنْ قَرَارٍ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَاذَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
الْوُحْيِ فِي الصَّمِّ الصَّلَابِ . وَأَخَفُ مِنْ رِيشِ الْخَوَاصِلِ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)
٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٍ تَجْرِي الْمَثْلُ وَهِيَ لِشِعْرَاءَ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِنَغِيرِ سِلَاحٍ
إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلرَّءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِهِ الْمَكَاسِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَّتْ وَإِنْ تَقَصَّدَ إِلَى الْأَبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ طَيْبِكَ كُلِّ مَا
 إِنِ اخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولُ
 أَرَى مَاءَ وَيَّيْ عَطَشٍ شَدِيدُ
 إِذَا رُمْتَ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُزْرَى بِقَدْرِهِ
 إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ
 إِنْ تَجِدَ عِيَا فَسُدَّ الْحُلُلَا
 تَفَرَّقَتْ غَنِيَّ يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا
 تَرَقَّبْ خِزَا الْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا
 ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَتُهُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدَحِ
 الرَّاْيُ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِعَارِضِ
 سَبْكَنَاهُ وَتَحْسَبُهُ لِحِينًا
 عَفَاكَ غِيٌّ إِنَّمَا عَفَا الْفَتَى
 عَلَامُ آتَاهُ الْوُؤْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ
 وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
 يَسُرُّكَ أَعْبَدْتَ الدَّوَاءَ عَنِ السُّقْمِ
 فِقَسْ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
 فَإِنْ مَعَارِضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِي لَهُ الْوُدَّ أَغْضِبُهُ
 إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
 فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ
 وَصَدَقَ مَا يَتَكَادَهُ مِنْ تَوَهُمِ
 جَلَّ مِنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذُّبَّ وَالضُّبْعَا
 وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تُسِي
 وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ الْمَطَرُ
 مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 وَإِنْ غَدَا أَقَوْمٌ مِنْ قِدَحِ
 يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَلُّهُ التَّذْكِيرُ
 فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ
 إِذَا عَفَّ مِنْ لَذَاتِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أَمْرٍ وَلَا أَبِي

فَقَالَ قُمْ فَلْتُ رَجُلِي لَا تَطَاوُعْنِي
فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْهَتَى
قَالِدُرٌ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَنَى
قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صِدَقًا وَإِنْ كَذِبًا
لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيًّا حُسْنَ بَرْتِهِ
لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
لَا تَتَرَنَّكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرْمُ
لَا تَحْسَبِ الْمُجْدِرُطْبَا أَنْتَ آكُلُهُ
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
لَا تَحْقِرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدُهُ
لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا
مَا لِقَوِي عَنْ ضَعِيفٍ غِنَى
مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ الْغَابِ إِنْ زَارَتْ
لَا يَحْمِلُ الْحَمْدُ مَنْ تَعَلَّوْهُ الرُّتْبُ
الْمَرْءُ يَحْيَا بِالسَّاقِ وَلَا عَضُدِ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
وَقَدْ يَكْشِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

فَقَالَ خَذُ قُلْتُ كَفَى لَا تُؤَاتِينِي
فَمَا كُلُّ مَصْفُولٍ الْحَدِيدِ يَمَانِي
مَا حَطَّ قِيمَتُهُ هَوَانُ الْغَانِصِ
فَمَا أَحْتِمَاكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةً الْكَفَنِ
فَالْتَمِثُ لَا يَخْلُو مِنْ الْغَثِ
مَ قِيَارُ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ
لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
حَتَّى يَرَاكَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
وَلَرُبَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثَّلَبُ
وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْمَلَلِ
أَنِّي بِمَا أَنَا بَالِكٍ مِنْهُ مُحْسُودُ
لَا بُدَّ لِلْسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ
فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْجَمْرِ إِنْ نَبَحَتْ
وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ
وَلَا يَعْيشُ بِالْأَقْلَابِ وَلَا أَدَبُ
تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
كَمَا يَكْشِفُ الشَّمْسُ جَرْمُ الْقَمَرِ
حَلَاوَتُهُ تَقْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزَرٍ
وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ إِلَى الدُّخَانِ لَمْ تَجِدْ
وَمَا آتِي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجُدْعَ مُعْرِضًا
وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَلَسْتُ الْأَعْدَاءَ فِي آرَائِهِمْ
وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُوَوِّلُ إِلَى بَلِي
وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا
وَمَاذَا أَرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
وَنَارٌ إِنْ تَفَحَّتْ بِهَا أَضَاءَتْ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا
وَيُمْكِنُ وَضْلُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى الْعُمْرِ مَوْتًا
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي الْعَدَاوَةِ كَفَّهُ
يَهْوَى النَّتَاءَ مَبْرُزٌ وَمَقْصَرٌ
يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ
ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
وَتَعَجَّبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَدَى
فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَاعِلٌ
سَبَبُ لَجْمِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
تَعَبْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَانِمٍ
وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جِبَّةَ لَا يَسُ
وَلَيْسَ يَكْشِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْخُحُ فِي رَمَادٍ
كَمَا خُطِّي الْقِرطَاسُ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ
وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرِّبْطِ
كَمَا أَنَّ عَيْنَ السَّخَطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهُوَ لَا شَكَّ هَالِكٌ
حُبُّ النَّتَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

الْبَابُ السَّادِسُ فِي أَمْثَالٍ عَنِ أَلْسِنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ باز وديك تنَظَرَا . فَقَالَ الْبَازِي لِلدَّيْكِ : مَا أَعْرِفُ أَقَلَّ
وَقَاءَ مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُؤْخَذُ بَيْضَةً وَتَحْضُنُكَ
أَهْلَكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيُطْعِمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبِرْتَ
صِرْتَ لَا يَدُؤُ مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرَتْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصَحَتْ .
وَعَلَوْتَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِنِينَ فَطَرْتَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا
أَنَا فَأُؤْخَذُ مِنَ الْجِبَالِ وَقَدْ كَبِرَ سِنِي فَتَخَاطَبَنِي . وَأُطْعَمُ الشَّيْءَ
الْيَسِيرَ وَأَسْهَدُ فَأَمْنَعُ مِنَ النَّوْمِ وَأُنْسِي الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ . ثُمَّ أُطْلَقُ
عَلَى الصَّيْدِ وَحَدِي فَأُطِيرُ إِلَيْهِ وَأَخْذُهُ وَأَجِي بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ
لَهُ الدَّيْكِ : ذَهَبَتْ عَنْكَ الْحُجَّةُ أَمَا لَوِ رَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفْوَةِ النَّارِ
مَا عُدْتَ إِلَيْهِمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى السَّفَافِيدَ مَمْلُوءَةً دُيُوكًا . فَلَا تَكُنْ
حَلِيمًا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ (لباء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حُكِيَ أَنَّهُ أُخْتِمَ بُرْغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ الْبَعُوضَةُ لِلْبُرْغُوثِ :
إِنِّي لَا أَعْجَبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَحُ بَيَانًا .
وَأَرْجَحُ مِيزَانًا . وَأَكْثَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيْرَانًا . وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَضْرَبَنِي

الْجُوعُ . وَحَرَمَنِي الْهُجُوعَ . وَلَا أزالُ عَلِيلَةً مُجْهُودَةً . مُبْعَدَةً عَنِ الطَّرِيقِ
مَطْرُودَةً . وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَاعِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا
الْبَرْغُوثُ : أَنْتَ بَيْنَ الْعَالَمِ مُطْنَطِنَةٌ . وَعَلَى رُؤُسِهِمْ مُدْنِدَةٌ . وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوَّتِي . بِسَبَبِ سَكُونِي

اللبوة والغزال والقرد

٨١ حَكِي أَنْ لَبُوءَةً كَانَتْ سَاكِنَةً بِنَافِيَةٍ . وَبِجَوَارِهَا غَزَالٌ وَقِرْدٌ قَدْ
أَلَقَتْ جَوَارِهَا وَأَسْتَحْصَلَتْ عِشْرَتَهُمَا . وَكَانَ لِتِلْكَ اللَّبُوءَةِ شَبْلٌ صَغِيرٌ
قَدْ شَغِفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِجَارِهَا
الْغَزَالِ أَوْلَادٌ صِغَارٌ . وَكَانَتْ اللَّبُوءَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ يَتَّبِعِي قُوَّتًا
لِشَبْلِهَا مِنَ النَّبَاتِ وَصِغَارِ الْحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغَزَالِ . وَهُمْ يَأْمُونُونَ بِبَابِ حُجْرِهِمْ . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاقتِصَاصِ
وَاحِدٍ مِنْ أَعْمَالِهِ قُوَّتَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَسْتَرِيحَ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ . ثُمَّ أَقْلَمَتْ
عَنْ هَذَا الْعَزْمِ لِحُرْمَةِ الْجَوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا الشَّرُّ ثَانِيًا مَعَ مَا تَجَدُّهُ فِي
نَفْسِهَا مِنَ الْقُوَّةِ . وَأَكْثَرَ ذَلِكَ ضَعْفُ الْغَزَالِ وَاسْتِلاَمُهُ لِأَمْرِ اللَّبُوءَةِ .
فَأَخَذَتْ طَبِيئًا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الْغَزَالُ دَاخِلَهُ الْحُزْنَ وَالْفَلَقَ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إظهارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِجَارِهِ الْقِرْدِ . فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تُقْلَعُ عَنْ هَذَا وَنَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ
أَذْكُرَهَا عَاقِبَةَ الْعُدَوَانِ وَحُرْمَةِ الْخَيْرَانِ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَتْ طَبِيئًا
ثَانِيًا فَلَقِيَهَا الْقِرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاهَا وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا أَمْنُ

عَلَيْكَ مَاقِبَةُ الْبَنِيِّ وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَهَلْ أَقْتَنَاصِي لِأَوْلَادِ
الْغَزَالِ. إِلَّا كَأَقْتَنَاصِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ. وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوَّتِي وَقَدْ
سَافَهُ الْقَدَرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي. فَقَالَ لَهَا الْقَرْدُ: هَكَذَا اغْتَرَّ الْفِيلُ بِعَظِيمِ
جُثَّتِهِ. وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَجَثَّ عَنْ حَنْفِهِ بِظُلْفِهِ. وَأَوْبَقَهُ الْبَنِيُّ رَغَمَ أَنْفِهِ.
فَقَالَتِ اللَّبُوءَةُ: كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ. قَالَ الْقَرْدُ: ذَكِّرُوا أَنَّ قَسْبَةَ
كَانَ لَهَا عَشْرُ فَبَاضَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فِيلٌ
وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ. وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عَشْرِ الْقُسْبَةِ.
فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبَهُ فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ الْمَشْرِبِ وَوَطَّئَهُ وَهَشَّمَ
رُكْنَهُ. وَأَتَانِفَ الْبَيْضِ وَأَهْلَكَ الْأَفْرَاحَ. فَلَمَّا نَظَرَتِ الْقُسْبَةُ إِلَى مَا حَلَّ
بِعُشْبِهَا سَاءَ مَا ذَلِكَ وَعِلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ الْفِيلِ. فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
رَأْسِهِ بِأَكِيَّةٍ وَقَالَتْ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطَّئْتَ عُشْبِي
وَهَشَّمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَا فِي جَوَارِكِ. أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
أَسْتَضْعَافًا بِحَالِي وَقَلَّةٍ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي. قَالَ الْفِيلُ: هُوَ كَذَلِكَ.
فَانْصَرَفَتِ الْقُسْبَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ
فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ: وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْفِيلِ وَنَمُخَّنْ طُيُورُ. وَقَالَتْ
لِلْعَمَاقِ وَالْغُرَبَانِ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَقْتُلُوهُ
عَيْنِيهِ. فَإِنَّا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى. فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
وَمَضَوْا إِلَى الْفِيلِ. وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَجَادَبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَنْقُرُونَ عَيْنِيهِ إِلَى
أَنْ فَسَدَتْهَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ. فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعُ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْقِلِّ . فَقَالَتْ
 الضَّفَادِعُ : مَا حَاسِبْتُمَا مَعَ الْقِلِّ وَلَسْنَا أَكْفَاهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
 الْقُبْرَةُ : أَحِبُّ مَنُكُنْ أَنْ تَذْهَبْنَ مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقِفْنَ
 تَضِجْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتُكُنْ لَمْ يَشْكُ أَنْ يَهَا مَاءٌ فَيَكِبُ نَفْسَهُ فِيهَا .
 فَأَجَابَهَا الضَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْقِلُّ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْحُقْرَةِ
 تَوَهَّم أَنْ يَهَا مَاءٌ . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَ مُكْبًا عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
 فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتِ الْقُبْرَةُ تُزْفِرُ عَلَى
 رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَغْتَرِبُ قُوَّتُهُ الصَّائِلُ عَلَى ضِعْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
 حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُسْثِي . وَبِلَادَةٍ فَهَمَّكَ مَعَ كِبَرِ جَسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
 عَاقِبَةَ الْبَنِيِّ وَالْعُدْوَانِ . وَمُسَالَمَةِ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ الْقِلُّ مُسَلَكًا لِحَوَائِهَا .
 وَلَا طَرِيقًا لِحَطَائِهَا . فَلَمَّا أَتَتْهُ الْقِرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِابُوءَةِ مِنَ
 الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ أَنْتَهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْغَزَالَ اتَّقَلَّ
 بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهِ يَبْتَغِي لَهُمْ جُحْرًا آخَرَ . وَإِنَّ الْابُوءَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
 يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَرَكَتْ شَبَاهَا . فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
 وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ الْابُوءَةُ وَرَأَتْ شَبَاهَا
 مَقْتُولًا مَسْلُوخًا رَأَتْ أَمْرًا فَظِيمًا . فَأَمْلَأَتْ غِيظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
 وَدَاخَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
 وَمَا دِهَالِكِ . فَقَالَتِ الْابُوءَةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشَيْئٍ فَفَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
 لَهَا : لَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكِ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَنْكَ. فَكَمَا يَدِينُ أَلْفَتِي يُدَانُ. وَجَزَاءُ الدَّهْرِ بِمِيزَانٍ.
وَمَنْ يَذَرُ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَيَقْدِرُ بِذَرِهِ يَكُونُ الثَّرَى. وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
مِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ. وَإِنَّ حَقًّا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَجْزِعِي مِنْ هَذَا
الْأَمْرِ. وَأَنْ تَتَدَرَّعِي لَهُ بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ. فَقَالَتِ اللَّبْوَةُ: كَيْفَ لَا
أَجْزِعُ وَهُوَ قُرَّةُ أَعْيُنٍ وَوَاحِدُ الْقُلُوبِ وَزُورَةُ الْفِكْرِ. وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ
لِي بَعْدَهُ. فَقَالَ لَهَا الْفَرْدُ: أَتَيْتَهَا اللَّبْوَةُ مَا الَّذِي كَانَ يُغْدِيكَ
وَيُعْشِيكَ. قَالَتْ: لَحُومُ الْوُحُوشِ. قَالَ الْفَرْدُ: أَمَا كَانَ لِكَانِ
الْوُحُوشِ الَّتِي كُنْتَ تَأْكُلِينَهَا آبَاءُ وَأُمَّهَاتُ. قَالَتْ: بَلَى. قَالَ الْفَرْدُ:
فَمَا بَالُنَا لَا نَسْمَعُ لِأَوْلَئِكَ الْآبَاءِ وَلَا الْأُمَّهَاتِ صِيَاحًا وَصُرَاخًا كَمَا سَمِعَ
مِنْكَ وَلَقَدْ أُنْزِلَ بِكَ هَذَا الْأَمْرُ جَهْلُكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكَ فِيهَا.
وَقَدْ تَصَحَّحْتَكَ حِينَ حَقَرْتَ حَقَّ الْجَوَارِ. وَأَلْحَقْتَ بِنَفْسِكَ الْعَارَ.
وَجَاوَزْتَ بِقُوَّتِكَ حَدَّ الْأَنْصَافِ. وَسَطَوْتَ عَلَى الظُّلَمَاءِ الضُّعَافِ.
فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ مُخَالَفَةِ الصَّدِيقِ النَّاصِحِ. قَالَتِ اللَّبْوَةُ: وَجَدْتُهُ
مُرًّا الْمَذَاقِ. وَلَمَّا عَلِمَتِ اللَّبْوَةُ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدُهَا مِنْ ظُلْمِ
الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّومِ. وَصَارَتْ تَقْنَعُ
بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيشِ الْقُلُوبَاتِ (بستان الاذهان للشبراي)

ساعة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحَاضِرِ
٨٢ حُكِي أَنَّ سَاعَةً قَدِيمَةً كَانَتْ مَرْكُوزَةً فِي مَطْبَخِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونَ أَنْ يَبْدُوَ مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يُكَدِّرُهُ . غَيْرَ
أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَعَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَقِظَ أَصْحَابُ الْحُلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهَيْهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدُهِشَ .
وَبَذَلَتْ الْعَقَارِبُ جُحْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَّى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأُولَى .
وَعَدَّتْ الدَّوَالِبُ عِدْمَةَ الْحَرَكَةِ لِمَا شَبَّهَهَا مِنَ التَّجَبُّ . وَأَصْبَحَ الثَّقَلُ
وَأَقْفَالًا يُبَدِّئُ وَلَا يُعِيدُ . وَرَأَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِلَّ الذَّنْبَ عَلَى أُخْتِهَا
وَطَفِقَ الْوَجْهُ يُخْشِعُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتِ الدَّوَالِبُ
وَالْعَقَارِبُ تُبْرِئُ نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتٍ خَفِيِّ سَمِعَ مِنَ الدَّقَاقِ
بِأَسْفَلِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقْرَأُ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ
عِلَّةَ هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَاءَ بَيْنَ لَكُمْ سَبَبُ ذَلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِفْذَاعِكُمْ
أَجْمَعِينَ . وَالْحَقُّ أَقُولُ إِنِّي مَلَيْتُ مِنَ الدَّقِّ . فَلَمَّا سَمِعَتِ السَّاعَةُ
مَقَالَتهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
تَبَّأَ لَكَ مِنْ سَبَلِكِ ذِي كِبَالٍ . فَأَجَابَهُ الدَّقَاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَيِّدِي
الْوَجْهُ : لَا جَرَمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدْ دَافَعْتَ عَنْ نَفْسِكَ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُوَ غَيْرَكَ كَسَالًا
وَتَنْسِبُهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عَمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّحْدِيقُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
بِرُؤْيَا مَا يَحْدُثُ فِي الظُّلَمِ . وَوَدَّتْ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي فِي مَوْضِعِ ضَنْكِ
مُظْلِمٍ كَهَذَا . وَتَحْيِزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ عَجْزٍ وَذَهَابٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوَلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَاقُ : بَلَى . وَلَكِنَّهَا مُظْلِمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي طَاقَةٌ فَلَا أَتَجَسَّرُ عَلَى التَّطَلُّعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ طَرَفَةً عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَالَتْ هَذِهِ الْحَالُ . وَإِنْ أَسْتَرَدَّيْتُ شَرْحًا . فَأَنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الْهَجْرَ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِّيَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوَحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقُ . فَبَادَرَ عَهْرُ الدَّقَائِقِ إِلَى الْعَدَدِ وَقَالَ بَدِيهَا : إِنَّ عِدَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي يَتَبَنَّى إِلَيْكَ فِيهَا الْحُجِّي وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ مَرَّةً . فَقَالَ الدَّقَاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَقَصَّتِي قَدْ رُفِعَتْ لَكُمْ) يُخَالُ أَنْ مُجَرَّدَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا لِمَنْ يُعَانِيهِ . عَلَى أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَائِقِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهْنَ عَظْمِي وَعَزَمِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ . وَبَعْدَ تَخَيُّلاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنِي . فَكَادَ الْوَجْهُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَكَالَةِ أَنْ لَا يَتِمَّ إِلَيْكَ عَنَّهُ . وَلَكِنَّهُ كَظُمَ غَيْظُهُ وَخَاطَبَهُ بِحِلْمٍ . وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَاقُ الْعَزِيزُ إِنِّي لَهِيَ تَعَجُّبٍ عَظِيمٍ مِنْ أَنْقِلَابِ شَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ لِشَلِّ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ بَقْتَةً . نَعَمْ إِنَّكَ وَلَيْتَ فِي عُمْرِكَ أَعْمَالًا جَسِيَّةً كَمَا عَلِمْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنَّ

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَحْدَهُ يُوجِبُ الْعَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَأَلْتَمَسُ مِنْكَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ مَعْرُوفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ
 الْأَنْسِيَّةَ دَقَّاتٍ لِيَتَضَحَّ مِصْدَاقُ مَا قُلْتُ . فَرَضِي الدَّقَّاقُ بِهَذَا وَدَقَّ
 سِتَّ دَقَّاتٍ جَرِيًّا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ حَيْثُ نَاشَدَكَ اللَّهُ
 هَلْ أَبَدَى لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْأَنْ نَصَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ
 مَلِي وَتَصْغِيرِي لَمْ يَنُشَأَنَّ سِتَّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَنْ سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَنْ
 أَلُوفٍ وَأَلُوفٍ أَلُوفٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يُدْغِي لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِيَّ . وَهُوَ أَنَّكَ تُتَفَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأَلُوفِ
 بِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ . وَأَمَّا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةُ دَقَّةٍ
 وَاحِدَةٍ لَا غَيْرَ . ثُمَّ مَا لَزِمَكَ بَعْدَهُ مِنَ الدَّقِّ يَفُتِّحُ اللَّهُ لَكَ فِي أَجَلٍ
 لِإِتْمَامِهِ . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَاكٍ فِيَّ وَأَمَّا لِي .
 فَقَالَ الْوَجْهُ : عَسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَعُودَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ الْمَنْزِلِ مُسْتَعْرِقِينَ فِي النَّوْمِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنْ الْأَثْقَالُ آتَتْ لَمْ تَكُنْ وَصِفَتْ قَطُّ بِالْحِفَّةِ مَا رَحَتْ
 تُغْرِى الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ .
 وَحِينَئِذٍ شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوَرَانِ . وَطَفِقَتْ الْعُقَارِبُ تَسِيرُ حَتَّى
 إِذَا ظَهَرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْنِخِ الْمَغْلَقِ مِنْ كَوَّةٍ فِيهِ أَمْتَلَا الْوَجْهَ
 ضِيَاءً وَانْجَلَى تَعْبُسُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَأَمَّا صَاحِبُ الْمَنْزِلِ
 فَلَمَّا زَلَّ إِلَى الْمَطْنِخِ لِيَفْطُرَ فِيهِ . نَظَرَ إِلَى السَّاعَةِ الْمُرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

السَّاعَةِ الَّتِي بِحِجْبِي تَأَخَّرَتْ فِي السَّيْرِ لِيَأْخُذَ الْبَحْرُ ثَلَاثِينَ دَقِيقَةً
قَرْدٌ وَغِيلِمٌ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفَرَهَا أَضَاعَهَا

٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قَرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ كَانَ مَلِكَ الْقِرَدَةِ وَكَانَ قَدٌ كَبِيرٌ
وَهَرِيمٌ . فَوُتِبَ عَلَيْهِ قَرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ
مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى السَّاحِلِ . فَوَجَدَ شَجَرَةً
تَيْنِ قَارَتَيِ إِلَيْهَا وَأَتَّخَذَهَا لَهُ مَقَامًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ
ثَمَرِهَا . إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِقَامًا . فَجَعَلَ
يَأْكُلُ وَيَرِي فِي الْمَاءِ فَاطْرَبَهُ ذَلِكَ فَكَثُرَ مِنْ تَطَرُّجِ التِّينِ فِيهِ . وَكَانَ
ثُمَّ غِيلِمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقَرْدَ إِنَّمَا
يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغَبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنَسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ . وَأَلْفَ
كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغِيلِمِ عَلَى زَوْجَتِهِ . فَحْزَعَتْ
عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ
لَهُ عَارِضٌ سَوْءٌ فَأَغْتَالَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنْ زَوْجَكَ بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلْفَ
قَرْدًا وَاللَّهِ الْقَرْدُ . هُوَ مُوَاكَلُهُ وَمُشَارِبُهُ وَتُجَالِسُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْغِيلِمَ أَنْطَلَقَ
بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةً أَحْزَالَ مَهْمُومَةٍ . فَقَالَ لَهَا :
مَا لِي أَرَاكَ هَكَذَا فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا : إِنَّ قَرِينَتَكَ مَرِيضَةٌ مُسْكِينَةٌ . وَقَدْ
وَصَفَتْ لَهَا الْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قَرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . فَقَالَ : هَذَا أَمْرٌ
عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قَرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأَشَاوِرُ صَدِيقِي . ثُمَّ

أَنْطَلَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ
 لَهُ الْغُلَامُ : مَا تُبْطِنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَاتِي . كَيْفَ أَجَازِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ
 إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ تُتِمَّ هَذَا الْإِحْسَانُ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي .
 فَأَتَى سَاكِنُ فِي جَزِيرَةِ طَبِيبَةِ الْفَالَكَةِ كَثِيرَةَ الْأَثْمَارِ . فَأَرْكَبَ ظَهْرِي
 لِأَسْمَحَ بِكَ . فَرَعِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ وَزَلَّ فَأَمْتَطَى مَطَا الْغُلَامِ . حَتَّى
 إِذَا سَجَّ بِهِ مَا سَجَّ عَرَضَ لَهُ قُبْحُ مَا أَصْحَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقَدْرِ فَتَكَسَّ
 رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُتَمًا . فَقَالَ الْغُلَامُ : إِنَّمَا هِيَ
 لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ قَرْبَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ . وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا
 أُرِيدُ أَنْ أُبْلِغَكَ مِنْ الْإِكْرَامِ وَالْإِلْطَافِ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنَّ الَّذِي
 اعْتَمَدْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوُونَةَ التَّكْلِيفِ . قَالَ الْغُلَامُ :
 أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : مَا اخْتَبَأَ الْغُلَامُ وَبُطُوهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ أَمِنًا أَنْ يَكُونَ
 قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيَّ وَحَالَ عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْفَ
 وَأَسْرَعَ تَغْيِيرًا مِنَ الْقَلْبِ . وَيُقَالُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَنْقُلَ عَنِ الثَّمَسِ
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ
 لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ . وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ
 قَلْبُ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيْبَةً . فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ وَيَتَّقِ
 ذَلِكَ فِي لَحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَهَرَ بِالسَّلَامَةِ .
 وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَهَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ . ثُمَّ قَالَ لِلْغُلَامِ : مَا الَّذِي

يَحْسُبُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
 قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تُتْلِي أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
 مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقَرْدُ : لَا تَهَمَّ . فَإِنَّ اللَّهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 اتَّمَسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَعْدِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
 يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
 وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا قَالَتِ الْأَطْبَاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
 لَهُمَا إِلَّا قَلْبُ قَرْدٍ . فَقَالَ الْقَرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسَوْءُ تَأَهُ لَهَذَا أَدْرَكَنِي الْحِرْصُ
 وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِ سِنِي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُورِطٍ . وَلَهَذَا صَدَقَ الَّذِي
 قَالَ : يَعْيشُ الْفَانِعُ الرَّاغِبُ مُسْتَرْجِحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرِّ
 يَعْيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ اخْتَبْتُ أَلَانَ إِلَى عَثَلِي فِي
 التَّمَسُّكِ الْخُرْجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ الْغَيْلَمُ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَعْلَمَنِي
 حَتَّى كُنْتُ أَجْمَلُ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْقَرَدَةِ إِذَا خَرَجَ
 أَحَدُنَا لِرِيزَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَفَ قَلْبُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَتَنَظَّرَ
 إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الزُّورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ
 أَلَانَ . قَالَ : خَلَفْتُهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
 بِهِ . فَفَرَحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْقَرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
 السَّاحِلَ وَثَبَ الْقَرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ
 نَادَاهُ يَا حَلِيلِي أَجْمَلُ قَلْبِكَ وَأَنْزَلَ فَقَدَعْتُنِي . فَقَالَ الْقَرْدُ : هِيَئَاتِ
 وَلَكِنَّكَ أَحْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِشَلِّ خَدِيعَتِكَ . وَاسْتَدْرَكْتُ

فَارْطَأْمَرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ
الْعَلِيَّامُ : صَدَقْتَ . إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّاحِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ
ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدِّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا .
كَالرَّجُلِ الَّذِي يَنْتَرِعُ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . فَهَذَا
مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كليله ودمنه)

الضبع والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فَيَّانٌ فِي صَيْدٍ لَهُمْ . فَأَنَارُوا ضَبْعًا فَفَقَرَتْ
وَمَرَّتْ فَأَتَّبَعُوهَا . فَلَجَّاتٍ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ مَسْلُولًا .
فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنِّي أَسْتَجَارْتُ بِي
فَقَلَّوْا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
الْأَلْبَنَ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَغَبُوقًا حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَيَنِمُّ هُوَ ذَاتَ
يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ :
وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِ الَّذِي لَا قِيَّامَ لِحُجْرٍ أَمٍّ عَامِسٍ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا أَسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ مَعَ الْأَمْنِ أَلْبَانَ اللَّفَّاحِ الدَّرَازِ
فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَاتَتْ كَبَتْ قُرْبَهُ بِأَنْيَابِهَا وَأَظَافِرِ
فَقُلْ لِدَوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُوجِّهُهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذئب وغراب وابن آوى وجل

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسُهُ
٨٥ زَعُمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابُ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ آوَى . وَإِنَّ رُعَاةَ مَرُوءٍ بِذَلِكَ
الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جَمَالٌ . فَخَلَفَ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى أَتَتْهُ
إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ
كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تُقِيمُ
عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخَصْبِ . فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ الصَّيْدَ فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا . فَقَاتَلَهُ
قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُتَخَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ . وَقَدْ
أَلْشَبَ الْفِيلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ . فَلَمْ يَكْدُ يَصِلْ إِلَى مَكَانِهِ . حَتَّى رَزَحَ لَا
يَسْتَطِيعُ حِرَاكَ وَحَرَّمَ طَلَبَ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا . لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
وَقَوَاضِيهِ . فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ . وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَخْتَجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا تُهْمُنَا
أَنْفُسُنَا . لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ فَلَبِثْنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ . قَالَ
الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ . وَلَكِنْ أَنْتَشِبُوا لَعَلَّكُمْ تَصِيدُونَ
صَيْدًا فَأَكْسِبَكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ . فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ . فَتَحَنُّوا نَاحِيَةً وَاتَّبَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا : مَا لَنَا وَلِهَذَا
الْأَكِيلُ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِن شَأْنِنَا . وَلَا رَأْيُهُ مِن رَأْيِنَا .
الْأَزِينُ لِلْأَسَدِ فَأَكُلُهُ وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ . قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا مِمَّا
لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ . لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيَبْصُرُ .
 وَنَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بَيْنَا مِنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقَنَا لِرَأْيِ
 وَاجْتِمَعْنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَاكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَلِيلُ أَكَلُ الْعُشْبِ الْمُنْتَوِعِ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ
 مَنَافَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدَّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلُ يُعْجَبُ صَلَاحُهُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ . غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَعْجَزَ مَقَالُكَ وَأَبْعَدُكَ مِنْ
 الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِئَ عَلَيَّ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ
 وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخُطَابِ . مَعَ مَا عَلِمْتُ أَنَّي قَدْ أَمَنْتُ الْجَلِيلَ وَجَعَلْتُ
 لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَلْبِغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقُ بَصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسٍ خَائِفَةٍ وَحَقَنَ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَنْتُهُ وَلَسْتُ
 بِالْمُقَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ النَّفْسُ
 الْوَاحِدَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ . وَأَهْلُ الْبَيْتِ يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ . وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلَتْ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيَهُ نَفْسُهُ وَلَا يَأْخُذَ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَمِلُ عَلَيْهِ بِجِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عِنْدَ هَذَا الْخُطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْلِ الْجَلِيلِ . عَلَى أَنْ يَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَلِيلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

فَذَكَرُ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتَمَامًا مِنْ بَأْسِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ .
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُنَا نَفْسَهُ عَلَيْهِ . فَيَرُدُّهُ الْآخَرَانِ وَيُسِفُهُ رَأْيَهُ
وَيُبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْثَرِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ أَحْتَجَّتْ أَيْهَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقْوِيكَ . وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهْبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْنَا بَقَاءٌ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ .
فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ فَقَدْ طِبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّبُّ وَأَبْنُ آوَى
أَنْ أَسْكُتَ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْثَرِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشْبَحُ الْمَلِكُ . فَلْيَاكُلْنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطِبْتُ
عَنهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّبُّ وَالْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا لَهُ : إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَذِرٌ . قَالَ
الذِّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ . فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنِّي
وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ . فَأَعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَأَبْنُ آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتْ
الْأَطِبَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَاكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْثَلِ اتَّمَسُوا لَهُ عُذْرًا كَمَا اتَّمَسَ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِيَّ لِلْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلَحْمِي طِيبٌ هَنِيئٌ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ وَيُطْعِمْ
أَصْحَابَهُ وَحَشِيَّهُ . فَقَدْ سَمِعْتُ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذِّبُّ
وَالْغُرَابُ وَأَبْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَّقَ الْجَمَلُ وَتَكْرَمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ
لَهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَمَزَقُوهُ

(كليله ودمنه)

الجدى السالم والذئب النادم

٨٦ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْفِيَاضِ لِدَيْبٍ وَجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِطَلَبِ صَيْدٍ . وَنَصَبَ لِذَلِكَ شِبَالَهُ الْكَيْدِ . وَصَارَ يُجُولُ
وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مُحْصُولٍ . فَأَثَرَ فِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَأَذْنَتْ
الْشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ الرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قِطْعًا مِنَ الصَّانِ .
وَفِيهَا بَعْضُ جِدْيَانِ . فَهَمَّ عَلَيْهَا لِشِدَّةِ الْجُوعِ بِالْهُجُومِ . ثُمَّ أَذْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومُ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَقِظًا . وَمِنَ الذَّيْبِ عَلَى مَاشِيَتِهِ
مُتَحَفِظًا . فَجَعَلَ يُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَالْحَرْصُ وَالشَّرُّ يَزِيدُ . وَالرَّاعِي
سَانِقٌ . وَلِلذَّيْبِ عَارِيقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيٌّ . غَفَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الذَّيْبِيُّ .
فَأَذْرَكَهُ الذَّيْبُ الشَّيْطُ . وَأَقْطَعَهُ بِأَمَلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفْرِ .
وَطَارَ بِالْفَرَحِ وَأَسْتَبَشَرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيَ الذَّيْبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أَصِيبَ
يَوْمَ عَصِيبٍ . وَظَفَرَ قَصَابُ الْبَلَاءِ مِنْ قُصْبِهِ بِأَوْقَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَأَسْتَخْضَرَ حِيلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ
تِلْكَ الْوَرْطَةِ الْوَيْلَةَ . إِلَّا لَأُمْنِيَّتُ الْحِدَاعِ وَالْحِيلَةِ . وَأَذْكُرُهُ مُذَكِّرُ الْخَاطِرِ .
مَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ
فَتَهْدَمُ بِجَاشِ صَلِيبٍ . وَقَبْلَ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْ الذَّيْبِ . وَقَالَ لَهُ مُحِبُّكَ
الرَّاعِي . لَجَنَابِكَ دَاعِي . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . يَشْكُرُ
صِدَاقَتَكَ وَشَفَقَتَكَ . وَحِشْمَتَكَ وَمُرَاقَبَتَكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ يَحْسَنُ

إِبَائِكَ . عَادَةً أَجْدَادِكَ وَإِبَائِكَ . فَلَمْ تَعْرِضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظَرِكَ ضِعَافَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لَضِعَافِهَا الشَّبَعُ . وَأَمِنْتَ بِجَوَارِكَ
 الْجُوعَ وَالْفَزَعَ . وَحَصَلَ الْأَمْنُ مِنَ الْجَزَعِ . فَسَيَجْعَلُ جَوَارِكَ وَغِيَاضَكَ
 أَحْسَنَ مُسْتَجِعٍ . لِأَنَّ ضِعَافَ مَا شِئْتَهُ شَبِعَتْ وَرَوِيَتْ . وَأَنْتَعَشْتَ
 وَقَوِيَتْ . فَأَرَادَ مَكَافَاتَكَ . وَطَلَبَ مُصَادَقَتَكَ وَمُصَافَاةَكَ . فَأَرْسَلَنِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أَتَنِي . فَإِنِّي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْغَنَاءِ . وَصَوْتِي يَزِيدُ شَهْوَةَ الْغَدَاءِ . فَإِنْ أَقْنَيْتَنِي رَأْيَكَ
 أَلَّا سَعِدُ . غَنَيْتَكَ غِنَاءً يُنْسِي أَبَا اسْتِحَاقٍ وَمَعْبَدٍ . وَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَطْفُرْ بِهِ
 أَبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَغْقَابُكَ وَأَوْلَادُكَ . يُتَسَوَّى كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ وَقَرَمَكَ . وَيُطِيبُ مَا كَلَّمَكَ . وَيُسْنِي مَا مَلَّمَكَ . وَإِنْ صَوْتِي
 اللَّذِيذُ . أَلَذُّ لِلْجَانِعِ مِنْ جَذِي حَنِيدٍ . وَخُبْرٌ سَمِيدٍ . وَلَا مَعْطَاشَانَ مِنْ قَدَحٍ
 تَبِيدٍ . فَرَأَيْتَ أَعْلَى . وَأَمْتَالِكَ أَوَّلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَاللَّهِ .
 فَغَنَّ مَا بَدَأَكَ . فَرَفَعَ الْجَذِي عَقِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الصَّرَاحِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَنْشَدَ :

وَعَصْفُورُ الْحُشَايَهَوَى جَرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفَ أَبُو جَعَادَهُ
 فَأَهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَازَلَّ عُجْبًا وَعَجْبًا . وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا زَيْنَ الْغَنَمِ .
 وَلَكِنَّ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْهَمِّ . فَأَرْقَعَ صَوْتَكَ فِي الزَّرِيِّ . فَهَذَا أَخْجَلَتْ
 الْبَلَابِلُ وَالزَّرَارِي . وَزِدْنِي يَا مَغْنِي . وَغَنِّي لِي . مَا يَلِي قَوْلِي :
 أَقْرَ هَذَا الزَّمَانُ عَيْنِي . بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْمَنَى وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجَدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَغْتَمَّ الْجَدِيُّ الْقُرْصَةَ
وَأَزَاحَ بِيَعِطِلِهِ الْقُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرَخَةً أُخْرَى . أَذْكَرُ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتَ . كَمَنْ عَايَنَ الْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحُجَّازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَادَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا نَفْتَاقُ . وَقَالَ :

فَقَوَّامُ أَنْظُرُوا حَالِي أَبُو مَذَقَّةَ أَكَّالِي

فَسَمِعَهُ الرَّأْيِي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِالْمَطَرِ يَعْدُو . فَلَمْ يَشْعُرِ الذِّبُّ الدَّاهِلُ .
وَهُوَ يُحْسِنُ السَّمَاعَ غَافِلُ . إِلَّا وَالرَّأْيِي بِالْمَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلُ .
فَرَأَى الذِّبُّ الْغَنِيمةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ . وَتَرَكَ الْجَدِيَّ
وَأَقْلَتَ . وَنَجَا مِنْ سَيْفِ الْمَوْتِ الْمُصَلَّتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَقَّتْ . إِذْ
تَفَلَّتْ . وَأَقْبَى يَعْصُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الدَّاهِلُ . الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
الْقُبُزُ وَالْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدِّ لَكَ قَانِ . أَوْ أَبِ مُفْسِدِ جَانِ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْمَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا قَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَانِعًا
تَتَلَوَّى . وَبِحِمْرَةِ قَوَاتِ الْقُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرِقُ ضِرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعُ لِقُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا قَاتَ أَمْرُ عَاتِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ وَهَرَّ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ قَئِيرٌ عِنْدَهُ هَرٌّ رَبَاهُ . وَأَحْسَنَ مَا وَاهُ . وَكَانَ أَتَقَطُّ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّقَقَةَ . وَأَلِفَ مِنْهُ الْمَوَدَّةَ وَالْمِلَّةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
مَيْتَتِهِ . وَلَا يَسْعَى لِطَلَبِ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْفَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
أَمْرٍ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغْذِيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْإِصْطِبَارِ
تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْتَغْرِ بِهِ مِنْ أَرَادِلِ الْفَارِ عَمْرُو
وَزَيْدٍ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَاوًى لِرَّيْسِ الْجُرْذَانِ . وَبِجَوَارِهِ
خَزْنُ سَمَانٍ . فَاجْتَرَأَ الْجُرْذُ لِيُضْفِ أَيْ غُرْوَانَ . وَتَسْكُنَ مِنْ نَقْلِ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْفَطْرِ آمِنًا وَيَصْحُكُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أَمْتَلَأَ
وَكْرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطَاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْفَرَاغُ مِنَ الْخَوَافِ وَالْأَزَاجِمِ .
فَاسْتَطَالَ عَلَى الْجِيرَانِ . وَاسْتَمَنَّ بِطَوَائِفِ الْفَارِ عَلَى الْمَسَدَوَانِ .
وَأَفْتَكَّرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا أَذَاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
الْفَطْرَ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُهْلِكًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
الْإِتِّحَالِ . وَضَعُفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإِغْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ لِسَبَبِ
ضَعْفِهِ . وَهَذَا أُلْقِيَ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْتِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْغَدَّارَ . لَيْسَ
لَهُ عَلَى حَالِهِ اسْتِمْرَارٌ . فَرُبَّمَا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهَبُ . وَيُعْطِي مَا سَلَبَ . وَيَرْجِعُ
فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْفَطْرُ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيَثُورُ قَلَمُهُ . وَيَفُورُ
حَنَقُهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِنِّي أَرْقُهُ . فَلَا يَقْرُّ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَأَضْطَرُّ
إِلَى التَّحَوُّلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالْخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُقَارَقَةِ

أَلَسَكُنَ الْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنْ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْفَرَامِ .
 وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِكِ الْأَقْتِصَاصِ .
 ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ أَمْحَاسًا لِأَسَدَاسٍ . فِي كَيْفَةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا الْبَاسِ .
 فَأَدَّاهُ الْفِكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
 هَذَا النَّشَاطُ . وَيَسْتَمِرَّ بِوَاسِطَةِ الصِّلَحِ بِسَاطِ الْأَنْبِطَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
 لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
 الْأُتَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوُثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
 يَتَرَبَّ عَلَيْهِمُ الْعُهُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ مِنَ الْعُقُودِ .
 وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ كَثِيرُ الْجُرْذَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكُونُ مِنْ طَيِّبِ
 الْغَدَاءِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ أُمَالٍ مَا
 وَقِيتَ بِهِ النَّفْسُ . إِلَى أَنْ يَصِحَّ جَسَدُهُ . وَيُرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدُهُ .
 وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُقُودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعِدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
 مِنَ الْخُبْزِ وَالْجَبْنِ وَاللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَّرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
 بِثَقَلِهِ . وَقَدِمَ مَقَامَ الْهَرَبِ . وَسَلَّمْ عَلَيْهِ سَلَامٌ مُكْرَمٌ مُبَرِّقٌ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
 إِلَيْهِ . وَرَأَى بِكَثْرَةِ الْأَشْتِيَاقِ وَالتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَعْزُ عَلِيٌّ . وَيَنْظُمُ
 لَدَيْ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْأَضْطِرَّارِ . وَسَيَكْفِيكَ اللَّهُ هَذَا
 الْجُحْدَ وَالضَّرِيرَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَنَاوَلَ الْقِطْعَ
 مِنْ تِلْكَ السَّرِيقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
 إِنَّ لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحُقُوقِ . مِثْلَ مَا لِلجَّارِ الصَّدُوقِ . عَلَى الْجَارِ الشَّفُوقِ .

وَأَرَدْتُ أَنْ يَتَّكَدَ الْجَوَارُ بِالْمَصَادِقَةِ . وَتَثَبَتَ الْحَبَّةُ بِالْمَوَاقِفَةِ .
وَأِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَرَكْتُ مِنَ الْجَانِبِينَ تِلْكَ الْحَصْلَةَ
الَّذِي مِمَّةٌ . وَنَسْتَأْنِفُ الْعُهُودَ . عَلَى خِلَافِ الْخُلُقِ الْمَعْمُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكُرُ
لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِحْيَاءِ
إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مَثَلًا . مَا يُغْذِي مِنْكَ بَدَنًا .
فَضْلًا عَنْ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسِيمًا . فَإِنْ أَمْنَتْنِي مَكْرَكَ وَرَغْبَتِي فِي
صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَأَكَّدْتَ ذَلِكَ لِي
بِمَغْلَظَاتِ الْإِيمَانِ حَتَّى اسْتَوْثِقَ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ آمِنًا فِي مَحِيطِكَ
وَذَهَابِكَ . وَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ مَخَالِيكَ وَأَنْبِيَاكَ . فَإِنِّي أَلْتَرِمُ لَكَ كُلَّ
يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ خَلَّتَكَ . وَيُنْقِي مُهْجَتَكَ .
صَبَاحًا وَمَسَاءً وَغَدَاءً وَعِشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الْهَرُ . هَذَا الْيَرُ . اعْجَبْتَهُ هَذِهِ
النَّعْمُ . وَأَطْرَبَهُ هَذَا النَّعْمُ . وَأَقْسَمَ طَائِعًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهًا وَلَا
إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الْجُرْدَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ .
فَرَجَعَ الْجُرْدُ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي الْقِطُّ كُلَّ يَوْمٍ
بِمَا أَلْتَرِمُ بِهِ مِنَ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ الْقِطُّ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْحَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْقِطِّ دَيْكٌ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلُّهُمَا يَأْنَسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ
جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدَّيْكَ تَعْوِيقٌ عَنْ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَتَّفِقْ لِقَاءَهُ .
إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ الْقِطِّ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّفَاءِ . فَسَأَلَهُ

الدِّيكُ : مَاذَا زَالَ ذَلِكَ الْهَزَالُ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ الْجُرْذِ وَأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ
 مِنْ أَغْرِ الْأَصْدِقَاءِ الْخَيْرِينَ الْأَمْنَاءِ . فَصَحَّحَكَ الدِّيكُ مُسْتَعْرِبًا . وَطَفِقَ
 يُصَفِّقُ بِجَنَاحِيهِ مُتَجَبِّجًا . فَقَالَ لَهُ : مِمَّ تَصْحَكُ . قَالَ : مِنْ سَلَامَةِ بَاطِنِكَ .
 وَأَنْفَادِكَ لِمُدَاهِنِكَ . وَحُسْنِ صَنَائِعِكَ . إِلَى غَاثِكَ وَمُخَادِعِكَ . وَمَنْ
 يَأْمَنُ لِهَذَا الْبَرَمِ . أَلْوَجِبَ قَتْلُهُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . الْمُقْسِدُ الْقَاسِقِ .
 الْمُؤْذِي الْمُنَافِقِ . الَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى آمِنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْقَعَكَ فِي
 حَبَائِلِ كَيْدِهِ وَنَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِالْخَيْرِ
 مَذْكُورٍ . وَإِنَّمَا الَّذِي شَاعَ . وَمَلَأَ الْأَسْمَاعَ . أَنَّكَ تَحُلُّ عَهْدَهُ . وَتَقْضِي
 عَهْدَهُ . وَتُنْكَتُ الْإِيمَانَ . وَتُجَازِي بِالسَّيِّئَةِ الْإِحْسَانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ
 يَرْمِكْ مَا يَسُرُّهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا مَا يَضُرُّهُ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ حَسِرَ
 وَنَادَى . وَجَاهَرَكَ بِالشَّرِّ وَعَادَى وَقَالَ : إِنَّهُ أَحْيَاكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَرَدَّكَ
 بَعْدَ الْقَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوْلَا فَضْلُهُ عَلَيْكَ . وَبِرُّهُ أَلْوَصِلُ إِلَيْكَ . لَمِتَّ هُرًّا لَا
 وَجُوعًا . وَلَمَّا عِشْتَ أَسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفَاكَ وَعَافَاكَ . وَصَفَاكَ وَصَافَاكَ .
 وَهَلْ سَمِعْتَ أَنَّ جُرْذًا صَادَقَ هِرَّةً . أَوْ اتَّفَقَ بَيْنَهُمَا مُرَافَقَةً . فَمُنَا صَحَّةً
 أَلْقَطَ وَالْقَارِ . كَمُصَادَقَةِ الْمَاءِ وَالنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ أَلْقَطُ هَذَا الْكَلَامَ . تَأَلَّمَ
 خَاطِرُهُ بَعْضَ إِيْلَامٍ وَقَالَ لِلدِّيكِ : جَرَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلَكِنْ مَنْ
 أَخْبَرَكَ بِهَذَا الْخَبَرِ . وَصَدَّقَكَ مَا أَثَرُ . فَقَالَ : لَقَدْ غَرَّكَ الْجُرْذُ بِلَقِيمَاتِ
 مِنَ الْحَرَامِ . وَالتَّسَخُّتِ الْمُتَغَمِّسِ فِي الْآثَامِ . وَجَعَلَهَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبَّةِ
 الْقَلْعِ . فَلَا تَشْعُرُ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي السَّلْحِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَتَشَفَّعُ فِيكَ

وَلَا أَنْحَ . وَهُنَاكَ يُعْرَفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَطْلَعْتُكَ عَلَى مَا قُلْتُ
إِلَّا مِنْ فَرْطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدَّيْكَ عِنْدَ الْقَطْرِ
فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قَدَحَ ضَمَائِرِهِ : إِنَّ هَذَا الدَّيْكَ مِنْ حِينِ
أَنْفَلَقْتُ عَنْهُ الْبَيْضَةَ . وَسَرَحْتُ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا وَفَّقْتُ
لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعْتُ أَنَّهُ لَشَيْءٍ مِنَ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ . فَهُوَ أَبَعْدُ مِنْ
أَنْ يُخْدَعَ . وَأَجَلُ مِنْ أَنْ يُغَشَّ وَيَتَصَنَّعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
صِدْقَ هَذَا الْحَبِيرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوَيْتِهِ دَلَالَةٌ تُنْتَظَرُ . قَالَ : نَعَمْ .
وَرَبِّ الْحَرَمِ عَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
مُنْتَخِضَ الرَّأْسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ . أَوْ زُلُولِ
مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ . مُتَلَقِّيًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
بِتَقَبُّبٍ . خَائِفًا بِتَرْقُبٍ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
أَمْرٌ بَانٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَاوِرَةِ . وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُشَاوِرَةِ . دَخَلَ أَبُو
جَوَالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَثْقَطَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
عَزْوَانَ . فَخَسَّ وَفَهَّرَ . وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
وَقَدَّرَ . فَاشْمَازَ لِرُؤْيَيْهِ الدَّيْكَ وَاسْتَعْمَلَ . وَانْتَهَضَ وَابْرَأَلَ . فَارْتَدَّ
الْجُرْدُ مِنْ شَيْخِ الدَّيْكَ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَانْتَمَشَ وَأَرْوَى .
وَتَقَبَّضَ وَذَوَّى . وَانْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَالطَّالِبِ لِلْفِرَارِ مَجَالًا .
وَالْقَطْرِ بِرَأْيِ أَحْوَالِهِ . وَبِمَسْرِ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُمْ وَكَفَّهُ . وَرَقَصَتْ شَوَارِبُهُ وَازْبَارَّ .

وَلَسِي الْهُودَ وَالْأَيَّانَ . وَبَضَّ فِيهِ عِرْقُ الْعَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانِ .
فَوُثِبَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

المهدد الغير المتروى

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجَرِّي الْحَزِيرِ . عَامَ بَضَّ عَيْدِهِ الصَّلْحَاءُ مَنْطِقَ
الطَّيْرِ . فَصَاحِبَ مِنْهَا هُذْهَدًا . وَأَزْدَادًا مَا بَيْنَهُمَا تَوَدَّدًا . فَبَضَّ
الْأَيَّامَ . مَرَّ بِالْهُذْهَدِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُنْتَهَتْ إِلَى
نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مُشْغُولٌ بِالسَّبِيحِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِإِسَانِهِ الْقَصِيحِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ التَّاجِ وَالْقَبَاءِ وَالْدِّيَابِجِ لَا تَقْعُدْ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ قَتَّانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبِنَادِقِ وَمَرَصِدُ أَصْحَابِ الْجَبَالِهِقِ . فَقَالَ الْهُذْهَدُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنْتَ مَسْلُوكُ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلَايَ شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى الْقُعُودِ فِيهِ .
مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَيِّبًا وَأَظُنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْنًا . يَرُومُ لِي فِيهِ زَخًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَنَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَنَّى هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصَّحْحِ إِلَيْهِ . وَأَتَجَبُّ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَبُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصَّفْعِ . وَأَسْخَرُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأَتَبُّهُ مِنْ يَمُرُّ عَلَى خُرْعِيَلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرُّجُلُ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَأَنْقَلَبَ . فَرَأَى الْهُذْهَدَ فِي يَدِ الصَّيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَمْصُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلِ بَيْنَهَا تُقَاسِي عَذَابَ الْمَوْتِ وَالطِّفْلُ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكُّ الْجَنَاحِ فَيَهْرَبُ
فَسَادَاهُ وَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصَّيَادِ وَقُلْتَ لِي
إِنَّكَ وَعَيْتَ. وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ. فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْهُدْهُدَ إِذَا
نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ. وَلَا يُبْصِرُ ثَغْرَةَ الْفَخِّ
وَلَا مَا وَرَاءَهُ. وَنَاصِيكَ قَضِيَّةُ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ. كَيْفَ خَذِلَ لِمَا غَوِيَ
وَأَغْتَرَّ وَبَطَرَ. وَكَذَلِكَ غَيَّرَهُ يَمِّنَ أَشْهَرِ أَمْرِهِمْ وَأَنْتَشَرَ. وَأَنَا لَمَّا
أَغْتَرَرْتُ بِحِدَّةِ بَصْرِي. ذَهَلْتُ عَمَّا يَجُولُ فِي فِكْرِي. فَتَغَطَّتْ حِدَّةُ
أَسْبِصَارِي فَوَقَعْتُ فِي فَخِّ أَغْتَرَارِي

مالك الحزين والسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ. مَاوَى لِمَالِكِ الْحَزِينِ. وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
غِيَاضٌ وَغُذْرَانُ. نُضَاهِي رِيَاضِ الْجَنَانِ. وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَاءِ. مَا
يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَاءِ. فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ. فِي دَعَا وَخَيْرٍ. يُذْجِي
الْأَوْقَاتَ. بِطَيْبِ الْأَقْوَاتِ. وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ. كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ.
حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْجَارِ وَالْغُذْرَانِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مِيقَاتِهِ
سَمَكَةٌ. فَاتَّقَى أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنَاءِ. تَعَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغَدَاءِ.
وَأَرْتَجَّ لِقَوْتِ قُوَّتِهِ أَبْوَابُ الْعِشَاءِ. فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
وَالْمَلَكُوتِ. يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقَوْتِ. فَلَمْ يَفْتَحْ عَلَيْهِ شَيْءٌ
مِنَ أَعْلَى السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ الْحَوْتِ. وَأَمْتَدَّ هَذَا الْحَالُ. عِدَّةَ أَيَّامٍ.

وَلَيْالٍ . فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرَّقْرَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنْ الْأَرْزَاقِ . فَصَادَفَ
سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْطَفَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ أُلْتَقَمَهَا .
ثُمَّ بَعْدَ أَقْتِلَاعِهَا . قَصَدَ إِلَى أَتْبَالِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا . قَبْلَ
أُسْتِقْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا . فَنَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ : مَا
الْبَرْغُوثُ وَدَمُهُ . وَالنُّصْفُورُ وَدَسَمُهُ . أَسْمَعُ يَا جَارَ الرِّضَا . وَمَنْ عَمَرْنَا
فِي صَوْنِهِ أَقْضَى . لَا تَعْجَلْ فِي أَتْبَالِي . وَلَا تُسْرِخْ فِي ضِيَاعِي . قَبِي
بَقَائِي فَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنْ أَيْ قَدْ مَلَكَ هَذَا
أَسْمَكَ فَالْكَلُّ عَيْدُهُ وَرِعِيَّتُهُ . وَوَاجِبٌ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ . ثُمَّ
إِنِّي وَاحِدُ أَبِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنْ أَيْ نَذَرَ النَّذُورِ . حَتَّى
حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي السُّرُورُ . فَمَا فِي أَتْبَالِي كَبِيرُ فَائِدَةٍ . وَلَا أَسَدُ
لَكَ رَمَقًا . وَلَا أَشْغَلُ لَكَ مَعْدَةَ فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ : فَأَفْقِرَ فِي فَيَنْ
أُحِبُّ وَلَا أَسْتَغْنَى فَالْأُولَى أَنْ أَقَرَّ عَيْنَكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنِكَ .
فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمَصَادِقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ الْحُبِّ وَالْمُرَافَقَةِ .
وَيَحْتَمِلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ . وَالْيَمْنَةَ التَّامَّةَ وَالْقَضِيَّةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأَعَاهِدُكَ إِنْ
أَعِثْتَنِي . وَمَنْنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَقْتَنِي . أَنْ أَتَكْفَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
سَمَكَاتٍ بَيْضَ سِمَانٍ وَدَكَاتٍ . نَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
وَلَا كَدٍ تَحْمِلُهُ وَلَا تَعَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلْشُونُ . هَذَا الْمَجُونِ . أَغْرَاهُ
الطَّمَعُ . فَمَا أَتَبَلَعَ . بَلَّ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَعِيدِي هَذِهِ الرَّمْزَةَ .

فَبَجُرْدٍ مَا فَخَّ فَاهُ بِالْمَنْزَةِ . اُتْلَصَتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمَزَةٍ . وَعَاصَتِ
 فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فَكِّي الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصَلْ ذَلِكَ الطَّمَاعُ .
 إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعُ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
 لِتَأْمَلَ عُمِّي أَمْرَكَ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
 مَبَادِيهِ . فَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْفِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الديك والثعلب

٩٠ كَانَ فِي بَعْضِ أَنْفَرَى الرَّيَاسِ دِيكٌ . حَسَنُ الْخَلْقِ وَدِيكٌ .
 مَرَّتْ بِهِ الْتَجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْأَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَهَضَمَتْ عَلَيْهِ
 مِنَ الْعَمْرِ سِنُونَ . وَأَطْلَعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُنُونٍ . وَقَلَسَى
 حُلُوهَ وَرَمَهُ . وَعَاقَبَى حَرَّهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِثَمَائِبَ شَبَابِكَ مَصَايِدَ .
 وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَاتِ مَكَايِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَيَّيْنَهُ
 نَوَائِبَ وَشَدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَثَعَالِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
 كُتُبِ حَيْلِمَا طَلَابِغِ كِتَابَ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَائِبَ .
 فَاتَّقَى لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَتَفَّ عَلَى بَعْضِ الْجُذُرَانِ . فَظَنَّ
 فِي عِظْفِيهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَفْسِ بُرْدِيهِ . فَرَأَى خِيَالَ تَلَجِهِ الْعَمِيقِي .
 وَنَظَرَ إِلَى حَدِّهِ الشَّقِيقِي . وَنَفَضَ بُرْأِلَهُ الْمُنْشَ . وَسَرَاوِيلَهُ الْمُنْشَ .
 وَالثُّوبَ الَّذِي رَقَمَهُ نَقَاشُ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمُقْطَعِ الْمُبَرَّقَشِ . فَأَعْجَبَتْهُ
 نَفْسُهُ . وَأَذَنَ فَأَطْرَبَهُ حِسُّهُ فَصَارَ يَدُهُ وَيَتَجَدَّرُ . وَيَتَصَفَّفُ
 وَيَتَخَطَّرُ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّمَشِّي سُوِيَّةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّيْعَةِ . فَصَعِدَ

إِلَى جِدَارٍ . وَكَانَ قَدْ انْتَصَفَ النَّهَارُ . فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالْأَذَانِ . فَأَنَسَى
صَوْتَهُ الْكِنَانِي وَالْدهَّانَ . فَسَمِعَهُ ثَعْلَبٌ . فَقَالَ : مَطْلَبٌ . وَسَارِعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةَ مَكْرِهِ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْيَقْظَانِ . طَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُدْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخُلَّانِ .
وَتَرَامَى لَدَيْهِ تَرَامِي الْإِخْوَانِ . وَقَالَ : أَنْعَشَ اللَّهُ بَدَنَكَ وَرُوحَكَ .
وَرَوَى مِنْ كَلَسَاتِ الْحَيَاةِ غُبُوقَكَ وَصُبُوحَكَ . فَإِنَّكَ أَخِيَّتَ
الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ . بِطَيِّبِ النِّعَمِ وَالصَّيَاحِ فِي الْأَذَانِ . فَإِنَّ لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ نَوَائِبَ الْهَوْتِ . وَمَصَائِبَ
الْمَوْتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِأُسَلِّمَ عَلَيْكَ . وَأَذْكُرُكَ مَا أَسْدَى مِنْ النِّعَمِ
إِلَيْكَ . وَأُبَشِّرُكَ بِبِشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْبَحُ تِجَارَةٍ . وَأَنْجَحُ مِنْ الْوِلَايَةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَتِمَّقْ مِنْهَا فِي سَائِلِ الدَّهْرِ . وَلَا يَتَّعِ نَظِيرُهَا إِلَى
آخِرِ الْعَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السَّاطِطَانَ أَيْدَ اللَّهِ بِدَوْلَتِهِ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمْرٌ مُنَادِيًا فَتَادَى بِالْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ . وَإِحْرَاءَ مِيَاهِ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حَدَائِقِ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُلْستانٍ . وَأَنْ
تَشْمَلَ الصَّدَاقَةُ كُلَّ حَيَوَانٍ . مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيَاتَانِ . وَلَا
يُقْتَصَرُ فِيهَا عَلَى جِنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكَ فِيهَا الْوُحُوشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْبَهَائِمُ وَالضَّبَاعُ . وَالْأَرْوَى وَالنَّعَامُ . وَالصَّغَرُ وَالْحَمَامُ . وَالضَّبُّ
وَالنُّونُ . وَالذَّبَابُ وَأَبُوقَلَمُونَ . وَيَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِسْعَافِ دُونَ الْإِعْسَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمَصَادَقَةُ . وَحَسُنُ

الْمُعَاشِرَةِ وَالْمُرَاقِقَةِ . فَتَحْنِي مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُفُوسُ الْعِدَاوَةِ
 وَالْمُنَاقِقَةِ . قَيْطِيرُ الْقَطَامِعِ الْعُقَابِ . وَيَسِيْتُ الْعَصْفُورِ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَمَدْنِي الذَّبِّ مَعَ الْأَرْزَبِ . وَيَتَاخَى الدِّيكُ وَالْتَلَبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ الْهَارَةُ مِنَ الْهَرَّةِ . وَالْحُرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدْ أَرْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بُدَّ أَنْ يُمَثِّلَ هَذَا الْمَرْسُومُ . وَيُثْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالْخُلُقِ
 الْمَذْمُومِ . وَبِحَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمَصَادِقَةِ . وَتَنْفُجُ أَبْوَابُ الْحُبَّةِ
 وَالْمُرَاقِقَةِ . وَلَا يُفَرِّقُ أَحَدٌ مَنَا مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يَدْعِي مَوَدَّةً وَيُبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ التَّلَبُّ يَقْرُرُ هَذَا الْقَالَ . وَالْدِّيكُ يَلْتَفِتُ إِلَى
 هَذَا الْهَذْيَانِ وَالْحَبَالِ . فَقَالَ التَّلَبُّ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَحِي . أَنَا أَبَشِّرُكَ بِبَشَائِرٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّفِقْ فِي الْأَعْصَرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزْتَ بِهَا مَرَّاسِيمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَارَاكَ
 لَا تَلْتَفِتُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسْرِ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَامِ . وَلَا تَلْتَفِتُ
 إِلَيَّ . وَلَا تَعُولُ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَى بَعْدِ لَيْثِي . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَتَوَيْتَ . وَتُطْلِعُنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيْ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَقَالَ : أَرَى عَجَابًا ثَائِرًا . وَنَقَمًا إِلَى الْعَنَانِ فَائِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ
 أَبُو الْخَصِينِ : وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَّانَ . فَقَالَ : حَيَّانٌ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانٌ طَوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ .
لَا الْحَيْلُ تَحْمُهُ . وَلَا الرِّيحُ تَسْبُهُ . فَرَجَعَتْ قَوَائِمُ الثَّعْلَبِ . وَطَلَبَ
الْمُهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو الْمُنْدَرِ : تَلَبَّثْ يَا أَبَا الْحَصِينِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أَحَقِّقَ
رُؤْيَاهُ . وَاتَّبِعْ مَا هَيْبَتُهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحَصِينِ . يَسْبِقُ طَرَفَ الْعَيْنِ .
وَيَكَادِي أَبَا النَّجْمِ . يُخْلِفُ النَّجْمَ فِي الرَّجَمِ . فَقَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ التَّمَادِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْذَحُ بِقَوْلِهِ :

لَا بَسَ النَّجْمُ الْعَقِيقِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفِ حَقًّا فَهُوَ وَاللَّهِ السَّلَاقِي

فَقَالَ الدَّيْكَ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالصِّلَحِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَّانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثْ حَتَّى يَجِيَّ وَيُقْبَلَ يَدَيْكَ .
وَنَعْقِدَ بَيْنَنَا عُقُودَ الْمَصَادِقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَنَصِيرَ رِفَاقِهِ . فَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَاهِ حَاجَةٌ . فَدَعَّ عَنْكَ الْحَاجَّةَ وَاللَّحَاجَةَ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرِيقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَّا
قَابَلَهُ الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا الْمَشُورُومَ . لَمْ يَنْلُفْهُ
الْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخَلَّاصِ جَانِبًا

لِلْجَمَلِ وَاللَّحِ

٩١ كَانَ جَمَالٌ فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعِيشُ عَلَيْهِ . وَتَهَوَّتْ هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلاَحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَّاحَةِ .

فَجَدَّ فِي تَقْيِيلِ الْأَحْمَالِ . وَمَلَا زَمَتَهُ بِأَثْقَالِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آَلَ حَالَ
الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالَ . وَالْجَمَالُ لَا يَبْقَى لَهُ بَعَالِ .
وَيَجِدُ فِي كَدِّهِ بِالْإِشْتِغَالِ . فَنَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُرْعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمُسْعَى . وَكَانَ لَهُ أَرْبُ
صَدِيقٍ . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ أَشْتِيسَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُزْرُ هُزَالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَالَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ عَذَابِهِ وَنَكَالِهِ . وَأَنَّ الْخَلَجَ قَدْ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَامُهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَبَتْهُ الْحِيلَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخُلَاصِ
سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ تَحْصِيرِ هَذَا الدُّمْلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . لَقَدْ فُزْتَ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْخُلَاصِ .
مِنْ شَرِكِ هَذَا الْإِفْتِصَاصِ . وَالنَّجَاةُ مِنَ الْإِزْتِهَاصِ وَالْإِزْتِصَاصِ .
تَحْتَ خِمَلٍ كَالرَّصَاصِ . فَهَلْ يَعْتَرِضُكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَاخَةِ مَخَاضَةٌ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَدْتَ
فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرُكْ فِيهِ وَتَقَرَّغْ . وَتَصَلِّ مِنْ
خِمَلِكَ وَتَقَرَّغْ . وَاسْتَمِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْخَلَجَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
وَكُرَّرَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكََةَ . فَأَمَّا أَنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ
خِمَلَكَ أَوْ يُخَفِّقُوهُ . أَوْ تَسْتَرِيحُ بِذَوْبِهِ مِنَ الَّذِي أَضَعَفُوهُ . فَتَحْمَلُ
الْجَمْلُ لِلْأَرْبِ الْمِنَّةَ . وَشَفَّ بِدَرِّ هَذِهِ الْقَائِنِدَةِ أُذُنُهُ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُهُ الْجَمْلُ الْمَعْمُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمُرُودِ . وَوَصَلَ الْمَخَاضَةَ

بَرَكَ . فَضَرَبُوهُ وَمَا أَحْتَرَكَ . وَتَحَمَّلَ ضَرْبَهُ وَعَسَفَهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنْ
الْجَمَلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ أَنْتِهَاضَةً . وَخَرَجَ مِنَ الْمَخَاضَةِ . وَلَا زَمَ هَذِهِ
الْعَادَةَ ، إِيَّا ، أَنْ أَفْقَرَ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ . فَأَذْرَكَ الْجَمَالَ هَذِهِ الْحِيلَةَ .
فَأَفْتَكَّرَ لَهُ فِي دَاهِيَةٍ وَبَيْلَةٍ . وَعَمَدَ إِلَى عَيْنٍ مَنفُوشٍ . وَغَيْرِ فِي مَقَامَرَتِهِ
شَكْلَ النَّفُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَعْيَةً وَثِقَلًا . وَسَلَطَ
عَلَيْهِ الظَّمَاءَ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ
عَنْهُ صَاحِبُهُ وَرَكَ . فَتَشَرَّبَ الصُّوفُ مِنْ الْمَاءِ مَا يَمْلَأُ الْبِرْكَ . ثُمَّ أَرَادَ
النُّهُوضَ . فَنَاءَ بِهِ الرُّبُوضُ . فَقَاسَى مِنَ الْمَشَاقِ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ
هَذَا الْفِكْرُ الْوَيْلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمِسْكِينِ بِأَضْعَافِ التَّثْمِيلِ . فَسَاءَ
مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَذْيِيرِهِ تَذْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ .
وَأَمثال مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ هَذَا
الْمَثَلَ عَنِ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْخَضَارُ . أَنَّ الْعَدُوَّ الْعُدَارُ . وَالْحُسُودَ
الْمَكَارَ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيُفَرِّغُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا
كَمَا هِيَ . وَيَبْدُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يُقَصِّرُ فِيمَا يَصِلُ إِلَيْهِ
مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ . فَتَارَةً تُذْرِكُ مَكَائِدَهُ . وَتُغْرِفُ مَصَائِدَهُ . وَتَارَةً
يُعْقِلُ عَنْ دَوَاهِيهَا . فَلَا يَشْعُرُ الْخُصْمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ
حَالٍ . لَا يَدُّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

البستاني والاربعة العاشرون بحجته

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيتِ رَجُلٍ مِسْكِينٍ . يَنْظُرُ الْبُسَاتِينَ . فَقِي

بَعْضِ السِّنِينَ . قَدِيمَ قَرْيَةِ مَنِينَ . وَسَكَنَ فِي بُسْتَانٍ . كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ
الْجَنَانِ . فِيهِ فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ . قَبِي بَضِ الْأَعْوَامِ . أَقْبَلَتِ الْفَوَاكِهُ
بِالْإِنْعَامِ . وَنَثَرَتِ الثَّمَارَ مَلَابِسُ الْأَشْجَارِ مِنْ الْأَذْيَالِ وَالْأَكْصَامِ .
فَالْجَائِاتِ الضَّرُورَةُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ . أَنْ خَرَجَ مِنَ الْبُسْتَانِ . ثُمَّ رَجَعَ فِي
الْحَالِ فَرَأَى فِيهِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ . أَحَدُهُمْ جُنْدِيٌّ وَالْآخَرُ شَرِيفٌ .
وَالثَّلَاثُ فَصِيهٌ وَالرَّابِعُ تَاجِرٌ ظَرِيفٌ . قَدْ أَكَلُوا وَسَقَوْا . وَنَامُوا
وَعَفَقُوا . وَتَصَرَّفُوا فِي ذَلِكَ تَصَرَّفَ الْمَلَأِكُ . وَأَفْسَدُوا فَسَادًا فَاحِشًا
حَادِثًا . وَمَارِشًا وَنَاوِشًا وَنَاكِشًا . فَأَضْرُ ذَلِكَ بِحَالِهِ . وَرَأَى أَنْعَزَ فِي
أَفْعَالِهِ . إِذْ هُوَ وَحِيدٌ . وَهُمْ أَرْبَعَةٌ وَكُلٌّ عَنِيدٌ . فَسَارَعَ إِلَى التَّلْخِيذِ .
وَعَزَمَ عَلَى التَّلْخِيذِ . فَأَبْتَدَأَ بِالْتَّرْجِيْبِ وَالْبَشَاشَةِ . وَالْإِكْرَامِ وَالْمَشَاشَةِ .
وَأَحْضَرَ لَهُمْ مِنْ أَطْيَابِ الْفَاكِهَةِ . وَطَائِيهِمْ بِالْمَقَاصَةِ . وَسَاحَ
بِالْمَازَحَةِ . وَمَازَحَ بِالْمُسَاحَةِ . إِلَى أَنْ أَطْمَأَنَّنَا وَاسْتَكَاثُوا وَاسْتَكْنُوا .
وَدَخَلُوا فِي اللَّعِبِ . وَلَا عُبُوهُ بِمَا يَجِبُ . فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ : أَيُّهَا
السَّادَةُ الْكِرَامُ لَقَدْ حُرِّمَ أَطْرَافُ الْمَعَارِفِ وَالْأَطْرَفِ . فَأَيُّ شَيْءٍ
تُعَاوَنُونَ مِنَ الْحِرْفِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا جُنْدِيٌّ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا
مُشِخُ الْفَضَّةِ جُنْدِيٌّ . وَقَالَ الثَّلَاثُ : أَنَا فَصِيهٌ . وَقَالَ الرَّابِعُ : أَنَا تَاجِرٌ نَبِيهٌ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَسْتُ بِنَبِيٍّ . وَلَكِنْ تَاجِرٌ سَفِيهٌ . وَقَبِيحُ الشَّكْلِ كَرِيهٌ .
أَمَّا الْجُنْدِيُّ فَإِنَّهُ مَالِكٌ رِقَابِنَا . وَحَارِسُ حِجَابِنَا . يُحَفِظُنَا بِصَوْلَتِهِ .
وَيَصُونُ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا بِسَيْفِ دَوْلَتِهِ . وَبِجَعْلِ نَفْسِهِ لَنَا

وَقَايَةً . وَنَكِي فِي أَعْدَانِنَا أَشَدَّ نَكَايَةً . فَلَوْ مَدَّ يَدُهُ إِلَى كُلِّ مِنَّا وَرَزَقَهُ .
فَهُوَ بَعْضُ اسْتَحْقَافِهِ وَدُونِ حَقِّهِ . وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ
مَكَانِي . وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي . وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالَمُ فَهُوَ
مُرْشِدُ الْعَالَمِ . وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا . الْهَادِي إِلَى يَفِينِنَا . فَإِذَا شَرَفُونَا
بِإِقْدَامِهِمْ . وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَّائِهِمْ . فَلَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا . وَالْإِمْنَةُ
الْوَاصِلَةُ إِلَيْنَا . وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَايَهُمْ . وَشَرَّ جَانِ تَابِعِهِمْ . فَبِأَيِّ طَرِيقٍ
تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي . وَتَتَنَاوَلُ سَفَرَجَلِي وَرُمَانِي . هَلْ بَايَعْتَنِي بِسَاحَةِ .
وَتَرَكْتَ لِي الرِّابِحَةَ . أَوْ لَكَ عَلَيَّ دَيْنٌ . أَوْ عَامَلْتَنِي نَسِيئَةً دُونَ عَيْنٍ .
أَلَمْ تَكُنْ عَلَيَّ حِمْلَةً . وَهَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَسِيلَةٌ . تَقْضِي تَنَاوُلَ مَالِي .
وَالْهَجُومَ عَلَى مِلْكِي وَمَنَالِي . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَتَرَضَ مِنْ رُفْقَانِهِ
أَحَدٌ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلَامِ . وَاعْتَذَرَ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ
مَلَامٍ . فَلَا وَثْقَهُ وَثَاقًا مُحْكَمًا . وَتَرَكَهُ مُغْرَمًا . ثُمَّ مَكَّبَ سَاعَةً . وَهُوَ عَلَى
الْخِلَاعَةِ مَعَ الْجُمَاعَةِ . وَعَازَمَ الْجُنْدِيَّ وَالشَّرِيفَ عَلَى الْفَقِيهِ الظَّرِيفِ .
فَقَالَ : أَيُّهَا الْعَالَمُ الْفَقِيهُ . وَالْفَاضِلُ النَّبِيُّ . أَنْتَ مُفْتِي الْمُسْلِمِينَ .
وَعَالِمُ بِمَنَاجِ الدِّينِ . عَلَى قَتَوَاكَ مَدَارُ الْإِسْلَامِ . وَكَلِمَتُكَ الْفَارِقَةُ
بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . بِقَتَوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءُ مِمَّنْ أَفْثَاكَ بِالْدُّخُولِ فِي
هَذَا . أَفْتِنِي يَا عَالِمُ الزَّمَانِ . مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْثَاكَ بِهَذَا أَمْ النُّعْمَانُ .
أَمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمْ مَالِكٌ . فَجَبَّ لَنَا بِذَلِكَ . وَإِلَّا فَمَا بَالُكَ تَعَوُّثُ
وَتَعَبْتُ بِمَا لَيْسَ لَكَ . وَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ . وَلَا عَلَى

الْجُهْلَاءُ وَالْأَجْلَافُ . إِذَا أُرْتَكِبَ مِثْلُكَ هَذَا الْخَطُورَ . وَتَعَاطَى الْعُلَمَاءُ
 وَالْمُتُونُ أَفْجَعَ الْأُمُورِ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَابِيْدِهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَابِيْدِهِ .
 فَأَحْكَمَهُ وَثَاقًا . وَآلَمَهُ رِزَاقًا . فَاسْتَجَدَ بِصَاحِبِيهِ إِلَى جَانِبِيهِ فَمَا أُنْجَدَاهُ
 وَلَا رَفَدَاهُ . ثُمَّ جَلَسَ يُلَاهِي . الْجُنْدِيَّ السَّاهِي . وَغَامَزَهُ عَلَى
 الشَّرِيفِ . ذِي النَّسَبِ الطَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
 النَّجِيبُ . أَجِدُ الْحَسِيبُ . لَا تَعْتَبْ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَقْبِلْ مَلَامِي .
 أَمَّا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدَرٍ خَطِيرٍ . لَهُ الْجَمِيلَةُ التَّامَّةُ .
 وَالنَّفْضِيَّةُ اللَّامَّةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا النَّسَبِ الطَّاهِرِ . وَالْأَصْلِ الْبَاهِرِ .
 وَالْفَضْلِ الزَّاهِرِ سَلِّمْكَ الطَّبُّ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
 مِنَ الزُّهْدِ وَالْعَفَافِ . فَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَبَّ
 إِلَيْهِ وَكَتَفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَعْطِفِ الْجُنْدِيَّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجُنْدِيُّ
 وَهُوَ وَحِيدٌ . فَانْتَصَفَ مِنْهُ الْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا . وَزَادَ
 لِنَفْسِهِ أَحْيَاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا . وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمُ
 الْحِيرَانَ . وَاسْتَعَانَ بِالْجَلَاوِزَةِ وَأَصْحَابِ الدِّيَوَانِ . وَهَلَمُّهُمْ بِرِبَاطِهِمْ
 وَعَمَلَتْهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ
 رَخِيسٍ وَغَالِي . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ مَا جَرَى لَتَعْلَمُوا أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ أَنَّ
 التَّقْخِيزَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّأْخِيزِ . أَمْرٌ مِنَ السَّهَامِ فِي تَفْهِيذِ الْأَحْكَامِ
 وَأَحْكَامِ التَّفْهِيذِ

(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

أَنْلَابُ السَّابِعِ فِي الْفَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ

الصبر

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدُ الْأَسْبَابِ لِظَفَرِ الصَّبْرِ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الصَّبْرُ
جُنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ . وَسَبَبُ دَرْكِ النَّجْحِ فِي الْحَوَائِجِ . فَمَنْ وَطَّنَ
نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلْأَذَى مَسًّا . وَمَنْ أَسْتَعَفَّ بِاللَّهِ عَفْهُ .
وَمَنْ أَسْتَعَانَ بِهِ يُعْنَهُ وَلَنْ يَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنَ الصَّبْرِ . جَاءَ فِي الْمُبَهِّجِ :
الصَّبْرُ أَحَجِّي بِذِي الْحُجِّ . وَقَالَ حَكِيمٌ : تَابِعُ الصَّبْرِ مَتَّبِعُ النَّصْرِ
(للقدسي)

٩٤ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى أَلْيَاسِ الْقُلُوبِ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأْنَنْتِ وَأَرَسَتْ فِي مَكَامِنِهَا الْخُطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لِأَنْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحَيَاتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُبُوطٍ مِنْهُ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ الْأَطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ
٩٥ مِنَ الدِّيَوَانِ الْمَسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ :

هُمَا حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَسِجَالَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
وَأَلْفَتِي الْحَاقِيقُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخْنَهُ الْعَزَاءُ

وَارْجُ إِذَا اشْتَدَّ هَمُّ نَازِلَةٍ فَأَخِرُ أَلْهَمَ أَوَّلُ الْقَرْجِ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرْ فِي الْأَوَّاءِ قَدْ يُحْمَدُ الصَّبْرُ وَلَوْلَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يُعْرِفِ الْحَرْ
وَإِنَّ الَّذِي أَبْلَى هُوَ الْعَوْنُ فَأَنْتَدِبُ جَمِيلَ الرِّضَا يَبْقَى لَكَ الذِّكْرُ وَالْأَجْرُ
وَتَقِ بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكُ جَارِعًا فَلَيْسَ بِمُجْزَمٍ أَنْ يَرَوْعَكَ الضَّرُّ
فَلَا نِعَمٌ تَبْقَى وَلَا نِقَمٌ وَلَا تَقْلُبْ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِدَائِمٍ يَدُومُ كِلَا الْحَالَيْنِ عُسْرٌ وَلَا يُسْرٌ
لَدَيْهِ مَعَ الْأَيَّامِ حُلُوٌّ وَلَا مُرٌّ قَالَ آخِرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا رُتِجَا
لَا تَيَاسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
وَقَالَ آخِرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُعْرِفُ عِنْدَ الصَّبْرِ فَضْلُ نَهَاهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتِمُّهُ أَصْطَبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِي مَا يَرْتَجِيهِ مُنَاهُ
قَالَ الْمُرَارِيُّ سَعِيدٌ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ فَيُحْلِمُ سُدُلًا بِاللَّتَمِّ وَالشَّتَمِ
وَاللَّحْلُمِ خَيْرٌ فَأَعْلَمَنَّ مَغَبَّةَ مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشْمَسَ مِنْ ظُلَمِ

القناعة

٩٨ إَعْلَمَنَّ أَنَّ مِمَّا يَتَحَقُّقُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَنْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَبْلَهُ أَنَّ الدُّنْيَا
دَارُ الْأَكْثَادِ وَمَحَلُّ الْهُمُومِ وَالنُّمُومِ وَالْحَسَرَاتِ . وَأَنَّ أَخْفَ الْخُلُقِ

بَلَاءَ وَالْمَا أَفْقَرَاءَ . وَأَعْظَمَ النَّاسَ تَعَبًا وَهَمًّا وَعَمَّا هُمْ الْمُلُوكُ وَالْأَمْرَاءُ
وَالْكُبَرَاءُ . وَيُقَالُ : اِكْلَ شَيْءٍ قَامَةً مِنْ أَلْهَمِ . وَقِيلَ :
لَقَدْ قَنَعَتْ هَمِّي بِالْخُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرُّتَبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جَهَلْتُ طِيبَ طَعْمِ الْعُلَى وَاسْكَنَهَا تَوَرُّؤُ الْعَافِيَةِ
وَمَا لِمَا رَضِيَتِ الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ . بِحَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
فِي كُلِّ بَيْتٍ كَرْبُهُ وَمُصِيبَةُ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَهَا
فَارْضَ بِحَالِهِ فَقِرْكَ . وَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ
طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . نَحْجِدْ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَقَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ . فَاعْتَبِرْ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ هَذِهِ الْعِظَاتِ . وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ
رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَاتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنَ بَحْثٍ كَانَ
يُمُولُ لِلسَّجَابَةِ : أَمْطَرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ خَرَجَ الْأَرْضِ الَّتِي تَمْطُرُ
فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ أَتَعَبُهُمْ حَاطِرًا وَأَشْتَهُمْ فِكْرًا
وَأَشْغَلُهُمْ قَلْبًا

(الاعلام لقطب الدين النهر والي)

٩٩. وَلِلَّهِ مَنْ قَالَ :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ
قَالَ آخَرُ :

أَفَادَنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ
فَاجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَاشْتَرِ بِعَدِّهَا التَّقْوَى بِضَاعَةَ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

غَنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ فَاقَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ إِلَيْنِي فَقَرًّا
قَالَ غَيْرُهُ:

يَا أَحْمَدُ أَقْنَعْ بِالَّذِي أُوتِيْتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذُلَهَا
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلِّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ . وَيُعِيدُ الْحِجَابَ .
وَيُرِيحُ الْبُؤَابَ . لِيَجِيءَ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ الْبِسَاطِ
وَيُخَاطَبُهُ وَيَعُودُ مَقْضِي الْحَاجَةَ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ الْخُصُومِ مِثْلَ
الْحُكَمَاءِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى
مَحَاسِنِهِ بِيَدَيْهِ . وَيُوجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جَهْدِي
وَطَاقَتِي قَدْ بَذَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى
أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَجْنَفْتُ أَوْ لَأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ أَنَا
أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي ، فَاعْفِرْ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقِيُّ
الْأَيَّةِ جَمِيلِ الْجُلُوءَةِ لِأَجْرَمِ عِلْمِهِ وَارْتَقَعَ قَدْرُهُ وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلَفَ فَارِسٌ مُعْتَدِينَ بِالسَّلَاحِ مُقْنَعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِبَرَكَهَ ذَلِكَ
الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ظَفَرَهُ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ
قَالَ شَاعِرٌ :

أَلْعَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجَوْرِ يَنْجُمُ
الْجَوْرُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْسِيرُ مُتَمِيعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّهْمِيدُ يَنْتَظِمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ . اسْتَغَاثَ النَّاسُ مِنْ
ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاسْتَكْوَهُ إِلَيْهَا . فَقَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
يَرْكَبُ . فَقَالُوا : فِي غَدٍ فَكُتِبَتْ رُقْعَةٌ وَوَقِفَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ :
يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا
وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ قَسَرْتُمْ . وَقَدَرْتُمْ قَهَرْتُمْ . وَخَوَلْتُمْ
فَعَسَفْتُمْ وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَقَطَعْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِيَاهَ
الْأَسْحَارِ نَافِذَةٌ لَا سِيَاهَ مِنْ قُلُوبٍ أَجْفَتُوهَا . وَأَجْسَادٍ أَعْرَيْتُمُوهَا .
أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا ضَايِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَأَظْلَمُوا
فَإِنَّا مِنْكُمْ مُتَظَلِّمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلَ
مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ

(لبهاء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ الثُّعَالِي قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفُرَاتِ أَيَّامَ وَزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيْسَى صَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْمِزْنِي عَلَى نَكْوِصِي عَنْ نَصْرِكَ فِي شَهَادَةِ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِتْفَاقَ عَلَى
إِتْفَاقٍ . وَلَا وِفَاءَ لِذِي مِينٍ وَأَخْبَلَاقٍ . وَأَخِرُ بَيْنَ تَعْدَى الْحَقِّ فِي

مَسَرَّتْكَ إِذَا رَضِي أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلُ فِي مَسَاءِ تِكْ إِذَا غَضِبَ. وَكَأَنَّ
الْمُتَنَبِّيَّ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ يَغْيِرُ الصِّدْقِ تَنْفَعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ: تَنَافَسُوا فِي الْمَغَانِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْمَكَارِمِ. وَاسْتَسْبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا. وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُجْلَوْهُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا فِتْنَةً نِقْمًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَّوْا وَأَنْفَضُوا وَمَضُوا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تِلْكَ الْكِرَامَاتُ
وَخَلَّفُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفْهِ لَوْ عَايَنُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الْكُرَى مَاتُوا
١٠٤ قَالَ آخَرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنْلِ مَالِي مَدَى خُلُقِي قِيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحِسُّ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَتْلِفُهُ وَلَا تُعَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْيَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَكَرْتُ مَيَّ عَلَى تَلَوْمُنِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكَتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ أَلْفَتِي وَلَا يُهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ قَاعِلُهُ
قَالَ آخَرُ :

يُفْنِي الْبُخْلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةَ الْفَرِّ مَا تَنْبِيهِ يَهْدِيهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَنْبِيهِ يَنْفَعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ أَرَاءَ طُولِ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهُ
كَذَلِكَ دُودُ الْقَرْيَةِ يَسْجُ دَائِمًا وَبِهِكَ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ نَائِسُجُهُ

الوفاء

١٠٥ يُغَيِّبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ

فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ جَوَائِحِ الْمَطْلِ وَالسَّلَامِ (للحموي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتَمَّهُ فَإِنَّ نَعَمَ دَيْنٍ عَلَى الْخَيْرِ وَاجِبُ
وَالْأَقْلُ لَا تَسْتَرْخِ وَتَرْخِ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ يَغَيِّرُ تَمَامَ
أَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرُمًا فَأَلْطَلُ يَذْهَبُ بِهَجَّةٍ إِلَّا نَعَامَ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَئِنْ جُمِعَ الْأَفَاتُ فَالْجُلُّ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنْ الْجُلِّ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالْإِسْتِخَارَةِ وَتَنَّى بِالْإِسْتِشَارَةِ فَحَقِيقُ أَنْ لَا يَخِيبَ
رَأْيُهُ . وَقِيلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ أَحَى مِنَ الْبَطْلِ الشَّدِيدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَّلَ

نُصْحَهُ وَاجْتِهَادَهُ لَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَذَرَ فِي السَّبَاحِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يُدْخِ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطَبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : سَمِيرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ قَطِيرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للأبشيحي)

وَمَا يُعْرِفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذَلِكَ :

نَارُ الرُّوْيَةِ نَارٌ جَدُّ مُنْجِيَةٍ وَلِلْبِدِيَةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحٍ
وَقَدْ يُفْضِلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ أَوَّلُ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَّغَتْ مِنَ الْعِلْمَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَرُبَّمَا طَمَنَ الْفَقِي أَقْرَانُهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعِنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَذْنَى ضِعْفٍ أَذْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَعِينُ عَنْ مَشُورَةٍ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيْشِ الْجَنَاحِ
تَسْتَعِينُ بِالْحَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِينَ بِحَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيْشُ الْحَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ أَلْعُلُّ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَافٍ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِبَشَّارٍ : رَأَيْتُ رِجَالَ الرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ
 آيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ . صَوَابٌ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ . أَوْ خَطَأٌ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِمْرِكَ . وَقَالَ
 الْجَاهِظُ : الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَأْدُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ النُّجَاحِ . وَاسْتِشَارَةُ الْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَحَزْمِ
 التَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لَأَنْ أَخْطِئَ وَقَدْ اسْتَشِرْتُ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ
 (لأبي نصر المقدسي)

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :
 لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ نَاقِصٍ
 قَالِدٌ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَنَى مَا حَاطَ قِيَمَتُهُ هَوَانَ النَّاقِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَجَادَ :
 شَاوِرُ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَابَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 فَالْعَيْنُ تُنْظَرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَآى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرَاةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثُ فَتُخَذُ مِنْهَا جَمِيعًا بِالْوَثِيقَةِ
 وَدَادُ خَالِصٍ وَوُفُورُ عَقْلِ وَمَعْرِفَةُ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 مَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَالْزَمْ طَرِيقَهُ

وَلَا يَبِي الْأَسْوَدَ الدُّؤْلِيَّ :
فَمَا كُلُّ ذِي نُضْحٍ يُؤْتِيكَ نُضْحَهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نُضْحَهُ بِلَيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبٍ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَحَقُّ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكُ لِلسِّتْرِ
مِنَ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَايِدَ مُفْنِدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ .
عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَتَعَدُّ نِعَمَ اللَّهِ نِقْمًا وَمَزِيدُ غَيْرًا . وَعَدَلُ قَضَائِهِ حِقْفًا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ . وَلَا يَنَامُ جَسْمُهُ . وَلَا يَنفَعُهُ
عَيْشُهُ . مُحْتَمِرٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُتَسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَزِيدُ
غَلِيلُهُ . وَلَا تَوْمَنُ غَوَائِلُهُ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعْتَ .
وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقْتَ . ذِكْرُ حَايِدٍ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ قَال : يَا عَجَبًا
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ فُحْمَ الْهَلَاكَةِ .
فَصَارَ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُرْصَادِ إِنْ أَنَا لَهَا مِنْ أَجَبٍ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْعَرَ قَلْبُهُ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يَقْدِرْ لَهُ . وَأَغَارَهُ الْكَافُ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِنَالِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيُسْهِرُ الْعَيْنَ
وَيَكْثُرُ الْهَمُّ . وَلَا يَبِي الْعَتَاهِيَّةَ :

وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَدُونِي
وَأَيَّ رَبِّ إِنْ النَّاسَ لَا يُصِفُونِي
وَأِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّوْا لِأَخْذِهِ
وَأِنْ نَالَهُمْ بَذَلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ
وَأِنْ جِئْتُ أَبْنِي مِنْهُمْ مَنُوعُونِي
وَأِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَتْمُونِي

وَأِنْ طَرَقْتَنِي نِعْمَةٌ فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحِبْتَنِي نِعْمَةٌ حَسَدُونِي
 سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَجِيَنَّ إِلَيْهِمْ وَأَحْجِبُ عَنْهُمْ نَظِيرِي وَجُفُونِي
 كَتَبَ ابْنُ بَشِيرٍ الْمُرُوزِيُّ إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْآيَاتُ :
 كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تَرَجَى إِمَانُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
 فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عَقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَاطْلُبُ الْعَيْشُ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ رَغَدًا بِلَا قَتَرٍ صَفْوًا بِسَلَا رَقٍ
 خَالِصٌ فَوَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ قَالِغِلٌ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
 (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ فَتَوَقَّهِ وَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدَ
 إِنَّ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوْدَّةً بِالْقَوْلِ فَهُوَ لَكَ الْعَدُوُّ الْمُجْتَهِدُ
 وَلِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ يُصَحِّحُ الْحُسُودَ :

لَا يُخْزِنَنَّكَ فَقْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَاكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
 فَإِنَّهُ فِي رَخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَتَلَقَّى بِذَلِكَ اللَّهُمَّ وَالنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
 الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَظْهَرُ الْمُنَافَعَةُ فِيهِ . وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكَهُ
 فِي الْمُنَافَعَةِ فَالْسُّنَةُ الْأَمْسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يَجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَقَابٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَيْبُ بْنُ أَلُورِدٍ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ تَسْمَعُ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَالْعَاشِرَةُ فِي عَزْلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَفَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ اعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا . وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صَحِيفَتَكَ لَا نَعَمْتَ صَفِيحَتِكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَحَسَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ : الْكَلِمَةُ أُسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وَثَاقِهَا . يَقُولُ اللِّسَانُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتَ . فَيَقُلْنَ بِخَيْرٍ إِنْ تَرَكْنَاهَا

(للابشيحي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ كَثِيرُهُ مُهْمُوتٌ
مَا زِلْ دُو صَمْتٍ وَمِنْ مَكْثِرٍ إِلَّا يَزِلْ وَمَا يُكَابُ صَمُوتٌ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ قَالَهُمْ دُرٌّ زَانَهُ يَأْقُوتٌ

١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ آيضًا : أَنْتَ سَالِمٌ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَاكَ أَوْعَالِكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَلْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَقَلْتَ مِنْهُ نَفَعَ . وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْهُ صَدَعَ . وَقَالَ لُثْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ مِنْ الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَنْفَذُ مِنَ وَخْزِ الْإِبْرَةِ . وَأَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ . وَأَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الصُّلُوبَ مَزَارِعُ فَأَزْرَعْ فِيهَا طَيِّبَ

الْكَلَامَ . فَإِنْ لَمْ يَنْبُتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِضْنٍ أَوْثَقَ مِنَ اللِّسَانِ : إِلَّا سَنَانُ أَمَامِهِ وَالشَّفَتَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَاللَّهْمَا مُطِيقَةُ عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَقَرَّ
 اللَّهُ وَلَا تُطَلِّقْ هَذَا الْحُبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : أَحْسَنُ لِسَانِكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (للسَّهْرَاوِيِّ)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْزِرْ مِنْ لَفْظِهِ . قَالَتْ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطِبُ
 وَزِينُ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ثَرَاةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ سَعْدُونَ :

سِيحْنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا اسْتِنْصَالُ
 إِنْ اللِّسَانُ إِذَا حَلَّتْ عِقَالُهُ أَلْقَاهُ فِي شَنْءٍ لَيْسَ تُقَالُ
 قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لُؤْنٍ التَّجِيبِيُّ :

رَءَى لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ تَعَابٍ بِهِ وَأَرْغَبَ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَبْغِ غَيْرَ الَّذِي يَنْبِيكَ وَأَطْرَحَ الْفُضُولَ تَحِيَّ قَرِيدِ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كَمَا نَالِ السَّرَّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آتِيَةٍ لَا تُمْسِكُ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لَا خَيْرَ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرُ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسُ شَرَّهُ . وَمَنْ حَكَمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَتَاهُمْ عَمَلُهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْإِسْتِدَادِ بِالسِّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ بِسَبَبِ
الْمُشَارَكَةِ (للسِّبْرَاوِي)

قَالَ الْقَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْكَارِمِ الْمِصْرِيُّ الْكَاتِبُ:
وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى السِّرِّ بِهِ مِنْ غَيْرِ نَسِيَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ لِسَانِي لَيْسَ يُعْلِمُهُ سَمْعِي بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ نَاجَانِي
١١٢ (فِي التَّاج) أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وَزِيرَهُ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْنَى لِبَعْضِنَا مِنْ عَائِلَةٍ بَعْضٍ .
فَإِنْ إِفْشَاءَ السِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْتَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى أَثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءُهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَأِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ آخَرِي
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ أَثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبْهَةُ وَأَتَسَمَّتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَعَارِضُ فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقِبَ أَثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ أَتَاهُمَا أَتَاهُمُ بَرِيءًا بِخِيَانَةٍ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا
كَانَ الْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنْ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

النِّصَّةُ

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلْتُ
عَلَى كَثْرَةِ عُيُوبِكَ بِمَا تُكْثِرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ عَلَاقِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :
لَا تَهْتَكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَهْتِكُ اللَّهُ مِثْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرْ مَحْسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
(لابن عبد ربّه)

قَالَ ابْنُ الْحَلَّاجِ الدَّقِيقِيُّ :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتُهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِن صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عِلْمًا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتَ السِّرَّ عَنْ أَوْدُهُ تَوَهَّمُ أَنَّ الْوَدَّ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْتِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ غِيَابٍ مَشَاءٍ
بَنِيمٍ . وَحَسْبُكَ بِالنَّمَامِ خِصَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سَفُوطُهُ وَضَعْتُهُ (وَالْهَمَّازُ
الْمُغْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ الطَّاعِنِينَ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أَخْبَرْتُمْ بِشَرِّكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : شَرُّكُمْ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيَّاتِ .
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ الْبَاقُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَلْعُونُ ذُو الْوُجْهِينِ .
مَلْعُونُ ذُو اللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونُ كُلِّ شَفَّازٍ . مَلْعُونُ كُلِّ قَتَّاتٍ . مَلْعُونُ
كُلِّ نَمَامٍ . مَلْعُونُ كُلِّ مَنَانٍ (وَالشَّفَّازُ الْخَرِشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقِي
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ . وَالْقَتَّاتُ النَّمَامُ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَمِنْ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَأَصْوصَ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السُّعَاةُ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأَصْوصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّارِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِيَّ ضَيَعَ الصَّدِيقُ وَقَدْ تَقَطَّعَ الشَّجَرَةُ فَدَبَّتْ

وَيَقْطَعُ اللَّحْمَ السَّيفُ فَيَنْدَمِلُ . وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ . قَالَ صَاحِبُ
ابْنِ عَبْدِ الْوَدَّوسِ :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أَمٍّ عَلَى غَشٍّ يُسَاجِينِي
إِنِّي لَأَكْثَرُ مِمَّا سَمْتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشْجٍ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ يَا تَبْنِي
هَذَا شَيْئَانِ قَدْ نَاقَيْتَ بَيْنَهُمَا فَكُفُّ لِسَانَكَ عَنْ شَتْيِي وَتَرِيدِي
١١٤ وَقَالَ الْمَأْمُونُ : النَّيْمَةُ لَا تَشْرَبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا . وَلَا
عَدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بُدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَّبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثِقَ بِمَكَانِهِ . وَأَنشَدَ بَعْضُهُمْ :
مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمِنْ عَهَارِيهِ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمِنْ أَوَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَفْضُضُهُ وَالْوَيْلُ لِلْوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يَفْنِيهِ
(للأبشيهي)

الصلق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ : الْكُذِبُ شِعَارُ الْخِيَانَةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَخَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَاخْتِلَافُ
الْبَلِيَّةِ . وَعَنْ خَمُولِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِأَبْنِهِ وَسَمِعَهُ
يَكْذِبُ : يَا بُنَيَّ عَجِيتُ مِنَ الْكُذَّابِ الشَّدِيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْنِهِ وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِتَابِ مِنْ رَبِّهِ . فَالَا تَأْمُ لَهُ عَادَةٌ . وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مُتَضَادَّةٌ. إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدِّقْ. وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُوَفَّقْ. فَهُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ. وَالْأَدَالُ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ. فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ) قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكَذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَحَّكَ الْكَذُوبُ تَفَكُّهُمَا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَّتْ الْكَذُوبُ تَحَلُّهَا وَشَكَامِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرٌ بِكَلَامِهِ وَبَصَّتِهِ وَبُكَائِهِ وَبِصْحَكِهِ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ لِأَبْنِ الْقُرَيْبَةِ: مَا زَالَتْ الْحُكَمَاةُ تَكْرَهُ الْمَزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ. فَقَالَ: الْمَزَاحُ مِنْ أَذْنِ مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا عَشْرَةُ أَبْوَابٍ. الْمَزَاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرْجُفٌ. الْمَزَاحُ نَقَاطُضُ السُّفَهَاءِ كَالشَّعْرِ نَقَاطُضُ الشُّعْرَاءِ. وَالْمَزَاحُ يُغَيِّرُ صَدْرَ الصَّادِقِ. وَيُنْقِرُ الرِّفِيقَ. وَالْمَزَاحُ يُبْدِي السَّرَائِرَ. لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ. وَالْمَزَاحُ يُسْقِطُ الْمُرُوءَةَ. وَيُبْدِي الْخَفَى. لَمْ يُجِرْ الْمَزَاحُ خَيْرًا. وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا. أَلْغَابُ الْمَزَاحِ وَاتِّزٌ. وَالْمَغْلُوبُ بِهِ تَائِرٌ. وَالْمَزَاحُ يُجْلِبُ الشُّتْمَ صَغِيرَةً. وَالْحَرْبُ كَبِيرَةً. وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ. فَقَالَ الْحُجَّاجُ: حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوِ مَعَهُ قُدْرَةٌ. وَذَكَرَ الْمَزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ فَقَالَ: يُدَيِّفُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحَرْدَلِ. وَيُنْفِرُ عَلَيْهِ مِثْلَ

الرجل . ورميه مثل الجندل . ثم يقول : إنما كنت أزعج . أخذ هذا
اللعني محمود بن الحسن الوراق فقال :

تلقى ألقى يلقى أخاه وخذنه في لحن منطقه بما لا يفقر
ويقول كنت مازحاً وملاعياً هيهات نارك في الحشى تتسعر
أوما علمت وكان جهلك غالباً أن المزاح هو السبب الأصغر
(للقيرواني)

الصدقة وخواص البردة

١١٧ (قيل في التبهي) : الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث
العينين . (ومنه) الصديق الصدوق . كالشقيق الشفوق . (ومنه)
الصديق غممة الصديق وعدته . ونصرته وعدهته . وربيعة وزهرته .
ومشتريه وزهرته . ومنه لقاء الخليل شفاء الغليل . وليس للصديق
إذا حضر عديل . ولا عنه إذا غاب بديل . ومثل الصديقين ، كاليد
تستعين باليد والعين بالعين . (ومنه) لقاء الصديق روح الحياة .
وفراقه سم الممات . (ومنه) لا تساغ مرارة الأوقات . إلا بحلاوة
الأخوان الثقات . فاستروح من غمة الزمان بموانسة الخللان . (ومنه)
الحاجة إلى الأخ المعين . كالحاجة إلى الماء المعين . وبعضهم في
معنى هذا الباب :

ما ضاع من كان له صاحب يقدر أن يصلح من شأنه
فإنما الدنيا يسكنها وإنما المرء بإخوانه

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو أَلْوَدٍ مِثِّي وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ
عِصَابَةٍ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَدَبِي
أَرْوَحَاتِي فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مُلَاطَفَةِ
وَأَصْلُ ذَلِكَ إِنْ تَنَبَّي شِمَائِلَهَا
لَمْ تَنْسُ غَيْبًا وَلَمْ تَمَلَّ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ أَبُو اسْحَاقَ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمُوصِلِيُّ :

لَا تَنْسُبُونِي يَا ثِقَاتِي إِلَى
أَقْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْنِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَهْلُ
وَعُدَّةُ الْمِشَاقِ مَا حُلَّتْ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَلَوِيَّةِ الْأَخْجُونِ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيَغْنِي بِهَذَيْنِ الْيَتَيْنِ :
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَائِي وَلَا إِنْ صَرْتُ طُوعَ يَدِيهِ
وَإِنِّي لَمُشْتَقٌّ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ يَدُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدَرْتُ عَلَيْهِ
فَسَمِعَ الْمَأْمُونُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْمُغَنِّينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَأَسْتَظِرُّهُ الْمَأْمُونُ . وَقَالَ : أذنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا . فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِي الْخُلَاقَةَ وَأَعْطِينِي هَذَا الصَّاجِبَ
(لِبَهَاءِ الدِّينِ)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمَرْوَانِ الشَّرِيكَ فِي الْمَرْأَتَيْنِ
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَكَ فِي الْحَيِّ وَإِنْ غَيْبْتَ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَيْبَ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرِيَاءِ عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وَدًّا صَحِيحًا صَادَ كُلُّ الْوَدَادِ زُورًا وَمَيْتًا
قَالَ بَشَّارٌ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو وَمِشَارِبُهُ
فَيْعُشُ وَاحِدًا أَوْصَلَ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَجَانِبُهُ
١٢١ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الْبَاهِلِيُّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ . فَقَالَ
مَرْتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرُهُ فَجَعَلَ مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلِّ الْمُلُوكَ إِلَى التَّعَالَى وَوَقَفِ الْمُلُوكُ مِنَ الْحَالِ
مَالِي رَأْيُكَ لَا تَدُوْ مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرْ فِ قُلْتَ ذَلِكَ أَخُو ضَلَالٍ

أَوْ كَانَ ذَا نَسِكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَلِكَ مِنَ الْقِيَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيعُ مَالِي
 فَيُشِلُّ ذَا ثِكَلَتِكَ أُمُّكَ تَبْنِي رَبَّ الْعَالِي
 ١٣٢ قَالَ الْعَنْزِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُكْرَهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي بَسْرِ
 مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالترَّجِيبِ وَالْبَشْرِ
 يُطْرِي أُلُوفًا وَذَا أُلُوفًا وَيَلْحِي الْعُدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْعُدْرَ
 فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 فَارْفُضْ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَفِلُّ الْمِقْلَ وَيَعْشَقُ الْمَثْرِي
 وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
 لَا تَخْطِطُ لَهُمْ بَغِيرَهُمْ مَنْ يَخْطِطُ الْعِيقَانِ بِالصَّفْرِ
 قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمُنَوِّفِيُّ :

أَزْعَمُ أَنَّكَ الْحِذْنُ الْمَقْدَى وَأَنْتَ مُصَادِقُ أَعْدَائِي حَقًّا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَأَجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقَ مَنْ أَصَادِقُهُ خُفًّا
 وَجَانِبَ مَنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي حِدْنًا وَتَبْقَى
 قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَدُضِّكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّائِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَذْنَى إِذَا لَمْ تُرَاعِضَلَا
 ١٣٣ قَالَ الْمَتَايِيُّ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافُ . فَرَعُ بَائِنٌ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلُ مُتَّصِلٍ بِفَرْعِهِ . وَفَرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا الْفَرْعُ الْبَائِنُ مِنْ أَصْلِهِ
فَإِخَاةٌ يُبْنَى عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ فَحُفِظَ عَلَى زِمَامِ الصُّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفَرْعِهِ فَإِخَاةٌ أَصْلُهُ الْكَرَمُ وَأَعْصَانُهُ التَّقْوَى . وَأَمَّا الْفَرْعُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَالْمَوَدَّةُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)

١٢٤ قَالَ الْبَكْرِيُّ:

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخْنُهُ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَّيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي ثِقَاتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مُهِمٍّ أَحْتَرِسُ
سَرَّ الْبَعْضِ بِالْقَاطِطِ الْهَوَى وَأَدْعَى الْوَدَّ بِشَيْءٍ وَدَلَسُ
إِنْ رَأَى قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسُ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتْهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَجْرَى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنْ خَانَهُ قَدَرُ أَنْ يَقْطَعَ مَنْ كَانَ نَعْسُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كَذِرَاعٍ نَيْطَتْ إِلَى عَصَدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْحَوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
أَعْرَضَ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنِّي طَرَفِي وَيَزِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تَرْفُهَا
وَتَحَرَّسَهَا مُعَرَّضَةً لِلْآفَاتِ فَرُضَ الْآلَاءُ بِالْجُدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَيَا لَكُظْمٍ حَتَّى يَتَذَرَّ إِلَيْكَ مَنْ ظَلَمَكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

تَسْتَكَثِّرُ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالتَّمْصِيرِ . (وَلِيَحْمُودِ
الْوَرَّاقُ) :

لَا يَرِ اعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَمًّا فَأَقِلهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَبُودَ إِلَيْكَ مَعَادَتُهُ
فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَغْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ :

أَوَّاصِلُ مَنْ هَوِيَ عَلَى خِلَالٍ أَذُودُ بَيْنَ لَيَاتِ الْمَنَالِ
وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَالْغَيْبَ مِنْهُ وَأَرْعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالٍ
وَفَاءٌ لَا يَحُولُ بِهِ أَنْتِكَاثٌ وَوَدٌّ لَا تُخَوِّنُهُ الْإِيَالِي
وَأَوْثَرُهُ عَلَى عُسْرِ وَيُسْرِ وَيَنْفِذُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نَبْوَ الْأَذْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِجَافٍ وَلَا أَلْتَدُرُّ الْمَذْمُومَ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٌ تَخَذْتُهُمْ دُرُوعًا فَكَانُواهَا وَلَكِنْ لِلْإِعَادِي
وَحِلَّتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُواهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فُسَادِ

١٢٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَصْحَبْ لَخَا السُّوءِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاهُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَفْوَاهُ
وَالْقَلْبُ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلُ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
قَلَمَ تُرِنِي الْأَيَّامُ خِلَا تَسْرِنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَّلَهُ بِهَا : نَحْنُ إِلَى الْفِعْلِ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنْكَ مِنَ الْمَطْلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِإِنْجَازِكَ الْوَعْدَ وَاسْتِمَامِكَ الْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنَّ أَوْقَعَ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُلُوبِ وَأَبْرَدُهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يَكْدِرُهُ الْمَطْلُ . كَتَبَ الْغَنَائِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَبْرَقَ فَلْيَكُنْ وَبَلَهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطْلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع والكبر

١٢٩ إَعْلَمَنَّ أَنَّ الْكِبَرَ وَالْإِعْجَابَ يَسْلُبَانِ الْفَضَائِلَ . وَيَكْسِبَانِ
الرَّذَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ الْأُصْحَاقِ وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ .
وَتَسْلُبُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكَبَرُ يَكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّأَلُّفِ .
وَلَمْ تَرَلِ الْحُكَمَاءَ تَتَحَامَى الْكِبَرُ وَتَأْتَفُ مِنْهُ . وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلُكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ فَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للابشيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا صَاعَ اخْتِغَارِكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدْتَ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتَبِرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تَيْجَانَ السَّلَاطِينِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْعُلَمَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تَوَلِّ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفَصَافِ مُرْتَفِعًا إِلَى الْعُلَمَاءِ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ :

إِتَّضَعَ لِلنَّاسِ إِنْ رُمِيَ الْعُلَى وَأَكْثَمَ الْغَيْظَ وَلَا تُبْدِ الصُّجُرَ
وَأَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لَأَفْقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُدْخَرُ
إِجْمَلَ النَّاسِ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمَلِّكَ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

اللبُّ الثَّامِنُ في الذِّكَاءِ وَالْأَدَبِ

في العقل وماهية

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيِّ: الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَّا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بِعَرَضٍ. خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَلْبِ يُدْرِكُ بِهِ الْمَقْصُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْخُشُوسَاتِ بِالشَّاهِدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيُعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَعَاشِ. وَالْأُخْرَى الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمُعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهِدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهِدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ (الكثر المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلَا يَعْتَرِيهِ جُنُونُ
وَالْعَقْلُ قَدْ وَاحِدٌ وَطَرِيفُهُ أَذْرَى وَأَرْصَدُ وَأَجُنُونُ فُنُونُ

في شرف العقل

١٣١ الْعَقْلُ أَحْسَنُ حَلِيَّةٍ. وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ قُتْبَةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ. وَلَا عَدَلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مُطِيبَةٌ سَوَاءٌ مَنْ رَكِبَهَا زَلَّ. وَمَنْ صَحِبَهَا

صَلَّ مِنْ الْجَهْلِ صُحْبَةُ الْجَهَالِ . وَمِنْ الذَّلِّ عَشْرَةُ ذَوِي الضَّلالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مَنْ صَاحَبَ الْعُلَمَاءَ
 وَقُرَّ . وَمَنْ عَاشَرَ السُّفَهَاءَ حُفِرَ . مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صَغَرِهِ . لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهَا الْعِفَّةُ . أَلْعَقْلُ
 أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالتَّوَكُّلُ أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يَطْلُبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يَطْلُبُ الْكَمَالَ . لَمْ يُدْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَعَزَّيْزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للشبراوي)

١٣٢ حَكَى الْكِسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِخْضَارِ
 الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : فَلَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلَ كَكُوكَبِي
 أَفْقَ يُزَيِّنُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا . وَقَدْ غَضًّا أَبْصَارُهُمَا وَقَارَبَا خَطُوهُمَا
 حَتَّى وَفَقَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ اللَّهِ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَنِي
 أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابًا مِنَ النَّحْوِ . فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَمَرِي أَفْقَ وَفَرَعِي بِشَامَةِ يَزَيْنُهُمَا عِرْقُ كَرِيمٍ وَتَحْتَهُ
 سَلِيلِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَازِرِي مَوَارِيثَ مَا أَبْقَى أَبُوكَ الْمُؤَيَّدُ
 يَسْدَانِ أُنْفَاقَ الْتِفَاقِ بِشِمَةِ يَزَيْنُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مُنْدُ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَوْلَادِ الْخِلَافَةِ

وَأَغْصَانُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزُّلَالِيَّةِ آدَبٌ مِنْهُمَا أَلْسِنًا . وَلَا أَحْسَنَ أَفْظَانًا .
وَلَا أَشَدَّ أَقْتِدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوِيَا . أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا . وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
وَقَمًّا . فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَائِي . ثُمَّ صَمَّيْنَاهُمَا إِلَيْهِ وَجَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ .
فَلَمْ يَنْسُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمْعَ تَحْدُرُ عَلَى صَدْرِهِ . ثُمَّ أَمَرَهُمَا
بِالْخُرُوجِ . (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَثَالِ أَكْفَاهُ أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ قَالَطِينُ وَالْمَاءُ
مَا أَتَفَخَّرُ إِلَّا لِأَهْلِ السَّلَامِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لَمَنْ اسْتَهْدَى أَدِلَاءُ
وَقَدَّرُ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ فَإِنَّ نِسَبَنَا جُودٌ وَعَلِيَّاهُ
فَقَرَّ يَعْلَمُ تَعَشَّ حَيًّا بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
١٣٣ إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَفَخْرُهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
وَهُوَ أَعَزُّ الَّذِي لَا يَبُلُ جَدِيدُهُ . وَالْكَثْرُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ . وَقَدْرُهُ
عَظِيمٌ . وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَالْمَحْمُودَ مِنْ عَقْلًا وَأَفْبَحَ الْجَهْلَ وَالْمَذْمُومَ مِنْ جَهْلًا
فَلَيْسَ يَصْلُحُ نُطْقُ الرَّءِ فِي جَدَلٍ وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُئِلَا
١٣٤ ثُمَّ أَعْلَمَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا رُبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ . وَأَدْبَرَتْ

عَنِ الْعَالَمِ بِالْإِسْتِحْقَاقِ . فَإِنَّ أَتَاكَ مِنْهَا مُلَمَّةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْفَاتَكَ مِنْهَا
بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلِ . فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فَدَوَلَةٌ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ . وَدَوَلَةٌ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مَنْ
أَمَكَّهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنْ أَسْتَوْجَبَهُ بِأَدَايِهِ وَآلَاتِهِ . وَأَيْضًا فَدَوَلَةٌ
الْجَاهِلِ كَالْغَرِيبِ الَّذِي يَحْنُ إِلَى الثَّقَلِ . وَدَوَلَةٌ الْعَاقِلِ كَاللَّسِيبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةَ

لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرُقَى إِلَى الْفَلَاحِ
فَيْنَمَا الذَّهَبُ الْإِزِيدُ مُخْتَلِطٌ بِالْثَرَبِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى الْمُلْكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ رَفَعَهَا بَعِيرُ
عَقْلٍ . وَلَا يَمْتَزِلَةَ رَفِيعَةً حَلَمَهَا بَعِيرُ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُبُهُ مِنْهَا . فَيَنْحَطُّ إِلَى رُتَبَتِهِ . وَيَرْجِعُ إِلَى قِيَمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عِيُوبُهُ .
وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَادِحُهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَقْعُدَنَّ عَنْ اكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ آدَتْ إِلَى الْإِعْدَامِ
جَهْلُ الْقَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْإِيَّامِ .
(للشبراوي)

١٣٦ سَمِعَ الْأَحْمَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجُ مَا بَطْنُ . وَمِلَاكُ مَا عَلَنَ . وَسَائِسُ الْحَدِيدِ .
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ
(للقيرواني)

قَالَ الْخَضِرَاوِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
يَمِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَايِبُهُ
وَشَيْنُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ
إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَانُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَا رِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حُلَّةٌ فَخْرٍ مَنْ تَسَرَّبَ لَهَا كَانَتْ لَهُ نَسَبًا تَغْنِي عَنْ النَّسَبِ
وَالْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كُلِّهِم بِالْعَقْلِ يَنْجُوا الْفَتَى مِنْ جَرَمَةِ الطَّلَبِ
١٣٧ قِيلَ : إِنَّ الْعُمَيَّانِ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقَتَادَةَ : مَا بَالُ
الْعُمَيَّانِ يُجِدُّهُم أَذْكَى مِنَ الْبُصَرَاءِ . فَقَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ
أَنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا فَنِي إِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورٌ
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَشْهُورٌ
(لابن عبد ربه)

فِي الْعِلْمِ وَشَرَفِهِ

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَلْعِلْمُ حَلِيلٌ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَقْلُ
دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : لِيُثْقَلَ ذَرَّةٌ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

أَفْعَامٌ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ
طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لَا بِي نَصْرَ الْمَقْدِسِي)
قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَتَعْمَلُ يَا أَخِي بِهِ فَأَلْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِالْعِلْمِ تَحْيَا نَفْسٌ قَطُّ مَعْرِفَتْ مِنْ قَبْلِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمِينِ
أَلْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْعَيْنِ
١٣٩ وَقَالَ أَبُو بَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ
عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنْ أَسْتَعْنَيْتَ بِهِ
كَانَ جَاهًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

أَلْعِلْمُ مُبْلِغٌ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ فَاحْذَرِ أَنْ تُدْنِسَهُ بِالْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلْفِ
أَلْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْمُضَلَّاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
الْعُلَمَاءِ مَا أَمَكُنْ وَلَا يَدْعُ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
وَمِنْ الْجَهْلَةِ أَنْ تُعْظِمَ جَاهِلًا لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِ نَفْسِهِ
وَأَعْلَمُ بَأَنَّ التَّيْرَ فِي بَطْنِ الثَّرَى خَافَ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بَنِيهِ
وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ مِرْهُهَا مِنْ حَكِّهِ لَا مِنْ مَلَا حَةِ نَفْسِهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ الْعِلْمُ قَوْمٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
مَا ضَرَّ شَمْسَ الصَّحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ
١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . أَلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ
الْمَالَ . وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمَالُ
يَنْقُصُ بِالنَّفَقَةِ . وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
الْعِلْمِ وَالْمَالِ وَالْمَالِ . فَأَخْتَارَ الْعِلْمَ فَأَعْطِيَ الْمَلِكَ وَالْمَالُ مَعَهُ . وَقَالَ
الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) فَتَقِيهِ جَلَالَ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الَّذِينَ أَلْذِي أَمْرُهُ غَمٌّ
فَخَالِطُوا الْعِلْمَ وَأَصْحَبْ خِيَارَهُمْ فَصَحَّبَهُمْ زَيْنٌ وَحُلُطَتُهُمْ غَمٌّ
وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نُجُومٌ هَدَى إِنْ عَابَ نَجْمٌ بَدَأَ نَجْمٌ
قَوْلَ اللَّهِ لَوْلَا الْعِلْمُ مَا أَتَّصَعَ الْهَدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمٌ
١٤٢ وَعَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ قَدْ جَهَلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
سَمِعْتُ وَكَيْمًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْهُ .
وَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمَنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنِ هُوَ مَانٍ
لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ الْعِلْمِ وَطَالِبُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَّا طَالِبُ
الْعِلْمِ فَيَزِدُّهُ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدُّهُ فِي الطُّغْيَانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمُنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلٌ
إِجْهَدَ وَلَا تَكْسَلُ وَلَا تَكْ غَافِلًا قَدَامَةُ الْعُقْبَى لِمَنْ يَتَكَسَّلُ
قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعًا
وَالْعِلْمُ أَجْمَلُ تَوْبٍ أَنْتَ لَا لِإِسْهُ فَأَخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ الدِّينَ وَالْوَرَعَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ الْقُبُورِ قُبُورٌ
وَأَنْ أَمْرًا لَمْ يُنْجِ بِالْعِلْمِ قَلْبُهُ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الشُّورِ نُشُورٌ
قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مُجِدٍّ فِي الْوَرَى نَفْعٌ فَاضِلٌ وَلَيْسَ يُفِيدُ الْعِلْمُ مِنْ دُونَ عَامِلٍ
يُسَاقِبُ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِجَهْدِهِمْ وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِالْهَوَا كَرٌّ بِاسِيلٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِدِي الْعِلْمِ وَالْحُجِّي فَمَا هُوَ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا كَالْجَاهِلِ
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءُ غَيْرُهُ يَعْدُ كَشُولِكِ بَيْنَ زَهْرِ الْحَمَائِلِ
وَقِيلَ أَيْضًا :

الْمَالُ يَفْنَى مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ وَالْعِلْمُ يَضْطَجِبُ الْإِنْسَانَ لِلتَّرَبِّ
إِنَّمِ جَنَى غَرَسِهِ تَحْطُ بِبَيْلٍ مَنِي وَتَعْلُ بِالْقَدْرِ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
١٤٣ قَالَ الْمَلْهِيَا بَاذِي مُغْرِيَا بِتَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

نَاسَعِيًا وَطَلَابُ الْمَالِ هِمَّتُهُ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالِدَيْنِ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَعْبُودٍ
 الْعِلْمُ يُجِدِّي وَيَبْقَى لِلْفَتَى أَبَدًا وَالْمَالُ يَفْنَى وَإِنْ أَجْدَى إِلَى حِينٍ
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ مَا شَدَّ مَا الْبُعْدُ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ
 قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ خُلِقْتَ أَتَوَّابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ
 وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ مُهَذَّبِ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
 فَالْمِسْكُ مَهْمَا تَرَاهُ مُمْتَنًا يَفْهَرُ عَطَارِهِ وَسَاحِقِهِ
 حَتَّى تَرَاهُ بِعَارِضِي مَلِكٍ وَمَوْضِعِ التَّلَاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ فَاطْلُبْ هُدًى فَنُونَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبَا
 كَمْ سَيِّدٌ بَطُلٍ أَبَاؤُهُ تُجِبُ كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأَتَمَسَى بَعْدَهُمْ ذَنَبَا
 وَمُفْرِفٍ خَامِلٍ إِلَّا بَاءَ ذِي أَدَبٍ نَالَ الْمَعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتَبَا
 الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ نِعَمَ الْفَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبَا
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرِمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ قِيلَقَى الذَّلَالَا
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَقْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ أَلْفُوتٌ وَالسَّلْبَا
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعَمَ الذَّخْرِ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا
 ١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ يَزْدَادُ رَفَعُ الْفَتَى قَدْرًا بِمَا طَلَبَ
 فَالْعِلْمُ طَوْقُ النُّهَى يَزْهُو بِهِ شَرَفَا وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِاللَّغَبِ

كَمْ يَرَقُّ الْعِلْمُ أُنْثَخَاصًا إِلَى رُتَبٍ وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَشْرَافًا بِلاَ أَدَبٍ
 الْعِلْمُ كَنْزٌ فَلَا تَقْنِي ذَخَائِرُهُ وَأَزَاءُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّتَبِ
 فَالْعِلْمُ فَاطِبُ لِكَي يُجِدِيكَ جَوْهَرُهُ كَالْقُوتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبُ غِنَى النَّهْبِ
 قَالَ آخِرُ:

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
 إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
 قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعْلَمُ مَا اسْتَطَعْتَ يَحِثُّ تَسْعَى فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِلرِّجَالِ
 لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ وَفِي الْعَقْبَى تَنَالٌ بِهِ الْعَالِي
 قَالَ آخِرُ:

الْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُقْتَسِبًا
 إِنْ كُنْ إِلَيْهِ وَثِقٌ بِاللَّهِ وَاعْنِ بِهِ وَكُنْ حَلِيمًا بِزَيْنِ الْعَقْلِ مُحْتَسِبًا
 وَكُنْ قَتِي مَاسِكًا مُحْضًا اتَّقِ وَرِعًا لِلدِّينِ مُقْتَسِبًا فِي الْعِلْمِ مُنْعَسِبًا
 مَنْ تَخَلَّقَ بِالْآدَابِ ظَلَّ بِهَا رَيْسَ قَوْمٍ إِذَا مَا فَارَقَ الرُّؤْسَا
 وصف الكتاب

١٤٥ الْكِتَابُ نِعَمٌ أَلَانِيسُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمَ الْمَعْرِفَةُ فِي
 دَارِ الْغُرْبَةِ . وَنِعَمَ الْفَرِينُ وَالْدَّخِيلُ . وَنِعَمَ الزَّائِرُ وَالزَّرِيلُ . وَعَاةُ مُلِيٍّ
 عِلْمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءُ مُلِيٍّ مَرْحًا وَجِدًا . وَحَبْدَا بَسْتَانٍ يُحْمَلُ فِي خُرْجٍ
 وَرَوْضُ يُقْلَبُ فِي حِجْرِ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ

بِأَوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطُغُومٍ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ شَجَرَةَ لَا تَذَوِي . وَزَهْرًا لَا يُتَوِي .
وَتَمْرًا لَا يُفْنَى . وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ وَالْجَانِسَ وَضِدَّهُ .
يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتِ وَيُتَرْجِمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ . وَإِنْ
عَرَبِدْتَ لَمْ يَضْحَبْ . أَكْتَمُ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَنْمُ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنَ
الْهَوَى . وَأَخْذَعُ مِنَ الْمَنَى وَأَمْتَعُ مِنَ الصَّحَى . وَأَنْطِقُ مِنْ سَحَابٍ وَإِلَى
وَأَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ . هَلْ سَمِعْتَ مُعَلِّمَ تَحَلِّيٍّ بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَ أَوْصَافًا عَدِيدَةً .
عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ . وَإِنْ أَلْهَى
أَمْتَعَ . وَإِنْ أَنْبَى أَدْمَعَ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
وَيَذِيدُكَ وَلَا يَسْتَرِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ قَعْبَةً . وَإِنْ مَزَحَ قَنْزَةً . قَبِرَ
الْأَسْرَارَ وَخَمَزْنَ الْوَدَائِعَ . قَيْدُ الْعُلُومِ . وَيَنْبُوعُ الْحِكْمِ . وَمَعْدِنُ
الْمَسْكَارِمِ . وَمَوْئِسٌ لَا يَنَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ . وَيُنْخِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ
أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغْتَ أَنْ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ
جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قِلَّةٍ مَوْوَنَةٍ وَخَفَةِ نَحْمَلِهِ . لَا يَذُرُوكَ شَيْئًا مِنْ
دُنْيَاكَ . نَعَمَ الْمُدَّخِرُ وَالْعَمْدَةُ . وَالْمُسْتَغْلُ وَالْحَرْفَةُ . جَلِيسٌ لَا يُطْرِكُ
وَرَفِيقٌ لَا يَمْلِكُ . يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتُهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ
طَاعَتُهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطْلَتِ النَّظْرُ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعُكَ . وَتَمَحَذَ طَبَاعُكَ .
وَبَسَّطَ لِسَانُكَ . وَجُودَ بَيَانُكَ . وَفَحْمُ أَفْطَاظِكَ . إِنْ أَلْفَتْهُ خُلْدٌ عَلَى
الْأَيَّامِ ذَكَرَكَ . وَإِنْ دَرَسَتْهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَعِمَتْ نَوَهُ عَنْهُمْ
بِأَسْمِكَ . يُعِيدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ . وَيُجْلِسُ السُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ

الْمُلُوكِ فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعَزَّ بِهِ مِنْ مُوَافِقٍ (الكثر المدفون)
 ١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيُسَامِرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوَالِيَهُ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِيثُهُمْ فَإِذَا فَرَعْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالِمُ قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمْلُ حَدِيثَهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غِيَا وَمَشْهَدَا
 يُفِيدُونَ تَنَا مِنْ عَلَيْهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَرَأْيَا وَتَأْدِيَا وَمَجْدَا وَسُودْدَا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمَوَاتٌ فَلَمْ تَعُدْ أَمْرَهُمْ . وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفْتَدَا
 فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأْخُرَهُ

١٤٧ طَلَبَ الْمَكْنِي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِحِطَالِهَا
 زَمَانَهُ . فَصَدَّمَ الْوَزِيرُ إِلَى الثُّنَابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرَضَ عَلَيْهِ قَبْلَ
 هَمَلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحْمِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَاهَا الْوَزِيرُ قَالَ لِنَوَائِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصَلُوا لَهُ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَسْتَعْلُ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ مَا يُعْرِفُهُ مَصَارِعَ أُلُوزَرَاءَ وَيُوجِدُهُ
الطَّرِيقَ إِلَى اسْتِخْرَاجِ أُمَالٍ وَيُعْرِفُهُ خَرَابَ أَلْيَادٍ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوْهَا
وَحَصِلُوا لَهُ كُتُبًا فِيهَا حِكَايَاتُ تَلَاهِيهِ وَأَشْعَارُ تُطْرِبُهُ (لأفخري)
قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْحِفْظِ وَالْأَسْطِظْهَارِ :

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِلْكَتُبِ آفَاتٍ تُفْرِقُهَا
أَلْمَاءُ يُفْرِقُهَا وَالتَّارُ تُحْرِقُهَا وَالتَّارُ يُخْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : أَلْيَانُ تَرْجَمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقُلُ الْعُقُولِ . وَأَمَّا
حَدُّهُ فَفِيهِ قَالَ الْجَاهِظُ : أَلْيَانُ أَسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنْ
الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ
وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الْبَلَاغَةُ تَضَمُّنُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ
الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ
الْمَعْنَى . وَقِيلَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .
فَقَالَ : أَقْلَهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلَهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنَهُمْ بَدِيعَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : الْبَلَاغَةُ مَا فَهِمْتَهُ الْعَامَّةُ وَرَضِيتَ بِهِ الْخَاصَّةُ .
وَقَالَ الْجُبَيْرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يُلَّ . وَقَالُوا :
الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يُقَطَعُ إِلَّا بِسَوَائِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسْلَكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ
أَلْيَانٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ نَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِمَقْصُورٍ عَنْكَ نَعْرِفُ

مَهْدِي الْعُذْرِي نَظْمٌ بَعَثْتُ بِهِ مَنْ عِنْدَهُ الدُّرُ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدْفُ
 ١٤٩ وَقَالَ الثَّعَالِي: الْبَلِيغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحْلًا وَمَعْنَاهُ بَكْرًا. وَقَالَ
 الْإِمَامُ فخر الدين الرَازِي فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّمَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بَعَارَتُهُ
 كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْإِيجَازِ الْخُلِّ وَالْتِطْوِيلِ الْمُلِّ.
 وَأَمَّا الْقَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فخر الدين الرَازِي عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّ
 الْقَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ مِنَ التَّعْقِيدِ وَأَصَالُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْصَحَ الْكَلْبُ
 إِذَا أُخِذَتْ عَنْهُ الرُّغْوَةُ. وَكَثُرَ الْبَلْغَاءُ لَا يَكْادُونَ يَفْرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْقَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَعْمِلُونَهَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَدَّعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعَانِي وَالْقَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَافِ. وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هَبَّتْهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظُمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَصَرَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي (اللابِشِيهِي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُشِيرُ: سُيُورُ دِيَوَانِ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَدَبِهَا.
 وَيُقَالُ: الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشُّعْرَاءُ لِكَلَامِ أُمَرَاءٍ. وَقَالَ بَعْضُ
 السُّلَفِ: الشَّعْرُ جَزَلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُقَامُ بِهِ الْمَجَالِسُ وَتُسْتَمْتَحُ بِهِ
 الْحَوَائِجُ وَتَشْفَى بِهِ السُّخَامُ. وَيُقَالُ: الْمَدْحُ مَهْرَةُ الْكِرَامِ. وَإِعْطَاءُ
 الشُّعْرَاءِ مِنْ يَمْرِ الْوَالِدَيْنِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْصَفُ الشُّعْرَاءِ فَإِنْ
 ظَلَمْتَهُمْ تَبَقَى وَعِقَابُهُمْ لَا يَفْنَى. وَهُمْ الْحَاكُمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخِرُ: الشَّعْرُ الْجَيِّدُ هُوَ الشَّعْرُ الْحَلَالُ. وَالْعَذْبُ الرُّزَالُ. إِنْ مِنْ
 الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنْ أَلْبَانٍ لَسِحْرًا. وَكَانَ يُقَالُ: النَّثْرُ يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ
 الشَّرَرِ. وَالشَّعْرُ يَبْقَى بَقَاءَ النَّفْسِ فِي الْحَجْرِ. وَقِيلَ لِحِمَزةِ بْنِ بَيْضٍ:
 مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ. قَالَ. مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ. وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ. وَإِذَا
 مَدَحَ رَفَعَ. وَإِذَا هَجَا وَضَعَ. وَقَالَ دَعِيلٌ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدَحِ
 الشَّعْرَاءِ: إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَخْزَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: كَذَّابٌ. إِلَّا
 الشَّاعِرُ فَإِنْ يَكْذِبُ لِيَسْتَحْسِنَ كَذِبُهُ. وَيَحْتَمِلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
 عَيْبًا عَلَيْهِ. ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُقَالَ: أَحْسَنْتَ. (وَفِيهِ) إِنْ الرَّجُلُ الْمَلِكُ أَوْ
 السُّوْقَةُ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكُتَّابِ أَمْرًا مُعَلِّمَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الشَّعْرَ. لِأَنَّهُ
 تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْمَجَالِسِ. وَتَضَرَّبَ فِيهِ الْأَمْثَالُ وَتَعَرَّفَ بِهِ مُحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ
 وَمَشَابِيهَا فَتَزَدُّ وَتُحَمَّدُ وَتُهْجَى وَتَمْدَحُ. وَأَيُّ شَرَفٍ أَبْقَى مِنْ شَرَفِ
 يَبْقَى بِالشَّعْرِ. (وَفِيهِ) إِنْ أَمْرًا أَلْقَيْسَ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ. وَكَانَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلِكًا فَبَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ.
 وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ. وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ. وَقَالَ: أَحْسَنُ مَا
 مَدَحَ بِهِ الشَّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ:
 وَلَوْلَا خِلَالُ سَهْمِ الشَّعْرِ مَا دَرَى بُغَاةُ الْمَعَالِي كَيْفَ بُنِيَ الْمَكَارِمُ
 وَأَحْسَنُ مِنْهُ:

أَرَى الشَّعْرَ يُخَيِّجُ الْجُودَ وَالْبَاسَ بِالَّذِي تُبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطِرَاتُ
 وَمَا تُجَدُّ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نُحْرَاتُ

١٥١ (فَصَلِّ لِأَيِّ بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ جَامِعِ لِمَدَحِ الشُّعْرَاءِ) مَا ظَنُّكَ
 بِقَوْمٍ إِلَّا قُصَارُ مَحْمُودٍ إِلَّا مِنْهُمْ. وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ.
 إِذَا ذَمُّوا تَلَمَّعُوا. وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا. وَإِذَا رَضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعَ.
 وَإِذَا غَضِبُوا وَضَعُوا الرَّفِيعَ. وَإِذَا أَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَبَارِ لَمْ
 يَلْزَمْ حَدٌّ. وَلَمْ تُنْتَدِ إِلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ يَدٌ. غَنِيهِمْ لَا يُصَادَرُ. وَفَقِيرُهُمْ لَا
 يُسْتَحَقَّرُ. وَسَيِّئُهُمْ يُوقَرُ. وَشَابَهُمْ لَا يُسْتَصْنَرُ. سِهَامُهُمْ تَنْقُذٌ فِي
 الْأَعْرَاضِ. وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ. وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا سَجِلَ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا
 عَدْلٌ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ صَيَارِفَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ. وَسَمَائِرَةُ
 النَّقْصِ وَالْكَمَالِ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ اسْتَمْتَحَنُوا نَاطِقُ الْفَضْلِ. وَأَسْمُ
 صِنَاعَتِهِمْ مُسْتَقٌ مِنَ الْعَقْلِ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ.
 يُقْصَرُونَ طَوِيلَهُ. وَيَطْوِلُونَ قَصِيرَهُ. يُقْصَرُونَ مَمْدُودَهُ. وَيُخَفَّفُونَ
 ثَقِيلَهُ. وَلَمْ لَا أَقُولُ: مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. وَفِي كُلِّ وَادٍ
 يَهِيمُونَ
 (لَايِي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ: مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ
 مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا. فَهِيَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ تُدَارُ تَتَسَّعُ وَتُرَدُّ
 عِظَمًا. وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ
 عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا. أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بَيْنَهُ فَقَالَ لَهُمْ:
 الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةً وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ. يَرْفَعُ الْأَخْسَابَ الْوَضِيعَةَ.

وَيُفِيدُ الرَّغَائِبَ الْجَلِيلَةَ . وَيُعْنِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيَكْثُرُ الْأَنْصَارُ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . فَأَلْبَسُوهُ حُلَّةً . وَتَرَيُوا بِهِ جِلْبَةً . يُوَانِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَأَمَاءٍ مُخْتَلَطًا بِالتُّرْبِ تَظْهَرُ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشْبِ
١٥٣ وَقَالَ بَرْزَجِيهْرُ : مَا وَرَثَ الْأَبَاءُ إِلَّا بَنَاءَ خَيْرٍ أَوْ مِنْ الْأَدَبِ .
لَا نَهَمَ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمْالًا وَيَلْجُلُّونَ يَتْلِفُونَهُ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخَلْقِ خَيْرٌ
قَرِينٍ وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَأَتَتْهُ وَى خَيْرٌ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ أَدْرَكَ مِنْ فَاتِهِ الْأَدَبُ . وَأَيُّ شَيْءٍ ذَاتٍ مَنْ أَدْرَكَ
الْأَدَبَ . وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ
وَإِنْ قُلُوا . وَحَلَّ الْأَنْسُ أَيْنَ حَلُّوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بُنَيَّ الْأَدَبُ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ قَعَامَةٌ
تَجِدُهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ : لَوْ عَلِمَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمُ بْنُ أَبِي عَزَّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ أَمْوَالٍ وَشَيْكُ ذَهَابِهِ . جَدِيدُ انْقِطَاعِهِ
وَأَنْقِلَابِهِ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خُمُولٍ وَذُثُورٍ وَذُبُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَأْيٌ
وَاصِبٌ . لَا يَزُولُ زَوَالِ أَمْوَالٍ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَعَدَ بِهِ حَسَبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : جِلْبَةُ الْأَدَبِ لَا
تُخْفَى . وَحَرَمَتُهُ لَا تُخْفَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

شَيْتَ . قَالَ بُزْجَهْرُ : مَنْ كَثُرَ آدَبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ
وَضِعَاءً . وَبَعْدَ صَيْتِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا . وَكَثُرَتْ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : الْأَدَبُ أَدْبَانُ آدَبُ الْقَرِيذَةِ
وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرَّوَايَةِ وَهُوَ الْقَرَعُ . وَلَا يَنْفَرُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنِ
أَصْلِهِ . وَلَا يَنْمُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ (للشريشي)

١٥٤ وَقَالَ حَبِيبٌ فَأَحْسَنَ :
وَمَا السَّيْفُ إِلَّا زُبْرَةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْحِلَاقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِئٍ هِبَةً . أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ آدَبِهِ
هَمَا كَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَقَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَحْسَنُ بِهِ
وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ طَاهِرَ الثَّبَتِ تَادَبَ بِآدَبِهِ
وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوُلْدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
رَأَيْتُ صَلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعْدِيهِمْ عِنْدَ الْقِسَادِ إِذَا قَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صَلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أُمِّهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخَارُ بِنَفْسِهِ
١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ . وَاسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ . بِالْعَمَلِ يُصْلِحُ كُلُّ أَمِيرٍ
وَبِالْحِلْمِ يَقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ (للشبراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَصَ بَنِيكَ عَلَى الْأَدَابِ فِي الصِّغَرِ كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَأَمَّا مَثَلُ الْأَدَابِ فَتَجْمَعُهَا فِي عُثْوَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَسْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمُ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدَّيْلَجِ وَالسَّرْرِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ التَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَخَّ الصَّغَارُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الْأَدَابُ الظَّاهِرَةُ

١٥٦ (الْأَدَابُ فِي الْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يَقُولَ
يَا أَهْلَ الْأَدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسَنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ يَمِينَهُ وَيَشْرَبَ يَمِينَهُ .
وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ
فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضْمَّ شَفَتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ
بِسَكِينٍ . وَلَا تَجْلِسَ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَارْفَعْ مَنْزِلًا . وَلَا
تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِينِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْأَدَابِ أَنْ يُعْرَضَ عَنْ
الْبُطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . وَمَنْ كَثُرَ
طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تَمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ .
قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهَمًا شَرِيحًا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الِإِحْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ الْمُضِيفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظْهِرَ لَهُمْ الْغِنَى
وَيَسْطُرَ أَلْوَجْهَ فَقَدْ قِيلَ: الْبَشَاشَةُ فِي أَلْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى. قَالُوا:
فَكَيْفَ بَيْنَ يَأْتِي بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ صَيَّنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدْيَوِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بِآيَاتٍ فَقَالَ:

إِذَا الْمُرُءُ وَافَى مَنَزِلًا مِنْكَ فَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرَمَتْهُ لَدَيْكَ أَسَالِكُ
فَكُنْ بِأَيْمَانٍ فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرَحَبًا أَهْلًا وَيَوْمَ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى عَجُولًا وَلَا تَجُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْنَ سَالِفٍ مُتَقَدِّمٍ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمُرُءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى فَكَيْفَ بَيْنَ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ
قَالَ الْعَرَبُ: تَمَامُ الْأَضْيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاكِلَةِ. وَلِلَّهِ دَرَمَنٌ قَالَ:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ النَّزْلِ
مَا زِلْتُ بِالْتَّرْحِيبِ حَتَّى خِلْتُنِي ضَيْفًا لَهُ وَالضَّيْفَ رَبُّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ لِمَنْ زَارَهُ مَخْنُ سَوَاءٌ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَلِيٌّ بْنُ وَائِلٍ:

وَأَنَّا لَتَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ زُرُولِهِ وَلَنُشِيعَهُ بِالْأَشْرِ مِنْ وَجْهِ صَاحِبِكَ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضَيْفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ. وَلَا
 يَتَأَمَّ قَبْلَهُمْ. وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ. وَيَبْسُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَمَّ
 عِنْدَ وِدَاعِهِمْ. وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ. وَيَجِبُ عَلَى الْمُضَيْفِ أَنْ
 يَرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَّنَ. وَلَا يَتَضَبَّ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ.
 وَلَا يُنْغِصَ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ. وَلَا يَبْسُ بِوَجْهِهِ. وَلَا يَظْهَرُ نَكَدًا.
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا وَلَا يَشْتُمُ مُحَضَّرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورَ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَّنَ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَّ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْحَادِثَةِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ. وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرَفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ. وَعَلَى الْمُضَيْفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَخْضَرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ. فَهَذَا قِيلَ: ثَلَاثَةٌ تُضْنِي سِرَاجَ لَا يُفْنِي
 وَرَسُولٌ بَطِيءٌ. وَمَا نِدَّةٌ يَنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَحْيِي. وَمِنْ أَسَنَةِ أَنْ يُشَيِّعَ
 الْمُضَيْفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (للأبشيحي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا أَسْتَكْمَلَ عَقْلُ أَمْرٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ: الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا. وَالْكَثْرُ مِنْهُ مَأْمُونًا. نَصِيْبُهُ مِنْ
 الدُّنْيَا الْقُوتُ. وَالذَّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ. وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى
 يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ. وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ.
 وَلَا يَسَامُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طَوْلَ عُمْرِهِ. وَلَا يَبْرُمُ مِنْ طَلَبِ الْحَوَائِجِ
 قَلْبُهُ. وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

أَلْبَابُ النَّاسِ فِي اللَّطَائِفِ

الحمد والامير

١٦٠ حَكِي الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِيدِيُّ النَّابُ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ سَعِيدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ لِلشَّغْرِ فَوَجَدْتُهُ يَقْطُرُ دَهْنًا
عَلَى خَنْصَرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِهِ فَذَكَرَ ضَيْقَ خَاتِمِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ بِسَبَبِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : أَلَرَأَيْ قَطَعَ حَلْقَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَقَامَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَصْلُحُ
لِذَلِكَ . فَاسْتَدْعَيْتُ ظَافِرَ الْحَدَّادِ الشَّاعِرَ فَقَطَعَ الْحَلْقَةَ وَأَنشَدَ بِدِيهَا :
قَصَّرَ عَنِ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ النَّائِرُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنْ الْبَجْرُ لَهُ رَاحَةً يَضِيقُ عَنْ خَنْصَرِهِ الْخَاتِمُ
فَاسْتَحْسَنَهُ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلْقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ غَزَالٌ مُسْتَأْنَسٌ وَقَدْ رَبَّضَ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي
حِجْرِهِ . فَقَالَ ظَافِرٌ بِدِيهَا :

عَجِبْتُ لِحِرَاقَةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرِي تَخْطِي لَهُ وَاعْتَمَدَ
وَأَعْجِبَ بِهِ إِذْ بَدَأَ جَائِمًا وَكَيْفَ أَطْمَأَنَّ وَأَنْتَ أَسَدُ
فَزَادَ الْأَمِيرُ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْأُسْتَحْسَانِ (بدائع البداهة للازدي)
١٦١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الْفَقِيرَ وَالْغَنِيَّ :
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَ شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ لَا

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ الْأُورَى مُخْتَلَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزْهُو بِهَا لَوَجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْحُطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُخَالَا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالًا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالًا

الحجاج والفنية

١٦٢ أَمَرَ الْحَجَّاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ بِاللَّيْلِ فَمَنْ رَأَاهُ بَعْدَ
الْعِشَاءِ سَكْرَانَ ضَرْبُ عُنُقِهِ. فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ
يَتِمَّلُونَ وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ السُّكْرِ. فَأَحَاطَتْ بِهِمْ الْعُلَمَانُ وَقَالَ لَهُمْ
صَاحِبُ الْحَرَسِ : مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَقْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجْتُمْ
فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ بَجْرُومِهَا وَهَاشِيَمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِيَارِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ :
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرُ قِدْرَهُ وَإِنْ زَلَّتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
رَأَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمَنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ :

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَنْشَدَ عَلَى الْبَيْهَةِ :
 أَنَا ابْنُ لَيْلٍ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعَزَمِهِ وَقَوَّهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
 وَرَكَبَاهُ لَا يَنْفَكُ رَجُلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَّتْ
 فَأَمْسَكَ عَنْهُ أَيْضًا وَقَالَ : لَعَلَّ ابْنَ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَاحْتَفَظَ عَلَيْهِمْ .
 فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
 حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حِجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ قُوَالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
 حَائِكٍ . فَتَجَبَّ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحُلَسَائِهِ : عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
 قَوْلَ اللَّهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (للنواجي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
 لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتْفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِلْغَلَامِ
 لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قَرْطَبَةَ . فَخَانَتْ الْغَلَامَ رِجْلُهُ
 فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
 الْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثِقِيلٍ يَغُوصُ
 فَصَحَّحَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرُغْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَةً .
 وَقَالَ مُرْجِلًا مُجِيبًا لِابْنِ الْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِي قَعْرِ الْبَحَارِ الْفُصُوصُ
 (كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى مِنْ بَعْضِهَا:
لَكَ مَنْزِلٌ كَمَلَتْ سِتَارَتُهُ لَنَا لِّلَّهُوَ لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ
عَنِّي الدُّبَابُ وَظَلَّ يَذْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَذْفُصُ الْبُرْعُوثُ
قَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

لَيْلُ الْبُرَاغِيثِ وَالْبَعُوضِ لَيْلُ طَوِيلٍ بِلَا عُمُوضِ
فَذَاكَ يَنْزُو بِغَيْرِ رَقْصٍ وَذَا يُغْنِي بِلَا عَرُوضِ

فتى فصيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حِينَ قُبِضَتْ
ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغَضَنُ مِنْ أَغْصَانِ
دَوْحَتِكَ. أَفْتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ. قَالَ: نَعَمْ. فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرَهُ
ثُمَّ قَالَ: أَمْتَعَنَا اللَّهُ بِحَيَاةٍ دِينِنَا وَدُنْيَانَا. وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَذْنَانَا.
بِقِيَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَنَسَّأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا. وَفِي
أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا. وَيَقِيِكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا. هَذَا مَقَامُ
الْعَائِدِ بِظِلِّكَ. الْهَارِبِ إِلَى كَفِّكَ وَفَضْلِكَ. الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ. ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَقَضَاهَا. (للشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَخِطَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَقَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ. وَكَبَّ
أَنْ يُصَلَّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ . فَصَلَّاهُ إِلَى اللَّيْلِ مُجَرَّدًا . فَقَالَ .

لَمْ يَصْلُبُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ الْإِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولًا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلَّ عِيُونِهِمْ شَرْقًا وَمِلَّ صُدُورِهِمْ تَجِيلًا
مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً وَسَعَادَةً وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولًا
هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثُ فَارَقَ غِيْلَهُ فَرَأَيْتُهُ فِي تَحْمِلِ تَحْمُولًا
مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ تَزَعَّتْ لِبَاسُهُ كَالسِّيفِ أَفْضَلُ مَا يُرَى مَسْلُوكًا
وَقَالَ فِي الْجَنَسِ :

قَالُوا حَبَسْتَ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَاغِي حَبَسِي وَأَيُّ مُهَنِّدٍ لَا يُنَمِّدُ
أَوْ مَا رَأَيْتَ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ كَبِيرًا وَأَوْبَاشُ السِّبَاعِ تَصِيدُ
فَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَحْبُوءَةٌ لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُرْهَا الْأَزْنَدُ
وَالْجَنَسُ إِنْ لَمْ تَغْشُهُ لِذِيَّةٍ شَعَاءُ نِعَمَ الْمَنْزِلُ الْمُتَوَرَّدُ

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قَطَعَتِ الْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَوَفَدَ عَلَيْهِ رُوَّاسُ
الْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ يُسَمَّى دِرْوَاسَ
ابْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ ذَوَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَّةٌ فَاسْتَصْغَرَهُ هِشَامُ
وَقَالَ لِحَاجِيهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ .
فَقَالَ دِرْوَاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ دَخُولِي لَمْ يُجَلِّ بِكَ وَلَا ائْتَفَقَتْ
وَلَكِنَّهُ شَرَّفَنِي . وَإِنْ هُوَ لَا قَدِمُوا لِأَمْرٍ فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ الْكَلَامَ

كُشِّرُ وَالسُّكُوتَ طَيًّا لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أُنْشِرْ لَا أُمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابَتْنا سِنُونُ ثَلَاثُ . فَسَنَةُ أَكَّاتِ
 اللَّحْمِ . وَسَنَةُ أَذَابَتِ الشَّحْمَ . وَسَنَةُ أَنْقَتِ الْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فَضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَرَفُوهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَكُمْ فَلَا تُحْبِسُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْخَيْرِيِّينَ . وَإِنَّ الْوَالِيَّ مِنَ
 الرِّعَايَةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ : مَا تَرَكَ
 الْعَلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُذْرًا . وَأَمَرَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَقَرِئَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَقَالَ : أَرَدْتُهَا فِي
 جَارَةِ الْعَرَبِ فَأَمَّا فِي حَاجَةٍ فِي خَاصَّةٍ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (لِلشَّرِيشِيِّ)

الشاعر التتري

١٦٨ يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ أَمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِعَصِيدَةٍ
 بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى
 سَرَفَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَمْدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمِدْرٍ مِنْ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيعَةٌ فِي النَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ مِدَّ الشَّعِيرِ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَمْدُوحُ لِلْبَوَائِينَ سِرًّا : لَا تَمْكُنُوهُ مِنَ الْخُرُوجِ . فَوَقَفَ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهْلِيزِ حَاتِرًا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ
 يَا أَعْرَابِي . فَقَالَ : إِنِّي أَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِعَصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَاذَكَ

عَلَيْهَا . قَالَ : هَذَا مُدَّ الشَّعِيرِ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ
نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَشَدَّ بِدِيهَا :

يَقُولُونَ لِي أَرَخَصْتَ شَعْرَكَ فِي الْوَرَى فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ عُدَمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أَجَزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرَ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا خَلَصَتْهُ مِنْ بَهَائِمِ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمُدُوحُ هَذَانِ الْيَتَانِ أُعْجِبَ بِهِمَا . وَعَلِمَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ
نَظْمِهِ . فَرَسَمَ لَهُ بِجَارِزَةٍ سِنِيَّةٍ

المصدر وابن هبيرة

١٦٩ لَمَّا حَاضَرَ الْمَنْصُورَ ابْنُ هُبَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ :
بَارِزْنِي . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : لَا شَهْرَنَّا أَمْتِنَاكَ
وَلَا عَيْرَتَكَ بِهِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَثَلْنَا مَا قِيلَ : إِنْ خِزِرْنَا بَعَثَ إِلَى
الْأَسَدِ وَقَالَ : قَاتِلْنِي . فَقَالَ الْأَسَدُ : لَسْتُ بِكُفُؤِي . فَأَنِي إِنْ
قَتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ . وَإِنْ قَتَلْتَنِي لَحَنِي وَضَمُّ عَظِيمٌ . فَقَالَ لِأَخِيهِ
السَّيَّاحِ بَنُوكُوكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَحْتِمَالُ الْعَارِ فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ
مِنَ التَّلَطُّحِ بِدِمِكَ . فَحَمَلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (النَّوَاجِي)

١٧٠ مَا أَرَقَّ وَأَجُودَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْهَرَاقِ :

مَا الدَّارُ مَذْغِبُ يَأْسَادِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْجَارُ مَذْغِبُ لَنَا جَارُ
غِبْنُ قَاوَحَشْتُمُ الدُّنْيَا يُبْعِدُكُمْ وَأَظْلَمْتُ بَعْدَكُمْ رُحْبٌ وَأَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابُ الَّذِي نَادَى بِفِرْقَتِنَا يَرَى مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
تُرَى تَسُودُ لَيَالِينَا الَّتِي سَلَقْتُ كَمَا عَهَدْنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهِذِهِ الْأَنْبِيَاءُ :
 أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ فُنْبُرَةٌ تُهْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا
 وَأَنْشَدَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهَدَايَا عَلَى مِقْدَارِ مُهْدِيهَا
 لَوْ كَانَ يُهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيمَتُهُ لَكُنْتُ أُهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
 فَأَسْتَحْسِنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَارَهُ
 (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَغْرِيدِ الْبَلْبَلِ :
 أَيُّهَا الْبَلْبَلُ الْمَغْرَدُ فِي الْفَخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانًا
 أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْئَانٍ مُخَلَّةٍ وَرَشَانًا
 هَاجَ بِي صَوْتُكَ الْمَغْرَدُ سَجْوًا رَبِّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَخْرَانَا
 ١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّى إِلَى صَغَائِرِ الشُّرُورِ :
 أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِیْضِ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
 فَإِنْ لَمْ تُطْفَأْ عَمَلًا قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جُثْثٌ وَهَامُ
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِ تَذْكَى وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا كَلَامُ

١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّحَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
 أَلَمَتْ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ
 فَقَالَ عُمَرُ :

الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرِضِي الْإِلَٰهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ
 فَأَجَارَهُ عُثْمَانُ :

هَما مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَّازَهُ عَلَيَّ يَقُولِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْهَرَدِ وَسِوَى الْغَمَلِ وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً قَالَتْ رَبُّ غَفَّارٌ
١٧٥ قَالَ أَعْرَابِي يُتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِأَلَادِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا أَلْتَقَادِمِ
حَنَنْتُ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرَ شَارِي وَقُطِعَ عَنِّي فِيهِ عَهْدُ التَّمَامِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ مُودَعًا :

لَا وَدَعَّكَ ثُمَّ تَدَمَّعْتُ مُقَلَّتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الْكَافِي
فِي فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شُغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةُ الْإِخْوَانِ
١٧٧ قَالَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسُ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي يَبْصُرُ الْوَفْدَ الْدَّهْرَ بَعِيرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
فَقِي السَّمَاءِ نَجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ
وَكَانَ يَرِقُ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ وَصَمَّهَ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأَتْ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُؤَزَّرًا بِجَدِّهِ مُرْدَى ثُمَّ يُفْدَى مِثْلَ مَا تُفْدَى
أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَجَدًّا وَشِيمًا مُرْضِيَةً وَجَدًّا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شِمَانًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قَالَ : قَبَسَمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : أَمَتَنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . فَقَدْ عَوَّضْتُ
مِنَ الْحُزْنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ . وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوْلِيَّ قَالَ : عَتَبَ الْمُأْمُونُ عَلَى إِنْتِهَاقٍ فِي شَيْءٍ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ . فَفَتَحَهَا الْمُأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ :

لَا شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحَسَنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي
فَقَضَيْتَ ثُمَّ قَالَ : يَا إِنْتِهَاقُ عَذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ . وَمَا جَالَ
بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرَتْهُ بَعْدَ أَنْقِضَائِهِ عَلَى ذِكْرِي (الافاني)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ :

قَالَتْ تُشَجِّعُنِي هِنْدُ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهُ آدَبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَتَبَا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا الْقَتْلُ يُجِئُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّابُ

١٨١ قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمُسَيِّحُ الْمَغِيرُ إِنَّ قَلْبِي مِنَ السَّلَاحِ يَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهْجِ الْخَيْلِ إِذَا تَوَرَّ الْعُبَّارُ مُثِيرُ
وَأَسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ يَقُومُ فَتَيْلُ وَهَارِبُ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الدُّعْرِ وَيَبْلُو الصَّيَاحُ وَالتَّكْبِيرُ
أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَنْ بَلِيدُ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ تَحْرِيدُ

١٨٢ مَثَلُ دُعِيلُ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضُ أَمْرَاءِ الرَّقَّةِ فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ:
 مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدَيَّ مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ مُجْزَلٍ
 إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمَلْ
 وَلَا نَتَّ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلْ
 فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلْ
 قَالَ لَهُ: قَاتَلَكِ اللَّهُ. وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَيْثًا:

رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَيْثًا وَكُلَّ مِنْهَا بِالظُّلَمِ يَسْعَى
 قَدْ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فُسَادٍ كَعَقْرَبَ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة البجدي عند المتوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عَبَادَةَ الْبَجْدِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي
 نُدْمَائِهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
 رَأَيْتُ أَشْرَقَ مِنْ نُورِهِمَا. وَلَا أَنْقَى بَيَاضًا وَلَا اكْبَرَّ. فَادَمْتُ النَّظَرَ
 إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا. وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ فَرَمَى إِلَيَّ إِلَيْنِي كَانَتْ
 فِي يَدَيْهِ أَلْمَنَى. فَقَبِلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أَفْكِرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَمَعًا فِي
 الْأُخْرَى. فَعَنِّي أَنْ قُلْتُ:

بِسْرٍ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرِفُ مِنْ كَفِّهِ الْجَارُ
 خَلِيفَةُ يُرْتَجَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي يَدَيْهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ هَذِي عَلَى هَذِهِ تَعَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينَ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَادُ
فَرَمَى بِالْذَرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عِيَادُ (لِلزَّيْدِي)
١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ :
أَنْظُرْ إِلَيَّ بَيْنَ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّي النَّدَى وَتَلَّافَ قَبْلَ تَلَا فِي
أَنَا كَالَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَعْنِمْ دُعَائِي وَالتَّاءُ الْوَافِي
فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
الَّذِي . وَهَذِهِ الصَّلَاةُ . وَأَنَا الْعَائِدُ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّازِيِّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ حَلَفَهَا صَفْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حِجْرِهِ كَأَنَّهَا تُسْتَجِيرُهُ
بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ عُنَيْنٍ آيَاتًا فِي هَذَا الْمَعْنَى . مِنْهَا :
جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَأَمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
(تَارِيخُ الذَّهَبِيِّ)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بَغْدَادَ فِي حَرَاقَتِهِ فَأَعْتَرَضَهُ مُقَدِّسُ
ابْنُ صَنِيٍّ الْخَلُوقِيُّ الشَّاعِرُ . وَقَدْ أَذْنَيْتَ مِنَ الشَّطْرِ لِيَخْرُجَ . فَقَالَ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي آيَاتًا . فَهَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
عَجِبْتُ لِحَرَاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لَا غَرِقَتْ كَيْفَ لَا تَشْرُقُ
وَيَحْرَأَنَّ مِنْ قُوَّتِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ ثَغْيِهَا مُطْبِقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ (لأبن خلكان)

جرير والفوزدق والاخلطل في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَالْقُرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ فِي مَجْلِسِ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَأَحْضَرَ
بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْسًا فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ. وَقَالَ لَهُمْ: لِيُقِلَّ كُلُّ مِنْكُمْ
بَيْتًا فِي مَدْحِ نَفْسِهِ فَأَيُّكُمْ غَلَبَ فَلَهُ الْكَيْسُ. فَبَدَرَ الْقُرَزْدَقُ فَقَالَ:
أَنَا الْقَطْرَانُ وَالشُّعْرَاءُ جَرَنِي وَفِي الْقَطْرَانِ لِلْجَرَنِيِّ شِفَاءٌ
فَقَالَ الْأَخْطَلُ:

فَإِنْ تُكُ زِقَ زَامِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ
فَقَالَ جَرِيرٌ:

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءٌ
فَقَالَ: خُذِ الْكَيْسَ فَمَعْمَرِي إِنْ الْمَوْتُ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لأبن سلام)

الركاض والرشيد

١٨٩ أَدْخَلَ الرِّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَّعَبَ مِنْ
فِطْنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ أَنْ أَهْبَ لَكَ. قَالَ: جَمِيلَ رَأْيِكَ. فَإِنِّي
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَأَمَرَ بِدَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ فَصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ.
فَقَالَ لَهُ: احْتَزِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ: الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وَهَذَا مِنْ هَذَيْنِ. وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الدَّنَانِيرِ. فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بَصَمَهُ إِلَى وَلَدِهِ وَالْإِجْرَاءَ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا :

قَدْ يَتُكُّ بِأَرْوَحِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
بِأَنْفُسِ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
حُبِسْتُ فَمِنْ بَعْدِ الْكُسُوفِ تَبَلُّجٌ
تُضِي بِهِ الْأَفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
فَلَا تَعْتَدِ لِلْجَبَسِ هُمًا وَوَحْشَةً
وَمَبْلَكٍ قَدَمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الْجَبَسِ

١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاهُ يُعْرَى عَلَى طَلَبِ الْمَجْدِ :

لَا يُؤَيِّسُنَاكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ
فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَدْرِيجًا وَتَرْتِيبًا
إِنَّ الْقَنَاءَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَهَا
أَتَمُّوْ قَتَبْتُ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا
١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَفَرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الْمَشْيِ فَصَادَ
يَتَوَكَّا عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرَّةٍ إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهِ
وَتَأَمَّلْتُهِ رَأَيْتَ ظَرِيفًا
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا
صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا
١٩٣ زَلْتُ بِالْأَتَايَاكَ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَغْلَةً فَلَأْسَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :
إِنْ زَلْتُ الْبَغْلَةَ مِنْ مَتَحَتِهِ
فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذْرًا
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِدًا
وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرًا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَاجِ الْوَرَّاقُ يُعْتَبُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا حَجَلَتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سُوِدَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمُؤَبَّخٍ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلٌ أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ
١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحُجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ الْيَتِّ الَّذِي ضَيَّفَانُهُ مَاثُوا جَمِيعًا
أَدْعَوْنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَائِنَا عَطْشًا وَجُوعًا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرِّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعًا
كَالْبَذْرِ لَا تَرْجُو إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ حَمْدٍ يَشْوُقُ إِلَى صِفَلِيَّةٍ وَهِيَ مَكَانٌ مُنْشَاهُ :

ذَكَرْتُ صِفَلِيَّةً وَالْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّفْسِ تَذَكُّارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنْهَارَهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ شُعْرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا الْوَالِيَّ

كُلَّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فَيَهْنِئُونَهُ بِاللِّشَائِدِ وَيَتَلَوْنَ مِنْهُ الْجَوَائِزَ . فَيَنْمُو كَانُوا
لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُعِيدُونَهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَّثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةً ارْتَجَّتْ
مِنْهَا دِيَارُ مِصْرَ . فَاتَّفَقَتِ الْوَالِيَّ إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ
مَنْ يُطْرِفُنَا بِدِيهَا بَيْتٍ مَضْمُونُهُ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنَّ الْحَقَّ مُتَضَحٌّ لَدَى الْكِرَامِ وَعِنْدَ السَّادَةِ الثُّجْبَا
مَا زِلْتَ مِصْرُ مِنْ كَيْدِ أَلْمِ بِهَا لَكِنَّا رَقَصْتَ مِنْ عَذَابِكُمْ طَرَبًا
الْأَعْمَى وَالْأَعُورَ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ فَقَدْ الْبَصَرَ

أَجَابَهُ أَعُورٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ الدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ مُخَلَّةٌ فِي شَفَتِهِ :

بِأَيِّ مَنْ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ أَلَّتْ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلْ
حَسِبْتُ أَنَّ بَيْفِهِ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رَيْقَتُهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَتَشْدُ صَدْرُ الشَّاعِرِ ابْنِ جَهْدٍ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ الْعَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَائِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوَّلِي بِهِ
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدُ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَائِهِ
هَزَنَهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا رَوْنَفُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضَرَائِهِ
٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيُّ اللَّغْوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتُ خَيْرٌ تَقْضَى حَاجَةٌ وَتَقُوتُ حَاجُ
إِذَا أَرْدَحَتْهُمُ الصَّدْرُ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجُ
نَدِيهِ هِرَّتِي وَأَيْنِسُ نَفْسِي دَقَّارُ لِي وَمَعْشُوقِي السَّرَّاجُ
٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَسْطُرْلَانِيُّ هَدِيَّةً لِبَعْضِ الْأَمْرَاءِ فَأَلْشَدُ :

أَهْدِي لِيَجْلِسَ الْكَرِيمُ وَإِنَّمَا أَهْدِي لَهُ مَا خَزَتْ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَحْرِ يَمْطُرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ
٢٠٣ كَانَ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي
تِلْكَ الْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جَنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ
عَلَيْهِ وَهُوَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ أَبْنَاهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي أَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذْرَتُكَ
لَكُنْ جِهَلْتُ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَ

(نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي بركات الانباري)

اولاد تزار عند الافعى

٢٠٤ شَخْصَ مُضَرٍّ وَرَبِيعَةٍ وَإِيَادٍ وَأَمَّارٍ أَوْلَادُ زَرَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ .
فَإِنَّمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرٌّ كَلًّا قَدْ رُعِيَ فَقَالَ : أَلْبَعِيرُ الَّذِي رَعَى
هَذَا أَعُورٌ . فَقَالَ رَبِيعَةُ : وَهُوَ أَزُورٌ . قَالَ إِيَادُ : وَهُوَ أَتَرٌ . وَقَالَ أَمَّارُ :
وَهُوَ شَرُودٌ . فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ
عَنِ الْبَعِيرِ . فَقَالَ مُضَرٌّ : أَهْوَأُ أَعُورٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ رَبِيعَةُ : أَهْوَأُ أَزُورٌ .
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ إِيَادُ : أَهْوَأُ أَتَرٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَمَّارُ : أَهْوَأُ شَرُودٌ .
قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي ذُلُونِي عَلَيْهِ . فَخَلَقُوا أَنَّهُمْ مَا
رَأَوْهُ . فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَقُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ .
فَسَارُوا حَتَّى قَرَبُوا نَجْرَانَ فَتَزَلُّوا بِالْأَفْعَى الْجُرْهُمِيِّ . فَتَادَى صَاحِبُ
الْبَعِيرِ : هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ . فَقَالَ
الْجُرْهُمِيُّ : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ . فَقَالَ مُضَرٌّ : رَأَيْتُهُ يَرْعَى جَانِبًا
وَيَدْعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رَبِيعَةُ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
ثَابِتَةً الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى فَاسِدَةً الْأَثَرِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ
وَطْنِهِ لِأَزُورَارِهِ . وَقَالَ إِيَادُ : عَرَفْتُ بَرَّهُ بِإِجْمَاعِ بَعْرِهِ وَلَوْ كَانَ
ذِيًّا لَا تَفَرَّقُ . وَقَالَ أَمَّارُ : إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لِأَنَّهُ كَانَ
يَرْعَى فِي الْمَكَانِ الْمُلْتَفِّ نَبْتَهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرْقَ مِنْهُ وَأَخْبَثَ .
فَقَالَ الْأَفْعَى : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ . ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ .
فَرَحَّبَ بِهِمْ وَأَصَافَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ (ثمرات الاوراق للحموي)

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مَدَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ . قَالَ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ : قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكْمَنَّاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَمِنتُ بِدَاوُدَ وَجُودَ يَمِينِهِ مِنْ أَلْحَدِ الْخَشْيِ وَالْيَأْسِ وَالْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةً مِنْ أَلْحَدَانِ إِذْ شَدَّتْ بِهِ أَزْرِي
لَهُ حُكْمُ لُقْمَانَ وَصُورَةُ يُوسُفَ وَحُكْمُ سُلَيْمَانَ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقَ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفْرُقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْأَذْرِ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ حَكَمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي .
فَقَالَ : عَلَى قَدْرِي . فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا . فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ : هَلَّا اخْتَكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ . قَالَ : لَمْ يَكُنْ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ . قَالَ لَهُ دَاوُدُ :
أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَمْرُهُ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَلْقَانِدِ فَأَنْشَدْتُهُ :
اللَّهُ جَرَدٌ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ قَبْضُ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ أَلْيَاسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ حَبَّةً لِلنَّاسِ

ثُمَّ سَأَلْتُهُ حَاجَةً فِيهَا بَعْضُ الْغَلْظِ . فَنَلَّكَ عَلَى . فَوَقَّعْتُ فِي سِحَابَةٍ :
 مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُدْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
 أَنْظِرْ إِلَى عَرْضِ الْبِلَادِ وَطُولِهَا أَوَلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَى لِحُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي ثِقَتِي بِجُودِكَ سَهَّلْتَ لِي وَعَرَهَا
 لَا يَجْتَنِي حُلُو الْحَمِيدِ مَا جُدَّ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَهَا
 فَقَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لَابَن عَبْدِ رَبِّهِ)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقَاءِ كَانَهُمْ أَسْوَدُ لَهَا فِي غِيلِ خَفَانٍ أَشْبَلُ
 هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانُوا لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِينَ مَنْزِلُ
 هُمُ الْقَوْمِ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعَوْا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَأَجْمَلُوا
 ٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّائِيَةُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ

أَبْنُ الرَّيِّعِ وَزَيْدُ بْنُ مَزِيدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانُ
 وَرَغِيفَانُ سَمِيزَا وَدَجَاجَتَانِ . فَقَالَ لِي : أَتَشِدُّنِي . فَأَشَدُّهُ قَصِيدَةً
 التَّنْعَرِي الْعَيْثِيَّةَ فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَهُ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَتَسَّعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يُرَفِّعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ يَتَضَعُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالَ مُعَلِّمُهُ يَوْمَ الْوَعْدِ وَالْمُنَايَا صَالِبَهَا فَرَعُ
 (قَالَ) فَرَمَى بِالْخِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطْيَبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ ۝ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بَسْبَعَةَ آلَافٍ دِينَارٍ
 ٢٠٩ حَتَّى الْمَنْصُورُ النَّعْرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ
 أَعَدْتُ لَهُ مَدْحًا ۖ فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ فَرُمْتُ شَيْئًا فَمَا جَاءَنِي ۖ
 وَنَظَرًا إِلَيَّ مُسْتَنْطَقًا فَقُلْتُ :

إِذَا أَعْتَصَمَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَاْمَدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدَ مَقَالًا
 وَعُذَّ بِفَنَائِهِ وَأَجْنَحْ إِلَيْهِ تَنْلُ عُرْفًا وَلَمْ تَذَلَّ سُؤَالًا
 فَنَاءً لَا تَرَالُ بِهِ رِكَابُ وَضَعْنَ مَدَاحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
 فَقَالَ : اللَّهُ دَرَكُ لَنْ قَصَرْتَ الْقَوْلَ لَقَدْ أَطْلَتَ الْمَعْنَى ۖ وَأَمْرِي بِصِلَةِ سَيِّئَةٍ
 ٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ابْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ الْأَهْوَازِ قَصَدَهُ عَجْرُودُ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ :

يَحْيَى أَمْرُؤُ زَيْتُهُ رَبُّهُ يَفْعَلُهُ الْأَقْدَمُ وَالْأَحَدَثُ
 إِنْ قَالَ لَمْ يَكْلِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثْ
 أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَدْمَثِ
 طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقِي لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثٍ
 وَرَثَتُهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا طَيْبَ ثَنَا الْوَارِثِ وَالْمُورِثِ
 فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصِلَةِ سَيِّئَةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ ۖ وَأَقَامَ عِنْدَهُ مَدَّةً ثُمَّ أَنْصَرَفَ
 ٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرَّقِيِّ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّحْ إِلَيْهَا
 حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُخَلَّدٌ مَا قَالَهَا
 مَا إِنْ أَعْدَتْ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلَدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هَالِكًا
 إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَلَمْ مَقُولَةً حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِقَالَهَا

٢١٢ أَلْشَدَّ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ :

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضَرَّةٌ وَمَنْفَعٌ وَارَى الْبَرَامِكُ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
 إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا الثَّرَى أَشْرَ الثَّيَّابُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْعُ
 فَإِذَا نَكَرْتَ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقُهُ وَقَدِيمُهُ فَإَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 قَالَ فَأَعْجَبَهُ الشَّعْرُ فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ .
 وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكْفِئْهُ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ
 اللَّهُ وَقَدْ وَهَبْتَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ : لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ
 دِينَارٍ بِمُكَافَأَةٍ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الاعاني)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخَزَاعِيُّ يُمَدِّحُ بَعْضَ الْأَمْراءِ :

تَكَلَّمْتُ فِيكَ أَوْصَافُ خُصِصْتَ بِهَا فَكُنَّا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطٌ
 أَلْسِنُ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ

٢١٣ قَالَ الْقَسَمُ بْنُ عُبَيْدٍ : لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَتْ عَنْهَا الْمَثَلُ
 فَظَاهَرُهَا لِقَبْلِ . وَبَسَطَتْهَا لِأَغْنَى . وَسَطَوَتْهَا لِلْأَجَلِ . أَخَذَهُ ابْنُ
 الرُّومِيِّ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدِينِيِّ :

أَصْبَحْتَ بَيْنَ ضَرَاةٍ وَتَحْمَلٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلاً
 قَامِدُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بَذَلَ النُّوَالِ وَظَهَرَهَا التَّقْيِيلُ

٢١٤ قَالَ ابْنُ الْمُؤَلَّى لِيَزِيدَ بْنِ قُبَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :

وَإِذَا تُبَاعَ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَىٰ فَسِوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَىٰ
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَىٰ نَدَاكَ يَا وَعَرَ
وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَمْتَهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرٍ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصِرٍ
٢١٥ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْتَكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحَقُوقِ وَأَنْتَ قَرَمٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
حَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنْ خُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَاتَهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَّاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّنَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَمَجْدًا إِذَا مَا الْكَأَبُ أَفْجَرَهُ الشَّنَاءُ

٢١٦ قَالَ آخِرُ مِدْحِ آلِ الْمُهَلَّبِ :

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خُولُوا شَرْقًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلْفَجْدِ عَنْهُمْ وَخَلَّهِمْ بِمَا أُحْتَكَمَتْ مِنَ الدُّنْيَا لَمَّا حَادَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا
٢١٧ قَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ إِيَادٍ :

الْحَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوعِ إِنْ هَزِمْتَ أَنْ أَبْنَ عَمْرٍو لَدَى الْهَيْبَاءِ يَجْمِعُهَا
لَمْ يُبْدِ فَحْشًا وَلَمْ يَهْدِ لِعِظْمَةٍ وَكُلَّ مَكْرُمَةٍ يَلْقَى يُسَامِيهَا
الْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَخْزِبُهُمْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةً أَبَدًا وَإِنْ أَلَمْتَ أُمُورَ فَهُوَ كَافِيهَا
٢١٨ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ :

كُلُّ الْخِلَالِ الَّتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلْقُ
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَرْجِ طَابَ مِمَّا حَمَلًا وَنَشْرًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
٢١٩ قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابَقُونَ عَلَى قَرَى الضِّيْفَانِ
وَيَكَادُ مَوْقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبَّ الْقَرَى حَطَبًا عَلَى النَّيْرَانِ
٢٢٠ غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ لِلْأَمِينِ :

تَعِشْ عُمْرَ نُوحٍ فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَفِي خَفَضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِشْمٌ
تُسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَتَنِي إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
٢٢١ وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَعِ رُتَبَ الْمَعَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاحِ رُبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْبِحْ
قَدِمَ وَأَخَّرَ مَنْ تُرِيدُ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تَسْتَحِي
٢٢٢ وَقَالَ آخَرُ :

كَرِيمٌ يَغْضُ الطَّرْفَ فَضْلُ جَبَانِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي
وَكَا لَسِيفٍ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسُهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتُهُ خَشَنَانِ
٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ قَاعَطَا لَكَ الْحَلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ
٢٢٤ قَالَ آخَرُ :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَاكَ بِالنِّعَمِ قَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكَايِنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالُ النِّعَمِ وَقْتُ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بِذَرَّةٍ مَالٍ وَنَوَالُ النِّعَمِ قَطْرَةٌ مَاءِ
٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُنتَصِرِ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ تَحْمُودُهُ وَمَصَادِرُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَرْجِي فَلَمْ نَحِبْ كَمَا يُرْتَجَى مِنْ وَاقِعِ الْغَيْثِ بِأَكْرَهُ
بِمُنْتَصِرٍ بِاللَّهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرْ بِاللَّهِ فَاللَّهُ نَاصِرُهُ
٢٢٧ دَخَلَ النَّبَايَعَةُ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ النُّذَيْرِ فَحَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :

أَيَفَاخِرُكَ ذُو فَايَسٍ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ . وَغُرَّةُ الْحَسَبِ . وَاللَّاتِ
لَأَمْسُكَ أَيْمُنُ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَقَاكَ أَحْسَنُ مِنْ
وَجْهِهِ . وَلَيْسَارَكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَظَنُّكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ . وَلَوْعْدُكَ
أَبْلَجُ مِنْ رَفِيدِهِ . وَخِلَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنٌ مِنْ
جُنْدِهِ . وَلِيَوْمِكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلِقَتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شِبْرِهِ . وَأَنْشَدَ :

أَخْلَقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرُ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْحَقْرِ
مُسَوِّجٌ بِالْعَالِيِ فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الْوَعَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
إِذَا دَجَا الْخَطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانَ الْحُلِّ بِالْمَطَرِ
فَتَهَلَّلَ وَجْهُ النُّعْمَانِ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُعْلَفُوهُ دُرًّا وَيَكْسَى

أَتَوَابَ الرِّضَا (وَهِيَ حَبَابُ أَطْوَأُهَا الذَّهَبُ فِي قُضْبِ الزُّمُرْدِ). ثُمَّ
 قَالَ: هَكَذَا فَتَمْدَحِ الْمُلُوكُ (أَلِفَ بَاءِ لَايِ الْحَجَّاجِ الْبَلَوِي)
 ٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ أَحْيَاطٍ الْمَكِّيَّ عَلَى الْمُهَدِّيِّ وَامْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْصِيلِ يَدِهِ فَأَذِنَ فَقَبَّلَهَا
 وَخَرَجَ. فَمَا أَتَتْهُ إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالُ بِأَسْرِهِ. فَعُوتِبَ عَلَى
 ذَلِكَ فَأَعْتَذَرَ وَأَنشَدَ يَقُولُ:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَتَبْنِي الْغَنَى وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْطِي
 فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغِنَى أَفِدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَقْتُ مَا عِنْدِي
 فَأَعْجَبَ بِهِمَا الْمُهَدِّيُّ وَغَنَى بِهِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 ٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَرْزُكَ لِحَاجَةٍ سِوَى أَتَيْتُ عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
 أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ
 فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدُ
 أَسْرَفْتَ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَلْفًا. فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَعْجَبَ
 مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَعْجَبُ الْأَمِيرُ. سَأَلْتُهُ عَلَى قَدْرِهِ
 وَحَطَطْتُهُ عَلَى قَدْرِي. فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَاةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقٍ عَلَيْهِ كَانَ بِمُحْرَاسَانَ. وَأَقْسَمَ
 لَيْسَتْ أَدِيَّتُهُ كُلُّ يَوْمٍ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَاهَا لَهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ صَافَتْ خُرَاسَانَ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذَوُو الْحَاجَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
وَمَا قَطَرَتْ بِالشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرْبِ بَعْدَكَ عُودٌ
وَمَا لَسِرِيرٍ بَعْدَ بَعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحَوَادٍ بَعْدَ جُودِكَ جُودٌ
فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحُجَّاجِ وَلَا
نُحِبُّ الْأَخْطَلَ. فَلَبَّغْتَ الْحُجَّاجَ فَقَالَ: اللَّهُ دَرِّ يَزِيدَ لَوْ كَانَ تَارِكًا
لِلشَّيْءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ (للبيهقي)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِ شَعْرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوْلِيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لَمَلَأَتْهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَيُّ أَمْرُؤٍ شَاكِرٌ
٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْحَقَائِدِ:

يَا سَيِّدَ الْأَمْرِ أَفْخَرًا فَمَا مَلَكَ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْتِي وَأَشْتَهَاكَ أَبَا
وَكَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلِقَ الْحَيَا يَطِيرُ الذَّهَبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَصِلْ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَبَا
٢٣٣ وَالْبَحْرِيُّ فِي الْمَدِيحِ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صَغِيرٍ فِي السِّنِّ وَانْظُرِي إِلَى الْأَجْدَادِ الَّذِي شَادَا
إِنَّ النُّجُومَ نُجُومٌ الْجَوِّ أَحْقَرُهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي الْجَوِّ إِصْعَادَا
٢٣٤ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْنَ خُلِقَ إِلَّا تَأَمَّ الْحَبَّ كَأْسٍ وَمَزْمَارٍ وَطَبُورٍ وَعُودٍ
فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَاسٍ أَوْ لِحِجْدٍ أَوْ لِحُجُودٍ

أَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ وَالْهَجْوِ

٢٣٥ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفْتَخِرًا:

لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ يَا نَا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانَا
وَكَثَرَهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانَا
وَأَدْفَعَهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانَا

٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطْعَمُوا الْأَرْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَبِهِمْ نَلْتُ مِنَ الْعُلَيَّا نَصِيبَ
وَيَفْضُلِ اللَّهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَايِي الْغَيْرِ وَالْعَيْشِ الرُّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْمَعَالِي أَرَبُ فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعُلَى لَا تَرَانِي لِدُعَاةٍ مِنْ حُجُبِ
٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُمَانَ الْمَازِنِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً. فَرَأَى مَنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَعَبَّوْنَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةٌ فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَعَبٍ مِنْ نَعَالِي وَرِضَائِي مِنْهَا يَلْبَسُ الْبَوَالِي
مَنْ يُغَالِي مِنَ الرِّجَالِ يَنْعَلُ فِسْوَايَ إِذَا بَيْنَ يُغَالِي
لَوْ حَدَا هُنَّ لِلْجَمَالِ قَانِي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَأْيٍ وَإِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي الْخَفَا وَبَلَّغَنِي الْحَا جَةً مِنْهَا فَأَنَّنِي لَا أَبَالِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هِلَالٍ الْقُرَيْبِيُّ :

نُعْرِضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقَيْنَا وَجُوهًا لَا تُعْرِضُ لِلطَّامِ
وَلَسْتُ بِجَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمُرُّ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمُرُوفُ بِحِظَّةِ الْبَرْمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنْاسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودُهُمْ فَأَضْحُوا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمَشْهُرِ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ نُخْبِرِ وَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنُ دَقْتَرِ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقُرَارِيِّينَ :

وَالَا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنَبِلَهَا إِذَا لَمْ تَرَنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُمُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِقَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُنْجِئِنْ أَصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمُرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحَلُّوْا وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُوؤُ الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِتَعْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يَذْرُكُ الْمَجْدُ الْمُوْتَلُ أَمْثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتِمِسِي لَهُ
أَخًا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنِّي
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا
٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أَدْلِسُهُ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ
٢٤٤ قَالَ أَبُو دَلْفٍ الْعَجَلِي :

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا
وَأَقْبَحُ الْأَمْرَ الْخَوْفَ أَقْبَحُهُ
لَمَّا نَابَهُمْ قَدَمًا وَأَغَشَى الدَّوَاهِيَا
لَا ذَرَكَ مَجْدًا أَوْ أَعَاوَدَ ثَاوِيَا
(الاعاني والحماسة)

الهجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي بَخِيلٍ :

سَيَّانٍ كَسَرَ رَغِيفَهُ أَوْ كَسَرَ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ
فَارْفُقْ بِكَسَرِ رَغِيفِهِ إِنْ كُنْتَ تَزْعَبُ فِي كَلَامِهِ
وَرَّاهُ مِنْ خَوْفِ النَّزْوِ لِي بِهِ يَرْوَعُ فِي مَنَامِهِ
وَقَالَ أَيْضًا :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُو وَمَا خُنْتُ عَهْدَهُ
لَيْسَ لِي مَذْحِيْتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عَنْدهُ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُ الْمَعْدَةَ الْقَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ ثُخْمَةً أَضْيَافِهِ فَعَوَّدَهُمْ أَكْلَةً وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخَوَّازِمِيُّ فِي طَبِيبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكَرَامِ وَمَنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمْرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ الرَّدَى وَقُلْتُ يَا رُوْحِي عَلَيْكَ السَّلَامُ
يَبْقَى وَيَفْنَى النَّاسُ مِنْ شُؤْمِهِ قُومُوا أَنْظِرُوا كَيْفَ نَجَاةُ النَّاسِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَمِّ تَنَامِ

٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الْحَاقَانِيَّ كَانَ صَجُورًا كَثِيرَ الثَّقَلِ
فَكَانَ يُوَلِّي الْعَمَلَ الْوَاحِدَ عِدَّةً مِنَ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلَّى الْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ . فُقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي الرِّقَاعَةِ يُوَلِّي ثُمَّ يَعْزِلُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرُّشَى اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَخَيْرُ الْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بِخِيَلَا :

رَأَى الصِّيفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ قَصَصَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السِّيفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا فَظَنَّ بِأَنَّنَا نَقُولُ لَهُ خُبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْحُوفِ

٢٤٩ هَجَا آخَرُ طَبِيبًا فَقَالَ :

قَالَ حِمَارُ الطَّبِيبِ مُوسَى لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَزْكَبُ
لَا نَنِي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَاكِي جَاهِلٌ مَرْكَبُ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا نَهَمًا:
إِذَا صَوَّتَ الْعُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثُ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
قَالَ آخَرُ:

لَوْ أَنَّ خِفَّةَ عَقْلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ الْغَزَالَ وَلَمْ يَفْتِشْهُ الْأَرَبُ
٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبَرَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ النَّحْوِيَّ:
سَأَلْنَا عَنْ ثَمَالَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَائِلُونَ وَمَنْ ثَمَالَةُ
فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ فَقَالُوا الْآنَ زِدَتْ بِهِمْ جَهَالَةُ
٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ:

يَا قَبِجَ اللَّهِ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَحِمَتْ أَلُومٌ وَالْعَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجْنُوهَا بِاسْتَارِ
٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ ثَمَالَةَ الْمُنْقَرِي فِي مِئَةِ صَاحِبَةِ ذِي الرِّمَّةِ:
أَلَا حَبْدًا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلَا حَبْدًا هِيَا
عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٍ مِنْ مَلَاةٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا الْحَزَنُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْلِفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَيْضَ صَافِيَا
إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَالِمِيَا
٢٥٤ قِيلَ: إِنَّهُ أَفْخَرُ رَجُلٍ عَلَى ابْنِ الدَّهَّانِ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ:

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مِثْلَنَا سَتَصِيرُ
فَلَدَّاجَاةٍ رِيَشٌ لَكِنَّا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وقد ابن كلدة أثنى على كسرى فانتصب بين يديه . فقال له
كسرى : من أنت . قال : أنا الحارث بن كلدة . قال : أعربي أنت .
قال : نعم ومن صميمها . قال : فما صناعتك . قال : طيب . قال : وما تصنع
العرب بالطيب مع جهلها وضغف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها .
فقال : ذلك أجدر أيها الملك إذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى ما
يصلح جهلها ويقيم عوجها . ويسوس أبدانها . ويعدل أسنانها . قال
الملك : كيف لها بأن تعرف ما تعده عليها . لو عرفت الحق لم تنسب
إلى الجهل . قال الحارث : أيها الملك إن الله جل اسمه قسم العقول بين
العباد كما قسم الأرزاق وأخذ القوم نصيبهم . ففيهم ما في الناس من
جاهل وعالم وعاجز وحازم . قال الملك : فما الذي تجد في أخلاقهم .
وتحفظ من مذاهبهم . قال الحارث : لهم أنفس سخية . وقلوب
جريئة . وعقول صحيحة مرضية . وأحساب نقيية . فيرق الكلام من
أفواههم مروق السهم من الوتر . ألين من الماء . وأعذب من الهواء .
يطعمون الطعام . ويضربون الهام . وعزهم لا يرام . وجارهم لا
يضام . ولا يروغ إذا نام . لا يقرؤن بفضل أحد من الأقسام . ما
خلا الملك الهام الذي لا يقاس به أحد من الأنام . قال كسرى :
لله درك من عربي لقد أصبت علما وخصصت به من بين الخلق
فطنة وفهما . ثم أمر بإعطائه وصلته وقضى حوائجه (لابن عبد ربه)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ
فِي الْأَلْغَازِ

٢٥٦ قَدْ أَلْغَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ :

وَأَرْقَسَ مَرْهُوفِ الشَّيْبَةِ مُهْفَفِ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
حَمَى الْمَلِكُ مَقْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي
يُشْتَتُ شَمْلُ الْخُطْبِ وَهُوَ جَمِيعُ
وَتَعْنُو لَهُ مُلَاكُهَا وَتَطِيعُ
يَهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجَامِ وَهُوَ رَضِيعُ

٢٥٧ وَقَالَ آخَرُ فِيهِ :

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ
مُوَاطِبُ الْخُسُوفِ لِأَوْقَاتِهَا
وَدَمَعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُنْقَطِعُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

فَلَا هُوَ يَمِشِي وَلَا هُوَ مُقْعَدُ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتُ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَفَاعِي لِعَابُهُ
يُقْرِقُ أَوْصَالًا بِصَمْتٍ يَجْنَهُ
إِذَا مَا رَأَتْهُ أَلْعَيْنُ تَحْفَرُ شَانُهُ
وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفٌّ لَا مِسْ
وَلَكِنَّهُ شَخْصٌ يَرَى فِي الْمَجَالِسِ
يَلْبُ ذِيبًا فِي الدَّجَى وَالْحَنَادِسِ
وَتُقْرَى بِهِ الْأَوْدَاجُ تَحْتَ الْقَلَانِسِ
وَهِيَاتَ يَبْدُو النَّفْسُ عِنْدَ الْكَرَادِسِ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ :

وَأَهْيَفَ مَذْبُوحٍ عَلَى صَدْرِ غَيْرِهِ
تَرَاهُ قَصِيرًا كَلَّمَا طَالَ عُمَرُهُ
يُتَرْجِمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
وَيُضْحِي بِلَيْغًا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَأَنَّ صَمِيرَ الْقَلْبِ بِأَحْسَرِهِ إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَّكَتُهُ الْأَصَابِعُ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَاتِ وَجَمَانُهُ صَامِتٌ أَجَوْفُ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خَفِيَّةٍ وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ
٢٦١ قَالَ آخِرُ مُلْفَرَا فِي دَوَاةٍ :

وَمُرْضِعَةٍ أَوْلَادَهَا بَعْدَ ذَنبِهِمْ لَهَا لَبَنٌ مَا لَدَّ يَوْمًا لِشَارِبٍ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَالْتَّذِي رَأْسُهَا وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَابِ
٢٦٢ وَأَلْتَزَّ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التَّلْمِيزِ الطَّيِّبُ النَّصْرَانِيُّ فِي أَلْمِيزَانِ :
مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ الْأَسْمَاءِ يَعْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يَحْكُمُ بِالْقِسْطِ بِلَا رِيَاءٍ أَعْمَى يُرِي الْإِزْشَادَ كُلَّ رَأَى
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءٍ يُغْنِي عَنِ التَّضَرُّجِ بِالْإِيمَاءِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو أَمْتَرَاءٍ بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النِّدَاءِ
يُفَصِّحُ إِنْ عَلِقَ فِي الْمَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخِرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَكُلِّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى أَرْبٍ
أَلَا خَبَرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ مِنْ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ يُصَادُ بِالْأَصِيدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّلَبِ

وَيُوكَلُّ أَحْيَانًا طَبِيخًا وَتَارَةً قَلِيًّا وَمَشْوِيًّا إِذَا دُسَّ فِي الْأَلَهَبِ
وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبٌ
وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ أَلَا خَبَرُونِي إِنَّ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ

٢٦٤ أَلْفَرَّابُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُشَّابِ الْبَغْدَادِيِّ فِي كِتَابِهِ :

وَذِي أَوْجِهِ لَكِنَّهُ غَيْرُ بَاحٍ بِسِرِّهِ وَذُو الْوَجْهِينِ لِلْسِرِّ مُظْهِرٌ
تُجَاجِيكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارَ وَجْهِهِ فَتَسْمَعُهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تُنْظَرُ

٢٦٥ قُلْعُ لِاسَامَةِ بْنِ الْمُتَقَدِّ ضَرْسٌ قُتِلَ فِيهِ مُلْفَزًا :

وَصَاحِبٌ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صَحْبَتُهُ يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْمَعِي سَعْيِي مُجْتَهِدٌ
لَمْ أَلْقَهُ مَذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَأَ لِنَظَرِي أَفْتَرَقْنَا فُرْقَةً أَلَا بَدُ

٢٦٦ أَلْفَرَّابُ زَكْرِيَّا بْنِ سَلَامَةَ الْحَصَكِيِّ فِي نَعْرِشِ الْمَوْتَى :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ تَنْظِيرُهُ إِذَا سَارَ صَاحِبُ النَّاسِ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُ

يُحْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبَهُ وَتَنْفَرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَرْزَعَنَّ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِ وَلَكِنْ عَلَى رَغَمِ الْمَزُورِ يَزُورُ

٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بَهَا الدِّينِ زُهَيْرٌ وَزَيْدُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

مُلْفَزًا فِي قُفْلٍ :

وَأَسْوَدَ عَارِ أَمْحَلِ الْبَرْدُ جِسْمَهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحِرْصُ وَالْمَنَعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرُ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ

٢٦٨ أَغْرُ فِي طَاحُوتَةٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ إِلَّا كُلَّ سَاعَةٍ
تَرَاهَا مَدَى الْأَيَّامِ تَنْشِي وَلَا تَتَبُّ
وَتَأْكُلُ مَعَ طُولِ الْمَدَى وَهِيَ لَا تَشْرَبُ
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
وَلَا ثَلَاثَ ثَمَنِ مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبَ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءِ :

مَطِيَّةٌ قَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَأَقْفَةٌ فِي الْبَابِ مَرْدُودَةٌ
تَحْمِلُهُ وَهُوَ لَهَا حَامِلٌ
لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارِ :

وَمَا أَسْمُ ثَلَاثِي لَهُ الْفَنَعُ وَالضَّرَرُ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهُ وَلَيْسَ لَهُ قَهْرٌ
لَهُ طَلْعَةٌ تُغْنِي عَنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرٌ

٢٧١ قَالَ آخَرُ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْتَوِي عَلَى عَجَلٍ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ
يَعِيشُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تُهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ بِحَيْثُ يُدْرِكُهُ

٢٧٢ أَغْرُ آخَرُ فِي يَدِ الْهَآوِنِ :

خَبَرَنِي أَيُّ شَيْءٍ
وَأَبْنُهُ فِي بَطْنِهِ
أَوْسَعُ مَا فِيهِ قَهْرٌ
يَرْفُسُهُ وَيُلْكُمُهُ
وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ
وَلَمْ يَجِدْ مِنْ يَرْجُمُهُ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْإِزَّةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجُرُ طُولًا
وَرَاءَهَا فِي الْحِجِيِّ وَفِي الدَّهَابِ

يَعَيْنِ لَمْ تَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَقْتَ لِدَمْعِ ذِي النَّسَاكِ
وَمَا لَسْتَ مَدَى الْأَيَّامِ ثَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ أَلْغَزَ الصَّلَاحُ الصَّفْدِي فِي عِيدِهِ :

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا أَسْمُ عَلِيلُ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجْحَدُ
لَيْسَ بِذِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيَدُ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالٍ :

إِسْمٌ مِنْ هَاجٍ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ

٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

يُمِيتُ وَيُحْيِي وَهُوَ مِيتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمْشِي بِلَا رِجْلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
يُرَى فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ طُورًا وَتَارَةً تَرَاهُ تَسَاوَى فَوْقَ طُورِ السَّحَابِ

٢٧٧ قَالَ الْحَاتِي مَلِغَزًا فِي بَابِ بَصْرَاعَيْنِ :

عَجِبْتُ لِحُرُومَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَبْتَائِ طُولَ اللَّيْلِ يَعْتَقَانِ
إِذَا أَمْسَيَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرْصَدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ :

وَمَا أَسْمُ شَيْءٍ حَسَنَ شَكْلِهِ تَأَمَّاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ وَأَوَّا وَنَوَّنَا صَارَ مَوْزُونًا



الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِاللَّحْظِ. كَمَا يَفْهَمُهُ
بِالْلَفْظِ. وَيُعَايِنُ فِي النَّظِيرِ، مَا يَجْرِي فِي الْحَاطِرِ. يَرَى النُّصْحَ فَرَضًا
يَجِبُ أَدَاؤُهُ. وَالْإِحْسَانَ حَتْمًا يَلْزِمُ قَضَاؤُهُ. إِنْ اسْتَقَرَّعَ فِي الْخِدْمَةِ
جَهْدُهُ. خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَذَلَ عَفْوَهُ. أَثَبْتُ مِنَ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَجْمَلَ.
وَأَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتَجْمَلَ (للشعالي)

٢٨٠ تَظَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكَ لَنَا فِضَّةً إِلَّا قَضَاهَا. وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا
مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَمَلًا إِلَّا
عَمَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا جَلِيلًا إِلَّا أَجَلَهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ. فَحَبَّ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (للشريشي)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: أَجْرَى هَارُونُ الرَّشِيدُ أُحْطِلَ فُجَاءَ
فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْبُسَيْرُ سَابِقًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذَلِكَ الْفَرَسِ.
فَأَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:

جَاءَ الْبُسَيْرُ وَالْأَفْرَاسُ يُقَدِّمُهَا هَوْنًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا أَنْبَهَرَا
وَحَلَفَ الرِّيحُ حَسْرَى وَهِيَ جَاهِدَةٌ وَمَرٌّ يَخْتَفُ الْأَبْصَارُ وَالنَّظَرَا
فَأَجْزَلَ صِلَتُهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ (الاعاني)

٢٨٢ لَقِيَ الْحُجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا بِيَدِكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أَرَكُزُهَا
 لِصَلَاتِي. وَأَعِدُّهَا لِعِدَاتِي. وَأُسَوِّقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوِي بِهَا عَلَى سَفَرِي.
 وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشْيِي لِتَسْعَ خَطْوِي. وَأَتَبُّ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتُؤَمِّنِي
 الْعَثْرَ. وَأُلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي فَيَقِينِي الْحَرَّ. وَيُجَنِّبُنِي الْقُرَّ. وَتُذِينِي إِلَى مَا
 بَعْدَ عَنِّي. وَهِيَ تَحْمِلُ سَفَرَتِي. وَعِلَاقَةُ أَدْوَاتِي. أَقْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ.
 وَأُلْقِي بِهَا عَقُورَ الْكِلَابِ. وَتُتَوَّبُ عَنِ الرُّمَحِ الطَّعَّانِ. وَعَنِ السِّيفِ
 عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثْتَهَا عَنْ أَبِي وَسَأَوَرْتُهَا ابْنِي مِنْ بَعْدِي.
 وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. فَهَيْتَ الْحُجَّاجُ
 وَأَنْصَرَفَ (لبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ الْحَفَّ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ.
 وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا طَلَبَ
 أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ
 تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحُمُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خَلٌّ
 وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فِتَاوُهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَانِعٌ. وَشَرُّهُ
 شَاسِعٌ. وَسِرُّهُ دَانِعٌ. وَلَوْ نُفِثَ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَّاقِعٌ. رَدِيٌّ
 الْمُنْظَرُ سَيِّئٌ الْخَبَرُ. يَنْجُلُ إِذَا أَلْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا
 أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَلَ
 أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوِطِبَ نَفَرَ

٢٨٤ سُئِلَ سَنَاقِدِسٌ عَنِ الزُّكْبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِالْأَسَاسِ. قَبْرٌ مُؤَلَّفٌ.

وَسُئِلَ عَنْ اللَّهِ سُجَّانَهُ فَكُتِبَ: مَعْقُولٌ مُجْهُولٌ. وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ
 غَيْرُ مُدْرِكٍ سُجَّانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكُتِبَ: نَوْمٌ لَا
 أَنْبَاءَ مَعَهُ رَاحَةُ الْمَرْضَى. نَقِضُ الْبَلِيَّةِ. أَنْفِصَالُ الْإِتِّصَالِ.
 الرُّجُوعُ إِلَى الْغَضْرِ. شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ. فَرْعُ الْأَغْنِيَاءِ. سَفَرُ الْبَدَنِ.
 فَقْدَانُ الْإِخْوَانِ. وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكُتِبَ: شَرٌّ يَتَمَنَّى. مَرَضٌ
 الْأَصِحَّاءِ. مَوْتُ الْحَيَاةِ. صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يُتَحَرَّكُ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكُتِبَ: خَادِمُ الشَّهَوَاتِ. هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شَرٌّ مُحْبُوبٌ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكُتِبَ: تَصَوُّرٌ طَبِيعِيٌّ. زَهْرَةٌ تَذُبُّلُ. وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكُتِبَ: عَيْنُ الْفَلَكَ النَّهَارِيِّ. عِلَّةُ الْعَوْرَاتِ. وَسَبَبُ الثَّرَاتِ. وَعَنِ
 الْقَمَرِ فَكُتِبَ: عَقِبُ الشَّمْسِ. سِرَاجٌ لَيْلِيٌّ. وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكُتِبَ:
 مَلْعَبَةُ الْبُخْتِ. مَطْلُوبُ السِّنِينَ. أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ. وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكُتِبَ: قَاعِدَةُ الْفَلَكَ (عَلَى زَعَمِ الْأَقْدَمِينَ). أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ.
 أَمْ الثَّمَرَاتِ. وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكُتِبَ: خَادِمُ الْغِذَاءِ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكُتِبَ:

إِنِّي بُلَيْتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوْتِي وَعَنَائِي
 إِبْلِيسُ وَالْأَلْبَانِيَّةُ وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخِلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ: وَهَذَا فُلَانٌ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ. وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْمَةِ جِيَادِ الْمَعَانِي. فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِ رُخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ. وَمَنْحَةٍ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. فَإِذَا كُتِبَ

أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزَيَّنَتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَئِيسُ
تَشْرِقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَغْرُوسُ
كَأَنَّهُ بِنَفْسِهِ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٍ يَمِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتُقِ :

كَأَنَّمَا الْفُسْتُقُ الْمَمْلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقَّقًا فِي لَطِيفَاتِ الطَّيَافِيرِ
وَاللَّبُّ مَا بَيْنَ قَشْرَيْهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَنَّ السُّنَّ الطَّيْرَ مَا بَيْنَ الْمَتَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي الْفُسْتُقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى الثَّمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنٍ مُجَرَّدٍ
سِوَى الْفُسْتُقِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهَا بِمَعَانٍ زَيَّنَتْ بِتَهَرُّدٍ
غِلَالَةَ مَرْجَانٍ عَلَى جِسْمٍ فَضِيٍّ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتٍ وَقَابُ زَرْجَدٍ

٢٨٩ قَالَ ابْنُ الْأَرَمَوِيِّ يَصِفُ الْجُلْنَارَ :

بَدَأْنَا الْجُلْنَارَ فِي الْفُضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَالْحَبِّ
كَأَنَّمَا أَكْخُوسُ الْعَمِيقِ بِهِ قَدْ مَلَأَتْ مِنْ بُرَادَةِ الذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

غَدَوْنَا عَلَى الرُّوضِ الَّذِي طَلَّهُ النَّدَى مُخَيَّرًا وَأَوْدَاجُ الْأَبَارِقِ تُسْفِكُ
فَلَمْ نَرْ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا مِنَ النُّورِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

مَرْحَبًا بِالرَّيِّعِ فِي آذَارٍ وَيَإِشْرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقِ وَأَقْحَوَانٍ وَوَرْدٍ وَخُزَامَى وَزَجِسٍ وَبَهَارِ
٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَا تَرَى الْأَرْضَ قَدْ أَعْطَتْكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَالسَّمَاءُ بُكَاءٌ فِي جَوَانِيهَا وَالرَّيِّعُ انْتِسَامٌ فِي نَوَاحِيهَا
٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي النِّعَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُقْلَتَهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَنْجَلِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ
٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذْكَى مَا سَقَى مَاءُ السَّحَابِ الْجَامِدُ
خَضَعَتْ نَوَازِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَتَذَلَّتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْفَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَذْهَبُ قَدْ أَمِيتَ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفْدُ الرَّيِّعِ مُبَشِّرًا بِطُلُوعِ وَقْدَتِهِ فَنَعْمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَمَا الْمُبَشَّرُ بِاسْمِهِ خَبَرٌ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَارِفُهُ فَهِنَّ خَوَالِدُ
٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ ثُغُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفْقُ يُسْفِرُ نَارَةً وَيَقْطُبُ
وَكَاَنَّ مَخْضَرَ الرِّيَاضِ مِلَاحَةً وَالْيَاسَمِينُ لَهَا طِرَازٌ مُذْهَبُ
٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَقِيًّا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمَتْ تُبَهِّئِي بَعْدَ الْهُدُوءِ بِهَا قَرَعُ النُّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سُوسَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطُّوَائِسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرِ جَلِ :

حَازَ السَّفَرُ جُلُودَاتِ الْوَرَى فَعَدَا عَلَى الْفَوَاصِكِ بِالْتَّفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَالْزَّاحِ طَعْمًا وَشَمَّ الْمِسْكِ رَاحَةً وَالتَّبَرُّ لَوْنًا وَشَكْلَ الْبَدْرِ تَدْوِيرَا
٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ يَغْيِرُ طَعْنٌ وَضَرْبٌ بَلْ لَا تَكُلِ وَمَصِّ لَبٍّ وَرَشْفِ
كَمَلَتْ فِي أَسْتَوَائِهَا وَأَسْتَقَامَتْ بِأَعْتِدَالٍ وَحُسْنٍ قَدٍّ وَلُطْفِ
٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةً :

وَنَاعُورَةٍ قَالَتْ وَقَدْ جَالَ لَوْنُهَا وَأَضْلَعُهَا كَادَتْ تُعْدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورٌ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَصَدْتُه وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جَنْبِي
٣٠٠ قَالَ الْبُخَيْرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنِيتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمًا وَغَرْبِهَا أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ لِزَّاحِ أَغَادِيهَا وَكَأْسِ أُدِيرُهَا
مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزَهَّةُ أَعْيُنٍ وَلَهُوَ لِنَفْسٍ دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرِّيعُ بِأَلَادِهَا قَبِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا

٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشِّطْرِ نَجْمٍ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِ :

يَا عَائِبَ الشِّطْرِ نَجْمٍ مِنْ جَمَلِهِ وَلَيْسَ فِي الشِّطْرِ نَجْمٍ مِنْ بَاسِ
فِي فَمِهَا عِلْمٌ وَفِي لَبِهَا شُغْلٌ عَنِ الْغَيْبَةِ لِلنَّاسِ

وَتَشْفَلُ أَهْلَانِي عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبِ الْكَاسِ عَنِ الْكَاسِ
وَصَاحِبِ الْحَرْبِ بِتَذْيِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَّةِ وَالْبَاسِ
وَأَهْلَهَا فِي حُسْنِ أَدَائِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجُلَّاسِ
٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ التَّلَوْنِ :

مُقْبِلٌ مُدِيرٌ يَمِيدُ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبٌ
عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَنَوْعُ فَرْدٍ وَشَكْلُ غَرِيبٍ

٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفٍ الْبَهْرَانِيُّ فِي وَصْفِ النَّحْوِ :

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانٍ أَلَا لَكُنَّ وَالْمَرْءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَنْحَنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ
٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَيْرَوَيْهِ الْحُمِّيَّ قَالَ :

وَزَائِرُهُ تَزُورُ بِلَا رَقِيبٍ وَتَنْزِلُ بِالتَّقَى مِنْ غَيْرِ حِيَةٍ
وَمَا أَحَدٌ يُجِبُّ الْقُرْبَ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَلْبِهِ
تَبَتْ بِبَاطِنِ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ فَطَلَبُ بَعْدهَا مِنْ عَظَمِ كَرِيهِ
وَيَتَمَعُّهُ لَذِيذُ الْعَيْشِ حَتَّى تُنْقَضَ بِمَا كَلَّهِ وَشُرِيهِ
أَنْتَ لَزِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَبًا بِهِ
قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخُلَانِ :

الْقَلْبُ مِنْ فُرْقَةِ الْخُلَانِ يَحْتَرِقُ وَالْذَّمُّ كَالْذَّرِّ فِي الْخُلْدَيْنِ يَسْتَقِ
إِنْ قَاضَ مَا دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا الْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقُ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزبير ومعاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَيْدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا .
وَالِى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَيْدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا . فَدَخَلَ عَيْدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَيْدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَانْهَمُ عَنْ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أَرَى أَنَّ تَبَعْتَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ
عِنْدَكَ يَا تُوثَنُكَ بِرَأْسِهِ . فَقَالَ : بَلْ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَّا
بَعْدُ فَهَذَا وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيٍّ وَسَاءَ فِي مَا سَاءَهُ . وَاللَّذْنِيَا
بِأَسْرَ هَاهُنَا عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ . تَزَلْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَأَضِنْتُهُمَا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَيْدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمُهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحَلَّهُ مِنْ
قُرَيْشٍ هَذَا الْحُلَّ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الزُّبَيْرَ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْفَرَ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ مَنْ عَفَا سَادَ . وَمَنْ حَلُمَ عَظُمَ . وَمَنْ تَجَاوَزَ أَمْتَالَ
إِلَيْهِ الْقُلُوبَ . فَإِذَا أَتَيْتَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ . فَدَاوِهِ يَمُنْ بِ
هَذَا الدَّوَاءِ

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قيل : كَانَ الْمَنْصُورُ مُعْجَبًا بِمُحَادَثَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَلِيْظَمَ قَدْرَهُ
يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَجَبَّهُ مُدَّةً . ثُمَّ
لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ الرَّبِيعَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَعَفِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُثْقِلْ عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ
إِلَى الْبَابِ أَعْرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى
الْمَنْصُورِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَقَالَ : أَقْذِفُوهَا
فِي كُمِّي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخُضْرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبَسَاتِينِ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا آتَاكَ وَهَنَّاكَ بِإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ
عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَمَا بَنَتْ الْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا الْعَجَمُ فِي
سَالِفِ الْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلَكِنْ سَجَّجْتُهَا فِي عَيْنِي
خَصْلَةً . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا صَبْعَةٌ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
قَدْ حَسَّنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِبَاعٍ قَدْ أَقْطَعْتُكُمَا . فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ كَرِيمُ الْمَصَادِرِ . فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى

بَاقِي عَمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيَهُ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا خَضَ لِيَقُومَ بَدَتْ الرِّقَاعُ مِنْ كُمِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : أَرْجِعْنَ خَائِبَاتِ خَائِرَاتِ . فَصَحَّكَ الْمَنُصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي بِخَبَرِ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيماً وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرُمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَسْكِلُ
بَنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
ثُمَّ تَصْفَحُ الرِّقَاعُ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا (للأبشيهي)

عدل عمر بن الخطاب بما آذاهُ لعجوزٍ من فقراء رعيته

٣٠٧ ذُكِرَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ شَخْصًا أَعْرَابِيًّا جَذَبَنِي بِثَوْبِي وَقَالَ : أَلَزَمْنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَكَبِّرٌ . فَتَنَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةَ بَيْنِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ الدَّامِسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةٌ قَرِيَّةٌ . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَيُؤْتِيهِمْ وَيَتَأَمَّلُهُمْ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا . فَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خِيْمَةٌ وَفِيهَا أُمْرَأَةٌ تَعْجُوزٌ وَحَوْلَهَا صَبِيَّةٌ يُعُولُونَ عَلَيْهَا وَيَكُونُ . وَأَمَامَهَا أَنَا فِي عُلْيَاهَا قِدْرٌ وَتَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَعِلُ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصَّبِيَّةِ: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْصَحُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ.
فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْعُجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى
الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَطَالَ الْوُقُوفُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
يُوقِفُكَ سِرِّ بَنًا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرَى حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَّتْ لِلصَّبِيَّةِ
فَأَكَلُوا وَاشْكَفُوا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَقُوفُنَا جِدًّا وَمَلَأْنَا الْمَكَانَ خَوْفًا
أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَا الْعُيُونِ. وَالصَّبِيَّةُ لَا يَزَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
وَالْعُجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْصَحُ الطَّعَامُ
فَتَأْكُلُونَ. فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْخُلْ بَنًا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
وَرَأَاهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَه. فَردَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ
أَحْسَنَ رَدٍّ. فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّةِ يَصَارُخُونَ وَيَبْكُونَ.
فَقَالَتْ لَهُ: لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِهِمْ مِمَّا فِي
الْقَدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأَطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةٌ فَقَطُّ
إِلَى أَنْ يَصْجِرُوا مِنْ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأَطْعِمَهُمْ.
فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يَغِي.
فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أَوْهَمُهُمْ أَنَّ فِيهَا
شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأَعْلَلَهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا صَجِرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عَيْنَهُمْ
نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَلِمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخ
لِي وَلَا أَبَ وَلَا زَوْجَ وَلَا قَرَابَةَ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَرْضِي أَنْ تَكُنِي عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حَيًّا اللَّهُ عُمَرُ وَنَكَسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهُ إِنَّهُ ظَلَمَنِي . فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ مَقَاتِلَهَا
 أَرْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَالَهٗ بِمَاذَا ظَلَمَكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهِ ظَلَمْنَا إِنْ الرَّاغِي عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى حَالِ كُلِّ مَنْ رَعِيَّتِهِ .
 لَعَلَّهُ يُوْجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيَّقَ الْيَدِ كَثِيرُ الصَّبِيَّةِ وَلَا مُعِين وَلَا
 مُسَاعِدَ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيَسْمَحُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يَقُوتُهُ وَعِيَالَهُ أَوْ
 صَبِيَّتَهُ . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : وَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرُ بِحَالِكَ وَمَا أَنْتَ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ
 مَعَ كَثَرَةِ الصَّبِيَّةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتُعَلِّمِيه بِأَمْرِكَ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِنْ الرَّاغِي الْخُرَّاجُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى أُحْتِيَاجَاتِ
 رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَلَعَلَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْفَقِيرَ الْحَالِ الضَّيِّقَ الْيَدَ غَلَبَهُ
 حَيَاؤُهُ وَمَنَعَهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاغِيهِ لِيُعَلِّمَهُ بِحَالِهِ . فَعَلَى عُمَرُ السُّؤَالُ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِأَعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّاغِي الْخُرَّاجُ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عُمَرُ : صَدَقْتَ يَا خَالَهٗ وَلَكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبِيَّةِ وَالسَّاعَةِ آتِيكَ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ الْأَخِيرِ . فَسَيْنَا وَالْكَلابُ تَبَجْنَا وَأَنَا أَطْرُدُهَا وَأَذْبُهَا عَنِّي
 وَعَنْهُ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الدَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَحْدَهُ وَدَخَلَ وَأَمَرَنِي
 فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَظَنَرُ بَيْنَا وَشِمَالًا فَعَمَدَ إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَخْتَوِي
 عَلَى مِائَةِ رَطلٍ وَيُنِيفُ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ حَمَلَهُ عَلَى كَتِفِي . فَحَمَلْتُهُ إِيَّاهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : أَهْمَلِ أَنْتَ هَاتِيكَ جِرَّةَ السَّمَنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جِرَّةٍ هُنَاكَ

فَحَمَلَتْهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْبَلَ الْبَابَ وَمِيزَانًا وَقَدْ أَنهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى لِحْيَتِهِ
وَعَيْنَيْهِ وَجَبِينِهِ . فَشَيْنَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتَعَبَهُ الْحِمْلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَعَرَضْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا بَنِي وَأُمِّي يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلِ الْكَيْسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمِلُ عَنِّي جِرَاعِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حَمْلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَثِقَلَهَا خَيْرٌ مِنْ حَمْلِ ظُلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ . وَلَا سِيَّامَا هَذِهِ
الْعُجُوزُ تُعَلِّلُ أَوْلَادَهَا بِالْحَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرَّ بَنَاتِي
وَأَسْرِعْ يَا عَبَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَصْجَرَ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَنَامُوا نَحْمًا قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ لَهْتَ الثَّوَرِ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ
وَصَلْنَا حَيْمَةَ الْعُجُوزِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَنْ كَفِّهِ وَوَضَعْتُ
جِرَّةَ السَّمَنِ أَمَامَهُ . فَتَقَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقِدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَعَلَ يَجَانِبُهُ الدَّقِيقُ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَطْفَأُ فَقَالَ
لِلْعُجُوزِ : أَعِنْدَكَ حَطَبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَقَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطَبُ أَخْضَرُ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقِدْرَ
عَلَى الْأَثَانِي . وَجَعَلَ يُنَكِّسُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ فِيهِ تَحْتَ الْقِدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطَبِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِ لِحْيَتِهِ وَقَدْ كُنَّ
بِهَا الْأَرْضُ إِذْ كَانَ يُطَاطِئُ رَأْسَهُ لِيَسْكُنَ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا
حَتَّى اشْتَعَلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَابْتَدَأَ غَلِيَانُهُ . فَجَعَلَ يُحَرِّكُ السَّمْنَ
بِعُودٍ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَيَخْطِطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمَنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إِلَى أَنْ تُضَيَّجَ وَالصَّبِيَّةُ حَوْلَهُ يَتَصَارَحُونَ . فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 الْعُجُوزِ إِنَاءً فَأَتَتْهُ بِهِ . فَجَعَلَ يَصُبُّ الطَّبِيخَ فِي الْإِنَاءِ وَيَنْفُخُهُ بِفَمِهِ لِيَرُدَّهُ
 وَيَلْقَهُ الصِّغَارُ . وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَاكْتَفَوْا . وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَنَامُوا . فَالْتَفَتَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعُجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا : يَا حَالَةَ أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَسَأَذْكُرُ لَهُ حَالَكَ . فَأَتَيْتَنِي
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَجَدِّدَنِي هُنَاكَ فَارْجِي خَيْرًا . ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي جِئْتُ رَأَيْتُ الْعُجُوزَ
 تُعَلِّلُ صَبِيَّتَهَا بِحَصَى حَسَسْتُ أَنَّ الْجِبَالَ قَدْ زُلْزَلَتْ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي . حَتَّى إِذَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ وَأَطْعَمْتُهُمْ مَا طَبَخْتُهُ لَهُمْ وَاكْتَفَوْا
 وَجَلَسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحَيِّدْتُ شَعْرَتِي أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ قَدْ سَقَطَتْ
 عَنْ ظَهْرِي . ثُمَّ أَتَى عُمَرُ دَارَهُ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبَنَّا لَيْلَتَنَا . وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ الْعُجُوزُ فَاسْتَقَرَّهَا وَجَعَلَ لَهَا وَلِصَبِيَّتِهَا رَاتِبًا مِنْ
 بَيْتِ الْمَالِ تَسْتَوِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا (للاتليدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حِكْمِي عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَانْظَمَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ .
 وَأَمْتَلَأَتْ مِنْهُ الصُّدُورُ . وَأَذْعَنَ لِأَمْرِهِ الْجُمْهُورُ . وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مُرَادِهِ . اسْتَحْضَرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَذَاكَ رُحْمٌ وَقَائِعُ أَيَّامٍ صَفِينٍ . وَمَنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرَ الْكِرِيهَةِ مِنَ الْمَعْرُوفِينَ . فَأَنَّهُمْ كُفُوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

وَالْمَرِيضِ . وَآلَ حَدِيثِهِمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بِزِيَادَةِ التَّخْرِيسِ . فَقَالُوا : أَمْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ تُسَمَّى الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيِّ كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ . وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً : يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ . لَسْتُمْهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَةً لَهُمْ بِقَوْلِ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلُوا وَالْمَذْبُورُ لَأَقْبَلَ . وَالْمُسَالِمُ لِحَارَبَ . وَالْقَارِئُ لَكَرَّ . وَالْمُتَرَلِّزُ لَأَسْتَقَرَّ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ . قَالَ : فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا . قَالُوا : نُشِيرُ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلٌ لَذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بَيْسَ مَا أَشْرْتُمْ بِهِ وَفَجَأًا لِمَا قُلْتُمْ . أَيْخَسُنُ أَنْ يَشْتَهَرَ عَنِّي أَنِّي بَعْدَ مَا ظَهَرْتُ وَقَدَرْتُ قَتْلَ أَمْرَأَةٍ قَدْ وَفَّتْ لِصَاحِبِهَا . إِنِّي إِذَا لَلَيْمُ . لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ دَعَا بِكُتَاتِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ : أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتُ عَدِيِّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفُرْسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا . وَمَهْدٍ لَهَا وَطَاءً لَنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ : مَا أَنَا بِزَانِعَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مُبْطِنًا . ثُمَّ أَحْسَنَ ضَجْبَتَهَا . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مُقَدِّمٍ قَدِيمُهُ وَأَفْذُ . كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ وَكَيْفَ رَأَيْتَ سَيْرَ لِي . قَالَتْ : خَيْرَ مَسِيرٍ . فَقَالَ : هَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى . قَالَ : أَلَسْتُ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَخْضَرَ يَوْمَ صِفَيْنَ . وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَتَحْرِضِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدِمَتِ الرَّأْسُ وَبِتَرِ الذَّنْبُ . وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ وَمَنْ
تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يُحْدِثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ فَهَلْ
تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتَ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَبُوكَ فَلَقَدْ
سَمِعْتِكَ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمَصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ . وَإِنَّ
الْكُوكَبَ لَا تَضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَعْلَ لَا يَسْبِقُ الْقَرْسَ . وَلَا يَقْطَعُ
الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . إِلَّا مَنْ أَسْتَرَشَدَنَا أَرَشَدَنَا . وَمَنْ سَأَلَنَا
أَخْبَرْنَاهُ . إِنَّ الْحَقَّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّةً فَأَصَابَهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَانَكُمْ وَقَدْ أَلْتُمُ التَّمَلُّ الشَّتَاتِ وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ
الْعَدْلِ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ . أَفَمَنْ كَانَ
مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَالْزَّالُ الزَّالُ وَالصَّابِرُ الصَّابِرُ .
أَلَا وَإِنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الْحِنَاءُ وَخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
الْأُمُورِ عَاقِبَةً . إِنْتَوُوا الْحَرْبَ غَيْرَ نَاكِهِينَ فَهَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ . يَا زُرْقَاءُ
أَلَيْسَ هَذَا قَوْلُكَ وَتَحْرِيطُكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
شَارَكْتَ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكَهُ . فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَتِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ . مِثْلَكَ مَنْ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيَسِرُّ جَلِيسَهُ .
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلُكَ
وَأَتَى لِي بِتَصْدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ فَأَوْكُمُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ حُكْمِهِ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَأَذْكُرِي حَوَائِجَكَ تُقْضَى . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيٍّ
حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِقَتْلِكَ . فَقَالَتْ : لَوْ
مِنْ الشَّيْرِ . وَلَوْ أَطَعْتُهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَعْفُو عَنْكَ وَنُحْسِنُ
إِلَيْكَ وَنَزْعَاكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ مِنْكَ . وَمِثْلَكَ مَنْ قَدَرَ
فَعَمًا وَتَجَاوَزَ عَمَّنْ أَسَاءَ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُسُوءَ
وَدَرَاهِمَ وَأَقْطَعَهَا ضَيْعَةً تُعَلُّ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَائِلَةً وَكُتِبَ إِلَى وَالِي الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ
بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا . (للابشيهي)

رجلان كريمان حصلتا على الامارة بكرهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
خَزِيمَةُ بْنُ إِشْرِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُؤَاسَاةِ . وَكَانَتْ
نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكَرَمِ حَتَّى احْتِاجَ إِلَى
إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يُوَايِسُهُمْ وَيَفْضَلُ عَلَيْهِمْ . فَاسْوَهُ حِينَئِذٍ إِنَّهُمْ مَلُوءُ .
فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أُمَّرَأَتُهُ وَكَانَتْ ابْنَةً عَمِّهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةُ الْعَمِّ
رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغْيِيرًا عَمَّا عَمِدْتُ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لُزُومِ بَيْتِي
إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَمَوَّتُ بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَائِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرَمَةُ الْفَيَاضِ وَالْيَا
عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيْوَانِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خَزِيمَةَ بْنِ إِشْرِ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرَمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ . فَقَالَ
عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ : أَمَّا وَجَدَ خُرَيْمَةُ بْنُ إِسْرَءِيلَ مُوَسِيًّا أَوْ مُكَافِيًّا . فَقَالُوا لَهُ :
لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكُرْمِ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ
وَقَدْ تَنَبَّى الْفَيَّاضُ لِرِيزَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ . ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمِدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ . فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
يَحْمِلُ الْمَالَ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَصْفَ . فَلَمْ يَزَلْ سَارًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
خُرَيْمَةَ فَتَزَلَّ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَسَلَّمَهَا إِلَى الْغُلَامِ . وَأَخَذَ مِنْهُ
الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ خُرَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ وَقَدْ نَكَرَ صَوْتُهُ : خُذْ هَذَا أَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ . فَتَسَاوَلَهُ خُرَيْمَةُ فَرَأَاهُ
ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جُعِلَتْ
فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
تَعْرِفَنِي . فَقَالَ لَهُ خُرَيْمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهُ إِلَّا تَخْبِرَنِي مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ . فَقَالَ خُرَيْمَةُ : زِدْنِي إِضَاحًا . فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ : لَا وَاللَّهِ . وَأَنْصَرَفَ . فَدَخَلَ خُرَيْمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى أُمِّهِ وَقَالَ
لَهَا : أَبْشِرِي فَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ فَهُوَ اسْرَجِي . فَقَالَتْ : لَا سَبِيلَ إِلَى
السَّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ . فَبَاتَ خُرَيْمَةُ يَلْمِسُ الْكَيْسَ فَيُحِيدُ
خُشُونَةَ الدَّانِيَةِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ أُمُّهُ أَنَّهُ فِيمَ خَرَجَ
بَعْدَ هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ مُتَفَرِّدًا . فَأَجَابَهَا : مَا كُنْتُ لِأَخْرُجَ فِي وَقْتِ كَذَا

وَأُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِمَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فَقَطَّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا رَأَى
 أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ مِنْهَا قَالَ : أَخْبِرْكَ بِالْأَمْرِ فَأَكْتُمِيهِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالٍ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُرَيْمَةَ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَاحَ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ لِلْسَّفَرِ يُرِيدُ الْخُلِيفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ جَدًّا بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُرَيْمَةُ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُرَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوءُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَمَا مَنَعَكَ التَّهَضُّعَ إِلَيْنَا . قَالَ خُرَيْمَةُ : ضَعُفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنَهَضَكَ الْآنَ . قَالَ خُرَيْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُرَيْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا حِينَ سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ قَالَ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : فَتَلَهَّفَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَاهُ لَكَفَيْنَاهُ عَلَى مُرُوءَتِهِ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِالْكَاتِبِ فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ لَخُرَيْمَةَ الْوَلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرِمَةَ وَأَجَزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ وَأَحْسَنَ ضِيَاقَتَهُ . وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَقْتِهِ إِلَى الْوَلَايَةِ فَتَبَلَّ الْأَرْضَ خُرَيْمَةُ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرِمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَزْلُهُ وَأَقْبَلَ لِلْمُلَاقَاةِ خُرَيْمَةَ

مَعَ جَمِيعِ أَهْلِ الْبَلَدِ . وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ الْبَلَدَ .
 فَتَزَلَّ خُرَيْمَةُ فِي دَارِ الْأِمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرَمَةُ وَيُجَاسَبَ . فَحُوسِبَ
 فَفُضِّلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَلَبَهُ خُرَيْمَةُ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : وَاللَّهِ مَا إِلَى
 دِرْهَمٍ مِنْهُ سَبِيلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ . فَأَمَرَ خُرَيْمَةُ بِجَنْسِهِ وَأَرْسَلَ
 يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ . فَأَرْسَلَ عِكْرَمَةُ يَقُولُ لَهُ : إِنِّي لَسْتُ بِمَنْ يَصُونُ مَالَهُ
 بِعِزِّهِ فَأُصْنَعُ مَا شِئْتُ . فَأَمَرَ خُرَيْمَةُ بِقَيْدِهِ وَضَرَبَهُ . فَكَبِّلَ بِالْحَدِيدِ
 وَضَرَبَ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ . فَأَقَامَ كَذَلِكَ شَهْرًا فَأَضْنَاهُ ذَلِكَ وَأَضْرَبَهُ فَبَلَغَ
 أَمْرَ أَنَّهُ ضَرُهُ فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ وَأَعْتَمَتْ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . فَدَعَتْ جَارِيَةَ
 لَهَا ذَاتَ عَقْلِ وَقَالَتْ لَهَا : أَمْضِي السَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُرَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ :
 إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْأَمِيرِ . فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكَ فَقُولِي : لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ
 خُرَيْمَةَ . فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَسَلِّهِ الْخُلُوءَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا
 جَزَاءَ جَارِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ بِمَكَافَاتِكَ لَهُ بِالضِّيقِ وَالْحَبْسِ
 وَالْحَدِيدِ ثُمَّ بِالضَّرْبِ . قَالَ : فَفَعَلْتُ جَارِيَتُهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ خُرَيْمَةُ
 قَوْلَهَا قَالَ : وَاسَوْءَ نَاهُ جَارِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ غَرِيمِي . قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَمَرَ
 لَوْفَتَهُ بِدَابَّتِهِ فَأَسْرَجَتْ وَرَكِبَ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ
 إِلَى بَابِ الْحَبْسِ . فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرَمَةَ أَلْفِيَّاضَ فِي قَاعِ الْحَبْسِ
 مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْنَاهُ الضَّرُّ . فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرَمَةَ إِلَى خُرَيْمَةَ وَوُجُوهِ أَهْلِ الْبَلَدِ
 مَعَهُ أَحْسَمَهُ ذَلِكَ فَكَسَّ رَأْسَهُ . فَأَقْبَلَ خُرَيْمَةُ وَأَكْبَعَ عَلَى رَأْسِهِ قَبْلَهُ .
 فَرَفَعَ عِكْرَمَةُ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا أَعْتَبَ هَذَا مِنْكَ . قَالَ خُرَيْمَةُ : كَرِيمٌ فَعَالِكٌ

وَسُوهُ مَكَافَاتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَالَكَ . ثُمَّ إِنَّ خُزَيْمَةَ
 أَمَرَ بِقِيُودِهِ أَنْ تُفَكَّ وَأَنْ تُوَضَعَ فِي رِجْلَيْهِ نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ :
 مَا مَرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَتَأَلَّى مِنَ الضَّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
 إِلَى دَارِ خُزَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ أَنْ نَصِرَافَ فَلَمْ يُمْكِنْهُ مِنْ ذَلِكَ .
 ثُمَّ أَمَرَ خُزَيْمَةُ بِالْحَمَامِ فَأُخْطِبِي وَدَخَلَا جَمِيعًا . وَقَامَ خُزَيْمَةُ نَفْسُهُ فَتَوَلَّى
 خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ قَتْلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
 يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
 الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ
 بِقُدُومِ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ . فَرَأَاهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَآلِي الْجَزِيرَةِ يَتَقَدَّمُ
 عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرٍ نَامَعُ قُرْبَ الْعَهْدِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا
 دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُزَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَمَا
 أَقْدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفَرْتُ بِحَاجِرَاتِ الْكِرَامِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْرُكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى رُؤْيَيْهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
 قَالَ : عِكْرِمَةُ الْأَنْصَارِيُّ . فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
 فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبِالْأَ
 عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخِلَافَةَ قَالَ لَهُ : أَكْتُبْ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ .
 فَكَتَبَهَا فَقَضَيْتْ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ وَأَصَافَ
 لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ النُّخْفِ وَالظَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَارْمَنِيسَةِ

وَأَذْرَبِيحَانَ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خَزِيمَةَ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ رُدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا أَنْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحموي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحُجَّاجَ بْنَ يُوْسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَذَّبَهُ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَسَجَنَهُ. فَاحْتَالَ يَزِيدُ بِحُسْنِ
تَلَطُّفِهِ وَأَرْعَبَ السَّجَانَ وَأَسْتَأْأَلَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسَّجَانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْحَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحُجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعْلِمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السَّجَنِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجَرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَآبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَحِبَّاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أَجِرْ عَدُوًّا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحُجَّاجُ عَذَّبَهُ وَغَرَّمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا.
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْرِينِي فِي ضَيْفِي فَلْيَقْبَلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ
إِنَّهُ لَا يَدَّ مِنْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَقَيَّدَهُ.

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلْسَلَةٍ وَعَلَّهَا جَمِيعًا بَعْلَيْنِ وَحَمَلَهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ قَائِدًا بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْعَلَ يَزِيدَ ثَانِيًا . وَأَجْعَلَنِي إِنْ شِئْتَ ثَالِثًا وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهَاهُنَا فِي سِلْسَلَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ
 اسْتَحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَاغَيْنَا بِهِ هَذَا الْمُبْلَغَ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيُخَيِّجُ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا نَحْتَاجُ مَا نَحْتَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قِيلَنَا عُذْرُكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ الْحِجَابِ . ثُمَّ اسْتَخْضَرَ حَدَادًا فَأَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ابْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحِجَابِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَإِيَّاكَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِلأَبِشِيِّ)

عَفْوُكُمْ وَاحْسَانُهُ إِلَى مَنْ قَتَلَ أَبَاهُ

٣١١ حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اخْتَفَتْ مِنْهُمْ
 جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي سِنِّ
 الشَّيْبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنْ السَّفَاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ أَمَانًا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أُلْزِمَ مَجْلِسِي فَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ:
يَا إِبْرَاهِيمُ حَدِّثْنِي عَمَّا رَأَيْتُكَ فِي اسْتِخْفَاكَ مِنَ الْعَدُوِّ. فَقَالَ سَمِعْتُ
وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْحَيْرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
الصَّخْرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامِ
سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تُرِيدُ الْحَيْرَةَ. فَتَحَيْتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي
فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُشْكِرًا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
أَحَدًا أَخْفِي عَنْهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ. فَنَظَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابٍ كَبِيرٍ
وَاسِعٍ الرَّحْبَةِ فَدَخَلْتُ فِيهِ. فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ أَهْلِيَّةٍ مُقْبِلًا
عَلَى الرَّحْبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَالتَفْتُ فَرَأَيْتُ فَقَالَ لِي: مَنْ
أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ. فَقُلْتُ: رَجُلٌ خَائِفٌ عَلَى دِمِهِ وَجَاءَ لِيَسْتَجِيرُ فِي
مَنْزِلِكَ. فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكُنْتُ عِنْدَهُ فِي
كُلِّ مَا أَحْبَبْتُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
حَالِي. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ وَيَمْضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
قَرِيبَ الظُّهْرِ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: أَرَأَاكَ تُدْمِنُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ قَعِي مَ
ذَلِكَ. فَقَالَ لِي: إِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ قَدْ قَتَلَ أَبِي
ظُلْمًا وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحَيْرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًّا لَعَلِّي أَجِدُهُ
وَأُذْرِكُ مِنْهُ نَارِي (قَالَ): فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَثُرَ
تَعَجُّبِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنْ أَلْقَدَرَ سَاقَنِي إِلَى حَشْيِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
دَمِي. فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ. ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنْ أَسْمِهِ وَأَسْمَ آيِهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
 قَتَلْتُ أَبَاهُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَيَّ حُصْحُكَ وَلَمَرُّ وَفِكَ لِي
 يَلْزِمُنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى حُصْحِكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
 الْخُطْوَةَ. فَقَالَ: وَمَنْ ذَاكَ. فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ
 أَبِيكَ فَخُذْ بِنَارِكَ. فَتَبَسَّمَ مِنِّي وَقَالَ: هَلْ أَصْبِرُكَ الْإِخْفَاءُ وَالْبُعْدُ عَنْ
 مَنْزِلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتُ الْمَوْتَ. فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ
 الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا. فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
 هَذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَانْتَبَهَتْ إِلَيَّ
 وَقَالَ: أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذْ بِنَارِهِ مِنْكَ
 وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْضِرُ دِمَتِي وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ أَمِنُ
 عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي. ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ. فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي
 عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للاتليدي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنَ الشُّعْرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ
 مَدَّةً يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَّهَبْ لَهُ ذَلِكَ. فَلَمَّا أَعْيَاهُ الْأَمْرُ سَأَلَ
 بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ: أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ الْبُسْتَانَ أَنْ تُرَفِّقَنِي.
 فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنُ بُسْتَانَهُ لِيَتَنَزَّهَ جَاءَ الْخَادِمُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَتَبَ
 الشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ عَلَى خَشَبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

الْبُسْتَانِ . فَاتَّفَقَ أَنْ مَعْنًا كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
 قَمَرَتْ بِهِ الْحَشْبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
 أَيَا جُودَ مَعْنٍ نَاجٍ مَعْنًا بِحَاجَتِي فَمَا لِي إِلَى مَعْنٍ سِوَالِكَ سَبِيلُ
 فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنٌ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
 وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ . فَأَنشَدَهُ أَلَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَ لَهُ
 بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ الْحَشْبَةَ تَحْتَ الْبُسْطَانِ مَكَانَ
 جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَأَلْتَنَهُ الْحَشْبَةُ
 فَهَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَّهُ فَرَأَى الْحَشْبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
 وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
 مَجْلِسِهِ فَأَلْتَنَهُ الْحَشْبَةُ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا
 رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْعَطَاءَ الزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ خَافَ
 أَنْ مَعْنًا يَرْاجِعَهُ عَقْلُهُ وَيَأْخُذَ الْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى
 مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَأَلْتَنَهُ فَخَطَرَ الشَّاعِرُ بِبَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ
 يُحْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
 سَافِرٌ . فَرَجَعَ وَخَبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافِرٌ اغْتَمَّ جَدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
 وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ اِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمُهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
 فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَتَرْكِ الشُّرْبِ فَأَبَيْتُ فَجَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فَمَا تَبَنِّي عَلَى شُرَيْيَ الْحَمَرِ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ : لَا تَدْخُلْ عَلَى
مُوسَى وَهَارُونَ ابْنَتَهُ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَا فَعْلَانَ بِكَ وَلَا صَنَعَنَّ
قُلْتُ : نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زُرْهَةٍ لَهُمَا . فَسُئِلَ بِهِمَا وَي
إِلَى الْمُهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَلَنِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَنِي فَجَرَدْتُ فَضَرِبْتُ
ثَلَاثِينَ سَوْطًا . فَهَلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي : إِنْ جُرِمِي لَيْسَ مِنْ
الْأَجْرَامِ الَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكُ دَمِي . فَلَمَّا قَالَتْ لَهُ هَذَا : ضَرَبَنِي
بِالسَّيْفِ فِي جَنْبِهِ فَشَجَّنِي بِهِ وَسَقَطْتُ مَغْشِيًا عَلَى سَاعَةٍ . ثُمَّ فَتَحْتُ
عَيْنِي فَوَقَعْتُ عَلَى عَيْنِي الْمُهْدِيُّ . قَرَأَتْهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ لِابْنِ مَالِكٍ :
خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
وَحَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شِدِيحًا بِالْقَبْرِ فَيَصِيرَ لِي
فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَخَهُ . فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لَيْسَكُنَ الضَّرْبَ . وَدَفَعَنِي
إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فَصِيرَتَنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَيْتُ بِاللَّزِّ وَبِالْبَقِ فِي ذَلِكَ
الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ أَسْتَرْجِعُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ : أَطْلُبِي لِي أَجْرَةً عَلَيْهَا
فَحَمُّهُ وَكُنْدُرٌ يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقُّ . فَأَتَتْنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَنْتُ أَظْلَمَ
الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْقَمْرِ . فَأَسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى النَّزْرِ
فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ اسْتَرَحْتُ مِمَّا
كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيَاتَانِ مُقْبِلَتَانِ مُخَوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
بِحَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَخْذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
بِيَدِي الْيُسْرَى فَمَا عَلَيَّ وَإِمَا لِي . ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا فَدَخَلَتَا مِنَ الثُّقْبِ الَّذِي

خَرَجْنَا مِنْهُ . فَمَكَثْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْحَبْسِ :
 أَلَا طَالَ لَيْلِي أُرَاعِي النَّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثِقِيلًا
 يَدَارُ الْقَوَانِ وَشَرِّ الدِّيَارِ أَسَامُ بِهَا الْحَسَفَ صَبْرًا حِمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ فَلَمَّا حُسِبْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لَطُولِ بَلَائِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنُنَّ خَلِيلُ خَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْهَمْدِيُّ وَأَحْلَفَنِي (بِكُلِّ يَمِينٍ لَا فَسْحَةَ لِي فِيهَا) أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أُغْنِيَهُمَا وَخَلَّى سَبِيلِي (الْإِغْنَاءُ)

المرأة المظلومة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَدَّهَمَ بِالْقِيَامِ امْرَأَةٌ عَلَيْهَا هَيْبَةُ السُّقْرِ وَعَلَيْهَا
 ثِيَابُ رَثَّةٍ . فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَنَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :

يَا خَيْرَ مُتَنَصِّفٍ يَهْدِي لَهُ الرُّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدُ الْقَوْمِ أَرْمَلَةً عَدَا عَلَيْهَا فَلَمْ يَتْرَكْ لَهَا سَبْدًا
 وَابْتَرَّ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظَلَمًا وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلَ وَالْوَلَدَ
 فَاطْرَقَ الْمَأْمُونُ حِينَئِذٍ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونِ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عَنِّي وَفَرَّحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَبْدُ
 هَذَا أَذَانُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَأَنْصَرِفِي وَأَحْضِرِي الْحَضَمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعَدُّ

وَالْجَلِيسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَ الْجُلُوسُ لَنَا نُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْجُلُوسُ الْآخِذُ
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْآخِذُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْخُصْمُ . فَقَالَتْ : الْوَأَقِفُ عَلَى رَأْسِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوَمَّتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
خُذْ يَدَيْهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَهَا جُلُوسَ الْخُصُومِ . فَجَعَلَ كَلَامَهَا يَتْلُو كَلَامَ الْعَبَّاسِ
فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : دَعِمَا
يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَخْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرَدِّ صَاحِبَتِهَا إِلَيْهَا . وَظَلَمَ
الْعَبَّاسُ بَظْلَمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكِتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِبَلَدِهَا أَنْ يُؤْغِرَ لَهَا
نَفِيعَتَهَا وَيُحْسِنَ مُعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِتَفَقُّةٍ

(لابن عبد ربه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَجْوَادِ الْكَرَامِ
فَنَزَلَ مَنْزِلًا . وَكَانَ مُنْصَرِّفًا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ . فَطَلَبَ مِنْ غُلَامَانِهِ
طَعَامًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَقَالَ لَوَكِيلِهِ : أَذْهَبَ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ فَأَمَّا لَكَ تَجِدُ
رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبَنٌ أَوْ طَعَامٌ . فَمَضَى بِالْغُلَامَانِ فَوَقَعُوا عَلَى عَجُوزٍ فِي حَيٍّ .
فَقَالُوا لَهَا : عِنْدَكَ طَعَامٌ نَبْتَاعُهُ . قَالَتْ : أَمَا طَعَامُ الْبَيْعَةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلَا بَنَاتِي . قَالُوا : فَأَيْنَ بُسُوكِ . قَالَتْ : فِي رِغْيٍ لَهُمْ
وَهَذَا أَوَانُ أَوْبَتِهِمْ . قَالُوا : فَمَا أَعَدَدْتَ لَكَ وَلَهُمْ قَالَتْ : خُبْزَةٌ تَحْتَ

مَلَّتْهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَا شَيْءَ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا
بِشَطْرِهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أُجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا
لَهَا : نَتَمَعِينَ النِّصْفَ وَنَجُودِينَ بِالْكُلِّ . قَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إعْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِصَةٌ . وَإِعْطَاءُ الْكُلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضَعُنِي
وَأَمْنَعُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا . فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَحْمِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ فَرَجَعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : أَنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَإِنَّهُ يُرِيدُكَ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَيُّكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَةُ الرَّفِيعَةِ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي .
قَالُوا : مُكَافَأَتُكَ وَبِرَّكَ . فَقَالَتْ : أَوَاهِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يُجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا إِلَى أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ . فَلَدًّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَمُنُّ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَسْهَرُ الْبَصَرِ
وَأَهْجَعُ الْكُتْرَ اللَّيْلِ وَلَا أَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . وَلَمْ يَكْ مِنْ الدُّنْيَا فَرَحٌ
إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَذْخَرْتُ لِيَيْكَ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :
أَذْخِرُ لَهُمْ مَا قَالَه حَاتِمُ طَبِي حَبْتُ قَالَ :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلَهُ حَتَّى آتَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ
فَارْزَادَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا تَعَجُّبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتُ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هَذَا لَقَدْ عَظُمْتَ عِنْدَكَ هَذِهِ الْخَبْرَةُ حَتَّى
 اكْتَرَتْ فِيهَا مَقَالِكَ . وَأَشْعَلَتْ بِهَا بَالَكَ . اللَّهُ عَنْ هَذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ
 النَّفْسَ وَيُوَثِّرُ فِي الْحِسَّةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَخْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا
 فَأَخْضَرُوهُمْ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ رَأَوْا أَنَّهُمْ وَسَلَّمَُوا . فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ :
 إِنِّي لَمْ أَطْلُبْكُمْ وَأَمَّا لَكُمْ لِمَكْرُوهِ وَإِنَّمَا أَحِبُّ أَنْ أَصْلَحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأَلَمْ
 شَمِّكُمْ . فَقَالُوا : إِنْ هَذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مَكَا فَاءٍ لِفَضْلِ
 تَقْدَمَ . قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَزْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْآلِيَةِ
 فَأَحْيَيْتُ أَنْ أَضْعَ بَعْضَ مَالِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هَذَا نَحْنُ فِي خَفَضِ عَيْشٍ
 وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجَّهْ نَحْوَهُمْ لِيَسْتَحْمَهُ . وَإِنْ أَرَدْتَ النَّوَالَ مُبْتَدَأً
 مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَقَدَّمَ فَعَرُوفَكَ مَشْكُورٌ وَبِرُّكَ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ
 ذَاكَ . وَأَمَّا لَهُمْ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتْ الْعُجُوزُ
 لِأَوْلَادِهَا : لِيُقِلَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ وَأَنَا أَتَّبِعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِجَسَنِ الْقَالِ وَصِدْقِ الْقَعَالِ وَطِيبِ الْخَبَرِ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَقَالَ كَرِيمٌ عَظِيمٌ الْخَطَرِ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقٌّ لِيَنْ كَانَ ذَا فِعْلُهُ بِأَنْ يَسْتَرِيقَ رِقَابَ الْبَشَرِ
 وَقَالَتِ الْعُجُوزُ :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ وَوَقَّيْتَ كُلَّ الرَّدَى وَالْحَذَرِ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَقَدْ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طُوقٍ وَكَانَ زَرِيَّ الْحَالِ رَثَّ
 الْمُهَيَّيَّةِ. فَمُنِعَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَيَّامًا. فَخَرَجَ مَالِكٌ ذَاتَ
 يَوْمٍ يُرِيدُ الثَّرْهَةَ حَوْلَ الرَّحْبَةِ. فَعَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ الشَّرْطَةَ
 أَزْدِرَاءَ بِهِ. فَلَمْ يَنْتَهِ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعَنَانٍ قَرَسِيهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ
 أَنَا عَائِدُكَ مِنْ شَرِّكَ. فَتَهَاكُمُ عَنْهُ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ
 مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ. قَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: أَنَّ تُصْنِي
 إِلَيَّ بِسْمِكَ. وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرَفِكَ. وَتُقْبِلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ. ثُمَّ أُنْشَدَ:
 بِبَايِكَ دُونَ النَّاسِ أَتَزَلُّ حَاجَتِي وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
 وَيَمْنَعُنِي الْحُجَابُ وَاللَّيْلُ مُسْبِلٌ وَأَنْتَ بَعِيدٌ وَالرِّجَالُ صُفُوفُ
 يَطُوفُونَ حَوْلِي بِالْقُطُوبِ كَأَنَّهُمْ ذِيَابُ جِيَاعٍ بَيْنَهُنَّ خُرُوفُ
 فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُثِيلًا تَرُدُّ أَمْرًا وَأَقَاكَ وَهُوَ لَهَيْفُ
 وَمَا لِي مِنَ الدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَا لِي نَرَكْتُ وَرَائِي مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانُ قَيْسُ وَخُنْدِيفُ وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
 تَخَطَّيْتُ أَغْزَاقَ الْمُلُوكِ وَرَحَلْتِي إِلَيْكَ. وَقَدْ أَخْنَتَ عَلَيَّ صُرُوفُ
 فَحَيْثُكَ أَنَبْنِي الْخَيْرَ مِنْكَ فَهَرَّنِي بِبَايِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صُفُوفُ
 فَلَا تَجْعَلَنَّ لِي نَحْوَ بَايِكَ عَوْدَةً فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ نَحْوُفُ
 فَأَسْتَضِيحَكَ مَالِكُ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ قَرَسِيهِ. ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا يَدِرْهَمَيْنِ وَتَوْبًا يَتَوَبَّانِ . فَنَثَرَتْ الدَّرَاهِمُ
وَوَقَعَتِ الثِّبَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحْيَرَ الْأَعْرَابِيُّ وَأَخْتَلَطَ
عَقْلُهُ كَثْرَةً مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَا لَكَ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا
الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فَأَيُّ مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ
يُبْقِيَكَ لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَرَالُ يُخَيِّرُ مَا بَقِيََتْ لَهَا (للقليوبي)

الخارجي والمعتصم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ
يَكْتَرِثْ بِهِ إِلَّا تَيْمِ بْنِ جَمِيلٍ الْخَارِجِيِّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ
وَرَأَيْتُهُ قَدْ حَيَّاهُ بِهِ أَسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مُؤَكَّبٍ وَقَدْ جَاسَ
الْمُعْتَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلَسًا عَامًّا وَدَعَا بِالسَّيْفِ وَالنُّطْعِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَقَدُّهُ وَمَشِيَّتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
بِهِ . فَأَطَالَ الْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَاغَتِهِ فَقَالَ :
يَا تَيْمِ إِنْ كَانَ لَكَ عَذْرُ فَاتِ بِهِ . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا أَدِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
(جَبَرُ اللَّهِ بِهِ صَدْعَ الدِّينِ . وَلَمْ شَعَبَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَخَذَ شِهَابَ الْبَاطِلِ .
وَأَنَارَ سُبُلَ الْحَقِّ) . قَالَ ذُوبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ وَتَصْدَعُ
الْأَفئِدَةَ . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجُرِيرَةُ وَأَنْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ . وَسَاءَ الظَّنُّ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغَفْوُ أَوْ الْإِنْتِقَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْغَفْوِ وَهُوَ
أَلْيَقُ شَيْبِهِ الطَّاهِرَةِ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنُّطْعِ كَأَيْنَا يَلَا حِظْنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفْتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَجْهِي
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي
وَلَكِنْ خَافِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَتَى إِلَيْهِمْ
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ يَنْبُطُهُ
قَالَ فَبِكِي الْمُعْتَصِمُ وَقَالَ : إِنْ مِنْ أَلْيَانٍ لَسِخْرًا . ثُمَّ قَالَ : كَادَ
وَاللَّهِ يَا نَجِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السَّيْفُ الْمَذَلَّ وَقَدْ وَهَبْتُكَ لِلَّهِ وَلِصَبِيَّتِكَ
وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
(ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلا استغاث به وكان خائفا على دمه فجزى على احسانه

٣١٨ حكى العباسُ حَاجِبُ الْمَنْصُورِ قَالَ : لَمَّا مَلَكَ الْعَبَّاسُ السَّفَّاحُ
الْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَاسْتَوَلَى عَلَى الْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ
جَمِيعِ الْبِلَادِ . فَبَعْدَ مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَجَعَ الْمُتَعَصِّبُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَانْأَرَوْا فِتْنَةً
عَظِيمَةً فِي الشَّامِ . وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ
وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ . فَقَامَ الْأُمَوِيُّونَ عَلَى
الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . وَبَلَغَنِي الْخَبَرُ وَأَنَا
مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لَا يَتَّبَعُ شَيْئًا أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَذْرَكُونِي . فَهَرَبْتُ
وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ بَابَهَا مَقْتُوحًا فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا مَهِيْبًا جَالِسًا
فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ : خَافْتُ عَلَى دَمِي وَقَدْ أَذْرَكُهُ الطَّلَبُ . فَقَالَ :

مَرْحَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَدْخُلْ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ
 وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حُرْمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ
 لِي: قُمْ أَسْلُخْ مَا عَلَيْكَ وَالْبَسْ هَذِهِ الثِّيَابَ لِأَتِي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
 شَدِيدًا. فَلَبَسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ أَدْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حُرْمِهِ وَجَعَلَنِي
 بَيْنَهُنَّ. فَمَا لَيْتُ قَلِيلًا أَنْ طُرِقَ بَابُ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي
 طَلَبِي. فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي
 حُرْمِي. ثُمَّ زَلَّ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ: إِنَّهُ
 لَمْ يَرْنِي. فَقَالُوا لَهُ: نَفِثْ بَيْتَكَ فَقَالَ لَهُمْ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ. فَدَخَلَ
 الْقَوْمُ وَنَفِثُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حُرْمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
 شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحُ مِنْ تَأْنِيْسِي وَتُجَالَسِي وَإِكْرَامِي
 مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ
 الْحَقَاقَ بَوَلِي نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَّا إِذَا شِئْتَ فَأَمُضْ مُعَايَ. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
 لِي زَادًا كَثِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسِمِائَةُ دِينَارٍ وَقَالَ لِي:
 كُلُّ أَحْتِيَاجِ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنَ
 الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتَعْرِفَ فَأَهْلُ إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ.
 فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ الرَّأْيَ رَأَيْتُكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمْتُ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ
 مَعِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِيَ مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ. فَودَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَمُتَّحِبًّا مِنْ غَزَارَةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بُغْدَادَ وَلَحِقَتْ بِأَبِي جَمْفَرٍ
الْمَنْصُورِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي أَتَقَهَّرَ الْعَمِيقُ وَخَرَجْتُ
مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ. قُلْتُ : لَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ : خُذْ
هَذَا الرَّجُلَ وَاحْتَفِظْ بِهِ وَغَدَا أَتَيْتَنِي بِهِ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ فَقِدَ مِنْكَ فَلَا
أَرْضَى إِلَّا بِعُنُقِكَ. قُلْتُ : سَمِعًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَنَظَرْتُ
فَوَجَدْتُ أَمَامَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ شَيْخًا مُقِيدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ
فَأَخَذَهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَزْكَبْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي . وَلِكثَرَةِ حِرْصِي
عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غِلْمَانِي وَأَمَرْتُهُمْ فَفَرَشُوا لَنَا
مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرَفَ
قَيْدِهِ فِي رِجْلِي وَطَبَّقْتُ عَلَيْهَا . كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرَبَ
فَيُرْوَحَ عُنُقِي . فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غِلْمَانِي فَجَاءُوا
بِالْمَاءِ يَدِيهِ وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ . فَجَلَسْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
أَيْدِيَنَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ صَحِرَتْ مِنَ السَّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيُفَكِّرُ فِي
شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ آيِنَ هُوَ فَقَالَ : مِنَ الشَّامِ. قُلْتُ : أَتَعْرِفُ فَلَانَا أَلْعَلَّانِي
فِي الشَّامِ. فَقَالَ : مَا أَحَدٌ أَعْرَفَ بِهِ مِنِّي لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْهُ. فَقُلْتُ لَهُ : لِأَنِّي
أَسِيرٌ مَعْرُوفُهُ وَعَبْدٌ إِحْسَانِهِ. وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِيَ فِي زَمَانِ قَيْدِهِ الشَّامِ .
فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ . فَطَارَ عَقْلِي مِنْ

رَأْسِي فَرَحًا بِهِ فَعَجَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحْقُقَهُ فَعَمْتُ حِينَئِذٍ وَكَسَّرْتُ
أَقْقَالَ قُبُودِهِ وَهُوَ يَتَّبِعُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرْتُ الْعُلَمَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ
ثِيَابًا فَأَبَى لُبْسَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَبِسَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : مَا مَرَادُكَ أَنْ تَعْمَلَ لِي .
قُلْتُ : وَاللَّهِ أَنْقِذْكَ حَتَّى تَصِيرَ بَعِيدًا عَنْ بَغْدَادَ يَمْرَاحِلَ وَتَذْهَبَ فِي
حَالِ سَبِيلِكَ . فَقَالَ : أَسْمَعُ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّائِبُ لِأَنَّكَ إِذَا
مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَمْتَلِكُ وَأَنَا مَعَآذُ
اللَّهِ أَنْ أَشْتَرِيَ سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَنْبُكَ
أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَتَهْمُونِي زُورًا بِأَنِّي أَنَا الَّذِي حَرَكْتُ
الْفَتَنَ فِي الشَّامِ وَأَنْ لِبْنِي أُمِّيَّةٌ عِنْدِي وَدَانِعٌ . فَقُلْتُ : حَيْثُ إِنَّ هَذَا
قَطْعُ جُرْمِكَ وَاللَّهِ إِنِّي أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أَبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي . فَإِنْ إِحْسَانُكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جَدًّا . فَقَالَ لِي :
لَا تَقْنِ أَنْنِي أَطَاوَعُكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصُوبٌ وَهُوَ :
دَعْنِي مُحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَمْضِ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا شِئْتَ مِنْ هَرَبِي .
فَإِنْ عَفَا عَنْكَ فَعُدْ إِلَيَّ وَأَطْلِقْنِي فَأَهْرُبُ وَإِنْ أَمَرَ بِقَتْلِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَكُونُ أَنَا فِي أَمْرِكَ فَتُحْضِرُنِي وَتَفْتَدِي نَفْسَكَ . وَعَدَا هَذَا لَا أَرْضِي
مَعَكَ بِشَيْءٍ (قَالَ) فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَبِي إِلَا هَذَا وَضَعْتُهُ فِي مَقْصُودَةٍ
خَفِيَّةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكُرْتُ إِلَى دَارِ الْحِلَافَةِ . فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
النُّصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي . فَلَمَّا رَأَى وَحْدِي قَامَ عِرْقُ الْغَضَبِ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ النَّارِ غِيظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي : هَيْه

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَفَعَلَ مَعِيَ كَذَا وَكَذَا
مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فَأَلْتَزَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أَطْلُقَهُ أَمَلًا بِحِلْمِكَ
وَأَتَكَلَّأَ عَلَى كَرَمِكَ . قَالَ : قَرَأْتُ وَجْهَ الْمُنْصُورِ قَدْ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي :
لِحَاكِ اللَّهُ يَا عَبَّاسُ . أَيْفَعَلُ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ فِي
زَمَنِ الْقِسَّةِ وَتُطْلِقُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنِي بِإِحْسَانِهِ لِنُفُومِ يَا كَرَامِهِ وَنَجْوَاهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمُنْصُورُ يَتَأَسَّفُ وَيُفْرِكُ يَدَيْهِ تَحْسِرًا
وَيَقُولُ : أَيْذَهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمِ مَعْرُوفِهِ وَاللَّهُ إِنَّهَا لَكَبِيرَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا بِي
وَأَتِي إِنْ الرَّجُلَ مُوجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَبَى أَنْ يَهْرَبَ لِحَوْفِهِ عَلَى عُنُقِي
مِنْكَ . فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مُحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَتِيكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتُ وَإِلَّا رَجَعْتُ فَأَحْضَرْتُهُ . فَأَسْتَبَشَرَ وَجْهَ الْمُنْصُورِ وَضَرَبَ
بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ يُسَاوِي مِقْدَارَ سَالِفِ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ
إِلَيْكَ . فَأَمْضُ مُسْرِعًا وَأَتِيَنِي بِهِ مَكْرَمًا مُوقِرًا . فَمَضَيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي
وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَضَلَّ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ
حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْصُورِ فَمِنْ رَأَاهُ رَحِبَ بِهِ وَاجْلَسَهُ
بِحَبَانِهِ وَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خَلْعًا نَفِيسَةً وَقَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ .
وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُؤَلِّيه الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأَطْلَقَهُ الْمُنْصُورُ مُوقِرًا
وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْكُتُبَ لِوَلَاتِهِ يَا مُرْهُمُ يَا كَرَامِهِ وَالْقِيَامَ بِحَوَاشِيهِ (لِلتَّالِيَةِ)

أَلْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ
فِي الْمَكَاهَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ابْنُ خُرُوفٍ الشَّاعِرُ إِلَى ابْنِ شَدَادٍ بِحَلَبٍ يَطْلُبُ مِنْهُ فُرُوزَةَ :

بِهَاءِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَنُورِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ
طَلَبْتُ خَفَاةَ الْأَنْوَا مِنْ جَدِّكَ جَلْدَ أَبِي
وَفَضْلِكَ عَالِمُ أَبِي خُرُوفٍ بَارِعُ الْأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلْيِي

٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَنشَدَهُ :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دِينِي
فَكَانَ بِنَفْسِي الْحَزْ فِيهَا وَسَاجُ نَاعِمٍ فَأَتَمَّ زِينِي
فَصَدَّقَ يَا فَدَتَكَ النَّاسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ : لَا تُعَدِّ فَتَحْلَمْ فَأَجْعَلَ جِلْمَكَ أَضْعَافًا (لِلْأَزْدِي)

سيد العرب

٣٢١ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ أَعْرَافِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ وَتَقُولُ :

فَمَنْ لِسُؤَالٍ وَمَنْ لِلنَّوَالِ وَمَنْ لِمَعَالِي وَمَنْ لِلْخُطْبِ
وَمَنْ لِلْحِمَاةِ وَمَنْ لِلْكِمَاةِ إِذَا مَا الْكِمَاةُ جَشُوا لِلرُّكْبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ
فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَ لَا كُلُّهُمْ يَمُوتُهُ . فَبَكَتْ

وَقَالَتْ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ الْحَجَّامُ خَنُّ أَبِي مَنْصُورٍ الْحَائِكِ . فَقُلْتُ : لَا جَائِزَ لِي اللَّهُ خَيْرًا . وَاللَّهُ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِتَغْدَادَ عَلَى الطَّرِيقِ بِأَخْبَارِ
وَنَوَادِرَ مُتَوَعَّةٍ . وَكَانَ نِهَازَةً فِي الْحِذْقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا
يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَصْحَبِكِ النَّاسَ وَأَتَنَادَرُ
فَحَضَرَ خَلْفِي بَعْضُ خُدَّامِ الْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ الْحَدَمِ فَأُعْجِبَ
بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوْقَ قَفَّتِ بَيْنَ
يَدَيَّ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتِكَ فَضَحَكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ
وَبِكَ . فَقُلْتُ : عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يَعْرِفُ بِابْنِ الْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ
وَنَوَادِرِ ضَحْكَ الْكُؤُولِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي يَصِفَ جَائِزَتَكَ .
فَطَمَعْتُ فِي الْجَائِزَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَى عَيْلَةٍ فَلَوْ
أَخَذْتَ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ
يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَظَنَرْتُ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَاقِفٌ ثُمَّ أَطْبَعَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَاغِي أُنْكَ
تَحْكِي وَضَحْكَ نَوَادِرَ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجَةُ تَفْتَقُ
الْحِيلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَتَمِسُّ بِرَّهْمٍ .
فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْزَلَ ثَلَاثِينَ دِرْهَمٍ وَإِنْ
أَنَا لَمْ أَضْحَكَ أَصْفَعَكَ بِذَلِكَ الْخِرَابِ عَشْرَ صَفْعَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْنَعُ إِلَّا بِشِيءٍ لَيْنٍ خَفِيفٍ . وَأَلْتَقْتُ فَإِذَا بِجِرَابٍ مِنْ
أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ أَلْيَتٍ . فَقُلْتُ : مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رَيْحٌ .
إِنْ أَصْحَكْتُهُ رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَشْرُ صَفْعَاتٍ بِجِرَابٍ
مَنْفُوخٍ شَيْءٌ هَيْنٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النَّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالنَّفَاسَةِ
وَالْعِبَارَةِ . فَلَمْ أَدْعُ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا تَحْوِيٍّ وَلَا مُنْخَثٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا
نَبْطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تَرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِيَّارٍ
وَلَا نَادِرَةٍ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَهَيْتُ كُلَّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
رَأْسِي . وَقَتَرْتُ وَبَرَدْتُ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا
مِنْ الضَّحْكَ . وَهُوَ مُقَطَّبٌ لَا يَتَبَسَّمُ . فَقُلْتُ : قَدْ نَهَيْتُ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هِيَ مَا عِنْدَكَ . فَقُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى
نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِهَا . قُلْتُ : وَعِدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ
صَفْعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي فَتُضَعِّفَ إِلَيْهَا عَشْرَ صَفْعَاتٍ أُخْرَى .
فَارَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَمَاسَكَ وَقَالَ : نَفْعٌ . يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ . ثُمَّ مَدَدَتْ
ظَهْرِي فَضَعَفْتُ بِالْجِرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ .
وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصَاً مُدَوَّراً فَضَعَفْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفِصِلَ رَقَبَتِي
وَطَلَّتْ أُذُنَايَ وَأَنْقَدَحَ الشُّعَاعُ مِنْ عَيْنِي . فَصَحْتُ : يَا سَيِّدِي تَعِيجَةٌ .
فَرَفَعَ الصَّعْغَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ نَصِيحَتَكَ . فَقُلْتُ :
يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَفْجَعُ مِنَ الْحَيَانَةِ .
وَقَدْ صُمِنْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَدْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قُلَاهَا وَكُثْرَاهَا .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أَضْعَفَهَا . وَقَدْ أَسْتَوْفَيْتُ نِصْفِي وَبَقِيَ
نِصْفُهُ . فَصَحَّحْتُ حَتَّى اسْتَأْنَقِي وَأَسْتَفْزَهُ مَا كَانَ سَمْعًا . فَتَحَامَلَ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ بِيَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَفْخَصُ بِرِجْلَيْهِ وَيَمْسِكُ بِمِرَاقِ بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ فَأَتِي بِهِ . وَأَمَرَ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جَنَاتِي . فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ جَائِزَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ أَسْتَوْفَيْتُ
نِصْفِي مِنْهَا وَبَقِيَ نِصْفُكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعُ وَطَرَقَ قَفَاهُ الْوَقْعُ أَقْبَلْتُ
الْوَمَةَ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِلٌّ وَشَكُوتُ إِلَيْكَ الْحَاجَّةُ
وَالْمُسْكَنَةُ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدُسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا أَخُذُ
إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ جَائِزَتُهُ
الصَّفْعُ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى الصَّحْحِ مِنْ عِتَابِي لِلْحَادِمِ . فَلَمَّا
أَسْتَوْفَى نِصْفَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ . وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعْدَدْتُهَا لَكَ فَامْ يَدْعُكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَخْضَرْتَ شَرِيكًَا لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَيُّ الْأَمَانَةِ . فَفَسَمَّيَا بَيْنَنَا وَأَنْصَرَفْتُ (للشريشي)

ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ وَابْنِ
جَامِعٍ : بَاكِرُونِي عَدَا وَلِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَغَنَّى فِيهِ لَحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا غَنَى فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : فَهَمْتُ فِي السَّحْرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَضْعُهُ فَلَمْ يَنْفِقْ لِي . فَلَمَّا خِفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ بَغْلًا لِي وَقُلْتُ لَهُمْ :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُنِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكَاثُوا فِي رُبَيْدِيَّاتٍ لِي يَسْتُونُ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . فَكُنْتُ فُرَكِبْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْهَمْ حَتَّى يُدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَأَعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فَلَمْ
يَزَلْ يَفْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْسَخَ فِي قَلْبِهِ . فَجِئْتُ حَتَّى
وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يَدُدُّ صَوْتًا أَعَدَّهُ . فَأَزَلْتُ وَاقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخَذْتُهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَاسَنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْحَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبْنُ أُمِّي غَنِي . فَأَنْدَفَعْتُ
فَغَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَالْمُوصِلِي فِي الْمَوْتِ حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَوُتِبَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِي فَخَافَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةُ وَغَنَى فِيهِ مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ ابْنُ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبُهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرِبُ وَيَضْجُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : أَلْحَقْ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ وَصْدَقْتُهُ . فَقَالَ لِلْمُوصِلِي : أَمَّا أَخِي
فَقَدْ أَخَذَ أَمْوَالًا وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ (الْأَغَانِي)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُرْدُ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ أَشْتَدَّتْ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عَلْقَمَةَ التَّيْمَدِيِّ : أَمَدِدْنَا بِحَيْلِ
التَّيْمَدِيِّ . وَقُلْ لَهُمْ : أَعِيرُونَا بِجَمَاعِكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

جَمَاعِهِمْ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ فَمَارَ . وَأَعْنَقَهُمْ لَيْسَتْ بِكَرَّاثٍ قَتَبَتْ . وَقَالَ :
يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَغِيرُ جُرْمٍ تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بِنَا أَلِرَّاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّاسِ رَأْسُ
ثَقِيلٌ وَظَرِيفٌ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثَّمَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الطُّرَفَاءِ حَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى أَرَمَهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى حَمَلٍ خُذْ وَأَنْصَرِفْ أَلْهَى جَمَلٍ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطْلٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلٌّ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ قُلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلٌ
قَالَ هَذَا فَاصْتَبُوا إِذْنًا عَلَيْكُمْ لِي سِجِلٌ
قُلْتُ لَهُ أَلْهَى سِجِلٍ قَاضِمِينَ لَنَا أَنْ تَرْجُلُ
قَالَ تَرَى أَضَجَرْتُكُمْ قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَرَمْتُكُمْ قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثَقَلْتُكُمْ قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ قُلْتُ أَلْعَجَلُ ثُمَّ أَلْعَجَلُ

يَا كَوَّابَ الشُّومِ وَمَنْ أَرَبَى عَلَى نَحْسِ رُحْلِ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِنْ ظَرِيفٍ مَا جَرَى لِسَانُ بَنِ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي امْتِحَانِ
الْأَطِبَاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِجٌ
الْبَشَرَةَ وَالْهَيْبَةَ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ
وَرَفَعْتَهُ. ثُمَّ أَلْفَتَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْدَ الْحِفَظِ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي الصِّلَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرُ صَالِحَةٍ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأُ شَيْئًا جَمَلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَارُهُ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعُهُ عَنِّي. فَصَحَّحَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةٍ أَنَّكَ
لَا تَهْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِقَصْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهِلٍ إِلَّا
بِمَا قُرِبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَعْدَيْتُ
السُّكَّانِيَّ وَالْجَلَّابَ. وَأَنْصَرَفَ. وَأَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْبَرَةِ مَلِجٌ الْوَجْهَ ذَكِيٌّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَنْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَتَجَاوَزْهُ. وَأَنْصَرَفَ مُصَاحِبًا (لأبي الفرج)

حناء ابى القاسم الطنبوري

٣٢٧ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ رَجُلٌ اسْمُهُ أَبُو الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيُّ .
وَكَانَ لَهُ مَدَاسُ صَارَ لَهُ وَهُوَ يَلْبِسُهُ سَبْعَ سِنِينَ . وَكَانَ كُلَّمَا تَقَطَّعَ
مِنْهُ مَوْضِعٌ جَعَلَ مَكَانَهُ رُقْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ فِي غَايَةِ الثَّقَلِ وَصَارَ النَّاسُ
يَضْرِبُونَ بِهِ الْأَثْلَ . فَأَتَفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا سُوقَ الزُّجَاجِ . فَقَالَ لَهُ
سِمْسَارٌ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبٍ وَمَعَهُ خَمَلُ
زُّجَاجٍ مُذْهَبٍ قَدْ كَسَدَ فَأَشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أَيْعُهُ لَكَ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ
فَتَكْسِبُ بِهِ الْإِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَضَى وَأَشْتَرَاهُ بِسِتِينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ
إِلَى سُوقِ الْعَطَّارِينَ فَصَادَقَهُ سِمْسَارٌ آخَرُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ
قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ نَصِيبِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءٌ وَرَدٍ فِي غَايَةِ الطَّيْبَةِ
وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَاهْجَلْهُ سَفَرِهِ يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِصًا وَأَنَا
أَيْعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدَ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْإِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَضَى أَبُو
الْقَاسِمِ وَأَشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَأَهُ فِي الزُّجَاجِ
الْمُذْهَبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصَّدْرِ .
ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَغْتَسِلُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا
الْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هَذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ
وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ : الْحَقُّ مَعَكَ
فَأَلْسَمْتُ وَالطَّاعَةَ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ رَأَى بِجَانِبِ
مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبِسَهُ

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَاسُ الْجَدِيدُ مَدَاسُ الْقَاضِي جَاءَ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَامِ وَوَضَعَ مَدَاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحْمَ . فَلَمَّا
خَرَجَ فَتَسَّ عَلَى مَدَاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانَنَا أُتْرُونَ أَنَّ
الَّذِي لَيْسَ مَدَاسِي لَمْ يَتْرَكَ عَوْضَهُ شَيْئًا . قَفَقَتْشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى
مَدَاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ .
فَارْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فَاكْبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ .
فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيًّا لَهُ وَحَبَسَهُ مَدَّةً
وَعَرَمَهُ بَعْضُ أَمْوَالٍ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ
مَدَاسَهُ وَهُوَ غَضَبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةٍ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَنَاصَ فِي
الْمَاءِ . فَاتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا الْمَدَاسَ . فَلَمَّا
رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَالظَّاهِرُ
أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةٍ . فَحَمَلَهُ وَاتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ .
فَنَظَرَ فَرَأَى طَائِفَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ أَلَيْتٍ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى أَلَيْتٍ
فَسَقَطَ عَلَى الرِّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ
وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ
فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَاقْتَرَاهُ أَفْقَرَنِي هَذَا الْمَدَاسُ
الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيُخْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَدَّ تَاحَ مِنْهُ .
فَسَمِعَ الْجِيرَانُ حَسَّ الْحُفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ . فَرَفَعُوا الْأَمْرَ
إِلَى الْحَاكِمِ فَارْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَاعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِيلُ

أَنْ تَنْقُبَ عَلَى حَبْرَانِكَ حَايِطَهُمْ وَحَبْسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضُ
 الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَجَمَلَهُ
 إِلَى كَنَيْفِ الْحُثَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَ قَصَبَةُ الْكَنَيْفِ فَقَاضَ وَخَجِرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ . فَفَتَّشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 فَتَأَمَّلُوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَبَّخَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ
 الْكَنَيْفِ فَقَرِمَ جَمَلَةٌ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيًا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُعْتَاطٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ رَمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ فَأَلَمَهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَلِيغًا . فَنَظَرُوا
 وَفَتَّشُوا لِمَنِ الْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَرَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَاظِمِ الْمَجْرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَتَمَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مُبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كَلَامًا مَنَابِرِي مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا يَفْعَلَهُ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي النُّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حكي أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُقَلَّةَ الَّذِي
أَنْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِمُلُوكِ الْخَطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ غَدَرَ الْمَلِكَ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَتَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مُقَلَّةَ وَرَدَّهِ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ يُهْنُونَهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَعْتَذِرُونَ . فَأَنْشَدَ :

تَحَالَفَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَحِثُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي الْأَهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَأَنْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيَسْرَى بَقِيَّةَ عُمْرِهِ . وَلَمْ يَتَغَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبند

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ قَاصِدًا بِلَادَ
الْأَذْفَنَشِ . فَتَزَلَّ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ لَسَمَى وَبَدَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَذْفَنَشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَرَحَّ بِهِمُ الْعَطَشُ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَطَاعَهُ فِيهِمْ مَا نُقِلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةٍ عَطَشِهِمْ وَكَثْرَةِ
مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَبْسُوْا مِمَّا عِنْدَهُ سَمِعَ لَهُمْ بَعْضَ اللَّيَالِي لَعَطُ عَظِيمٍ
وَجَلْبَةَ أَصْوَاتٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنَا جِيلَهُمْ وَاجْتَمَعَ فَيَسِيْسُوهُمْ
وَرَهْبَانَهُمْ يَدْعُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِأَقِيمِهِمْ . فَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْقَرَبُ مَلَأَ مَا كَانَ
عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّهَارِ يَج . فَشَرِبُوا وَارْتَوَوْا وَتَقَوَّوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ . فَأَنْصَرَفَ
عَنْهُمْ الْحَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ الْأَذْفَنَشَ (الْمُرَّاكَشِي)

مشهد الحسين

٣٣٠ . وَمِنْ عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مَضَرِ الشَّهَدِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ
حَيْثُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِصَّةٍ مَذْفُونٌ قَدْ بُنِيَ عَلَيْهِ
بُنْيَانٌ يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنْهُ . مُجَلَّلٌ بِأَنْوَاعِ الدِّيَابِجِ مَخْفُوفٌ بِأَمْثَالِ الْعَمَدِ
الْكِبَارِ سَمْعًا يَبْضَاءُ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ الْقُصَّةِ . وَخُفَّ أَعْلَاهُ
كُلُّهُ بِأَمْثَالِ التَّفَافِيجِ ذَهَبًا فِي مَصْنَعٍ شَبَّهِ الرُّوضَةِ . يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ
حُسْنًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ الرُّخَامِ الْمَجْزَعِ الْغَرِيبِ الصَّنْعَةِ الْبَدِيعِ
الْتَّرْصِيعِ مَا لَا يَخْتَلُهُ الْمُتَحَلِّوْنَ . وَالْمُدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مَسْجِدٍ عَلَى مِثْلِهَا
فِي التَّائِقِ . حِيطَانُهُ كُلُّهَا رُخَامٌ . وَأَغْرَبُ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي الْجِدَارِ
الَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ الدَّاخِلُ شَدِيدُ السَّوَادِ وَالْبَصِيصُ يَصِفُ الْأَشْخَاصَ
كُلُّهَا كَأَنَّهُ الْمِرَاةُ الْهِنْدِيَّةُ . وَلَتَرَاحِمُ النَّاسِ عَلَى الْقَبْرِ وَأَنْكِبَاهِهِمْ عَلَيْهِ
وَتَمْسُحُهُمْ بِهِ وَيَا الْكُسُوةَ الَّتِي عَلَيْهِ مَرَأَى هَائِلٌ (الشَّرِيشِي)

٣٣١ نُسَخَةُ مَبَايِعَةِ مَلِكٍ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ الْوَرْدِيِّ نَظْمًا :

بِاسْمِ إِلَهِ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ سَنَقَرَا
مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْرَقِ كِلَاهُمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جِلْقِ
قَبَاعِهِ قِطْعَةً أَرْضٍ وَقَعَهُ بِكُورَةِ الْغُوطَةِ وَهِيَ جَامِعَةٌ
لِشَجَرٍ مُخْتَلِفِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَرْضُ فِي الْبَيْعِ مَعَ الْغِرَاسِ
وَذَرْعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذِّرَاعِ عِشْرُونَ فِي الطُّولِ بِلَا زِرَاعٍ
وَذَرْعُهَا فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعٌ بِالْيَدِ الْمُقْتَبَرَةِ
وَحَازِرُ الرُّومِيِّ حَدُّ الْمَشْرِقِ وَمِنْ شِمَالِ مَلِكٍ أَوْلَادِ عَلِيٍّ
يَعْنِي صَحِيحًا لَا زِمًا شَرْعِيًّا وَالْغَرْبُ مَلِكُ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلٍ
لَا شَرْطَ فِيهِ قَاسِدٌ فَيُطْلَقُ ثُمَّ شِرَاءٌ قَاطِعًا مَرْعِيًّا
شَيْنٌ مَبْلُغُهُ مِنْ فِضَّةٍ وَلَا خِيَارَ لَهَا يُدَاخِلُهُ دَرَاهِمُ جَيِّدَةٌ مُبَيَّضَةٌ
قَبْضُهَا أَلْبَانُ مِنْهُ وَافِيَةٌ وَعَادَتِ الذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَةٌ
وَسَلَّمَ الْأَرْضَ إِلَى مَنْ اشْتَرَى قَبْضُ الْقِطْعَةِ مِنْهُ وَجَرَى
بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ الْفَرَقُ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَعَلَّقُ
وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَاكَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَجَزَانَ الْأَشْرَفِ
مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةِ لِلْهِجْرَةِ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةِ تَلِي وَعَشْرَةَ

مروءة اسماعيل الهزرجي

٣٣٢ تَارَعَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قَرَابَةِ ابْنِ تَوَمَرْتٍ وَاتَّهَوْا

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْعَ رَأْيَهُمْ وَرَأَى مِنْ وَافَقَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خِبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ. وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُخْفِي
 مِنْ أَمْرِهِمْ. وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُتِلَ وَلَمْ يُعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ. لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذَا كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ. وَقَرَأَتْهُ وَأَوَّلَى النَّاسِ بِهِ.
 فَأَعْلَمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ ثَوْرٍ مِنْ خِيَارِهِمْ.
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ بُحَيٍّ الْهَزْرَجِيُّ. فَأَتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَجَمِيعُ حَوَائِجِكَ
 عِنْدَنَا مُقْضِيَةٌ. قَالَ: أَنْ تَخْرُجَ عَنْ هَذَا الْخِبَاءِ وَتَدْعَنِي أَيْتُ فِيهِ وَلَمْ
 يُعْلَمْهُ بِمَرَادِ الْقَوْمِ. فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْخِبَاءَ لِأَنَّهُ
 أَعْجَبُهُ فَمَخْرَجُ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ. فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أُولَئِكَ الْقَوْمُ قَتَلُوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى يَرَدَّ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ قَرَأُوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مُرَاكِسَ وَرَأَوْا الْقِيَامَ
 بِهَا. فَأَتَوْا الْبَوَّابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْفُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ.
 فَضَرَبُوا عَنْقَ أَحَدِهِمْ وَفَرَّ بِاقِيهِمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْفُصُورِ.
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَمِيدُ فَمَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. ثُمَّ إِنَّ الْعَمِيدَ غَلِبَهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ. وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَّرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَخَذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
 فَصَدُّوا وَجِعُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مُرَاكِسَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا. وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَّغَةَ بَلَّغَهُ أَنَّهُمْ

قَادُ حُونَ فِي مُلْكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبرْهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الْمُنْتَدِمُ
الذِّكْرُ فِي الْحُبَاءِ مَقْتُولًا عَلَى الْحَالِ أَلْتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَاكِ إِلَى حِيزِ الْجَنْعِ .
فَأَصْرَ يَغْسِلُهُ وَتَكْفِيئَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدُفِنَ الْعَبْدُ الْوَاحِدُ الْمُرَاكِنِي

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةِ حَاتِمٍ : أَصَابَتْ بَنَاتُهُ أَقْشَعَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغْبَرَتْ أَفْقُ السَّمَاءِ . وَرَاحَتْ الْأَيْلُ حَذَبَاءَ حَدَابِيرٍ . وَضَتَّ الرَّاغِبُ
عَلَى أَوْلَادِهَا قَامًا تَبْضُ بِقَطْرَةٍ وَأَيَقُنًا بِالْهَلَاكِ . فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَقِي لَيْلَةً صَنِيرَ
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ إِذْ تَضَاعَى صَبِيئَتَا جَوْعًا عَبْدُ اللَّهِ وَعَدِي وَسَفَانَةٌ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّينَ وَقَبْتُ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللَّهِ لَأَسْكُنُوا إِلَّا بَعْدَ
هَذَانِ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يَعْلَمُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَنَاقَوْتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَ الْجُحُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَسَرَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ . فَقَالَ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارَتُكَ فَلَانَةٌ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَتَعَاوُونَ عَوَاءَ
الذِّئْبِ فَمَا وَجَدْتُ . مَوْلَا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِي . فَقَالَ : أَعْجَلِيهِمْ فَقَدْ
أَشْبَعَكَ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمْشِي جَنَابَهَا
أَرْبَعَةً كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا . فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَأَ لَبْتَهُ بِمُدَّةِ
فَحْرٍ . ثُمَّ كَسَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اللَّحْمِ نَشْوِي وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمْشِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا
بَيْتًا يَقُولُ : هُبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَانْتَفَعَ فِي ثَوْبِهِ

نَاجِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْنَا . فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مَرْعَةً وَإِنَّهُ لَأَخْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا .
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَيَّ الْأَرْضُ مِنَ الْفَرَسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ . فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :
مَهْلًا نَوَارُ أَقْلِي اللَّوْمُ وَالْعَدْلَا وَلَا تَقُولِي لِسِيءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلَكُهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبَادَ
يَرَى الْبَيْخِلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنْ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

إِثَارُ ابْنِ مَامَةَ الْيَادِي

٣٣٤ خَرَجَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْيَادِي فِي قَفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّمِرِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَخَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا
يَتَصَافَتُونَ الْمَاءَ . وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْقَعْبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ بِقَدَرٍ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدَرًا مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ .
وَلَمَّا تَزَلُّوا لِلشَّرْبِ وَدَارَ الْقَعْبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى كَعْبٍ رَأَى
الرَّجُلَ النَّمْرِيَّ يُحَدِّثُ نَظْرَهُ إِلَيْهِ . فَأَثَرَهُ بِمَائِهِ وَقَالَ لِلسَّاقِي : أَسْقِ
أَخَاكَ النَّمْرِيَّ فَشَرِبَ النَّمْرِيَّ نَصِيبَ كَعْبٍ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ
تَزَلُّوا مِنْ الْغَدِ مَنْزِلَهُمْ الْآخَرَ فَتَصَافَتُوا بِقِيَّةِ مَا بَقِيَ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَنَظَرِهِ
أَمْسٍ . وَقَالَ كَعْبٌ كَقَوْلِهِ أَمْسٍ . وَارْتَحَلَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : يَا كَعْبُ
ارْتَحِلْ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنُّهْوضِ وَكَانُوا قَدْ قَرُبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ :
رَدِّ يَا كَعْبُ إِنَّكَ وَارِدٌ . فَعَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ . وَلَمَّا أَيْسَوُا مِنْهُ خِيَمُوا عَلَيْهِ بِثَوْبٍ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّعْيِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكُوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذَلِكَ مَثَلًا
فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (أَخْبَارُ الْعَرَبِ لابْنِ قَتَيْبَةَ)

صنم سومنات

٣٣٥ مِنْ عَجَائِبِ مَدِينَةِ سُومَنَاتٍ هَيْكَلٌ فِيهِ صَنْمٌ كَانَ وَاقِعًا فِي
وَسَطِ أَلْيَتٍ . لَا بَقَائِمَةَ مِنْ أَسْفَلِهِ تَدْعُهُ وَلَا بَعْلَاقَةَ مِنْ أَعْلَاهُ
تُسَكُّهُ . وَكَانَ أَمْرُ هَذَا الصَّنَمِ عَظِيمًا عِنْدَ الْهِنْدِ مَنْ رَأَاهُ وَاقِعًا فِي
الْهَوَاءِ تَعَجَّبَ . وَكَانَتِ الْهِنْدُ تَحْجُوهُ إِلَيْهِ وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَدَايَا
كُلَّ شَيْءٍ نَفِيسٍ وَكَانَ لَهُ مِنْ الْوُقُوفِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ
قَرِيَّةٍ . وَكَانَتِ سَدَنَتُهُ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ لِعِبَادَتِهِ وَخِدْمَةِ الْوُقُودِ .
وَأَمَّا أَلْيَتُ فَكَانَ مَبْنِيًّا عَلَى سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَارِيَّةً مِنَ السَّاجِ الْمَصْقَعِ
بِالرَّصَاصِ . وَكَانَتِ قُبَّةُ الصَّنَمِ مُظْلَمَةً وَضَوْءُهَا كَانَ مِنْ قَنَادِيلِ الْجَوْهَرِ
الْقَائِقِ . وَعِنْدَهُ سِلْسِلَةٌ ذَهَبٍ كَلَّمَا مَضَتْ طَائِفَةٌ مِنَ اللَّيْلِ حُرَكَتْ
فَتَصَوَّبَتْ الْأَجْرَاسُ فَيَقُومُ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ لِلْعِبَادَةِ . حُكِيَ أَنَّ
السُّلْطَانَ عَيْنَ الدَّوْلَةِ لَمَّا غَزَا بِلَادَ الْهِنْدِ وَرَأَى ذَلِكَ الصَّنَمَ اعْجَبَهُ
أَمْرُهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي أَمْرِ هَذَا الصَّنَمِ وَوُقُوفِهِ فِي
الْهَوَاءِ بِأَعْمَادٍ وَعِلَاقَةٍ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ عَلِقَ بِعِلَاقَةٍ وَأَخْفِيَتْ
الْعِلَاقَةُ عَنِ النَّظَرِ . وَقَالَ بَعْضُ الْخَاصِرِينَ : إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ الْقُبَّةَ مِنْ
حَجَرِ الْمَغْنَاطِيسِ وَالصَّنَمَ مِنَ الْحَدِيدِ . وَالصَّانِعُ بَالِغٌ فِي تَدْقِيقِ صَنْعَتِهِ
وَرَأَى تَكَافُؤَ قُوَّةِ الْمَغْنَاطِيسِ مِنَ الْجَوَانِبِ . فَوَاقَفَهُ قَوْمٌ وَخَالَفَهُ
آخَرُونَ . فَلَمَّا رَفَعَ حَجَرَيْنِ مِنْ رَأْسِ الْقُبَّةِ مَالَ الصَّنَمُ إِلَى أَحَدِ الْجَوَانِبِ .
فَأَمَّ يَزَلُ يَرْفَعُ الْأَحْجَارَ وَالصَّنَمُ يَنْزِلُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ (لَتَمْرُونِي)

اللب السابِع عشر في الأسفار

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ
مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَأَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي
إِيحَاشِهِمْ أَنْفُسُكَ. وَأَهْجِرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ
عَنِ الظُّفْرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للشعالبي)
أَنْشَدَ شُكْرُ الْعَلَوِيِّ:

قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِ شُهُانٍ بِهَا وَجَائِبُ الذَّلِّ إِنَّ الذَّلَّ يُجْتَنَّبُ
وَأَرْحَلُ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةٌ فَلَا تُنْدِلُ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ
قَالَ آخَرُ:

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِبَلَدَتِهِ فَلَا غَرَابَ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
أَلْكُلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ مُنْطَرِحًا فِي أَرْضِهِ كَأَثَرِي يَبْدُو عَلَى الطَّرْقِ
لَمَّا تَقَرَّبَ نَالَ الْغَيْرُ أَجْمَعُ وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَنَنِ وَالْحَدَقِ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ تَرَحَّلْ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارِ ذُلٍّ وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَّسِعٌ قَضَاهَا

فَذَلِكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَثَلٌ بَلِيدٌ لَيْسَ يَأْمُرُ مَا ظَلَمَها
فَفَنَسَكَ فُزِيهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَتَعَى مِنْ بَنَاهَا
فَأَنْتَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : جَزَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا
زَفَرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَامٌ وَتَوَكُّلٌ . ثُمَّ تَأْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ . وَقَبَّحَ اللَّهُ
التَّلَاقِي . فَإِنَّمَا هُوَ مَسْرَّةٌ لِحُظَّةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَانْتِهَاجٌ سَاعَةٍ وَانْتِسَابٌ
زَمَانٍ . وَإِنِّي لَا أَكْزُهُ إِلَّا جَمَاعَ وَلَا أَكْزُهُ الْفِرَاقَ . لِأَنِّ مَعَ الْفِرَاقِ عَمَّةٌ
يُحَقِّقُهَا تَوَقُّعٌ إِسْمَافٍ بِتَأْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرُّجْعَى . وَمَعَ الْاجْتِمَاعِ مُحَازَرَةٌ
الْفِرَاقِ وَقِصْرُ السُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ : لَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ
لِلرَّجُلِ أَلَمًا وَلِلنِّسَاءِ حُرْقَةً لَقُلْتُ حَقًّا . لِأَنِّي نَلْتُ بِهِ مِنَ الْعِنَاقِ
وَأَنْسُ الْأَلَمَاءَ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْاجْتِمَاعِ وَبِهِ مُصَافِحَةُ التَّسْلِيمِ .
وَرَجَاءُ الْأَوْبَةِ . وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالشَّوْقِ . وَالْأَنْسُ بِالْمُكَاتَبَةِ (لِلْمَقْدِسِيِّ)
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةٌ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحُّ الْوَدَاعِ
قَالَ ابْنُ النَّطْرُوقِيِّ :

بَاتَتْ تَصْدَعُ عَنِ النَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَتَغَرَّبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الْقَنَا عَةِ لِلْمَقَامِ الْأَطْيَبِ
فَأَجِئْهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ حَبَابُ
إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقُ أَوْطَانَهُ إِذْ تَجَذُّبُ

وَالْبَذَرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَانُهُ يَتَعَبُّ

ذم السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ . سَقَامُ الْأَلْبَابِ . حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ
تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ . وَتَطِيشَ مَعَهُ الْعُقُولُ . وَتَطِيجَ عَلَيْهِ النُّفُوسُ . وَفِرَاقُ
الْحَبِيبِ يُشِيبُ الْوَلِيدَ . وَيَذِيبُ الْحَدِيدَ . وَهَوْلُ السِّيَاقِ . أَهْوَنُ
مِنْ الْفِرَاقِ . وَقَالَ النَّظَّامُ : لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَتِ الْقُلُوبَ
وَهَدَّتِ الْجِبَالَ . وَجَعَرَ الْغَضَا أَهْوَنُ تَوَهَّجًا مِنْ نَارِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :
وَمَنْ يَنَاعِنُ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُعُودٌ جَهَنَّمِ وَرُوقُ
قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيَّةِ :

قَالُوا أَقْتَمَ وَمَا رُزِقْتَ وَإِنَّمَا بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ اللَّيْبُ وَرُزِقَ
فَأَجَبْتَهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا الْخَطُّ يَنْفَعُ لَا الرَّجِيلُ الْمُتَلَقِّ
كَمْ سَفَرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيصُ وَيُخَفِّقُ
كَالْبَذَرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ وَيَهْ إِذَا حُرِمَ السَّعَادَةُ يُخَفِّقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هـ و ١١٨٧ م باختصار

ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مَوْسِمُ التَّجَارِ . وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ
الْأَفْطَارِ . كَثِيرَةُ الْإِرْفَاقِ بِرَخَاءِ الْأَسْعَارِ . لَا يَقْرَفُ فِيهَا لِإِسْلِمِ قَرَارٍ .
مَشْحُونَةٌ بِعَبْدَةِ الصُّلْبَانِ تَعْصُ بِقَاطِنِيهَا . وَتَكَادُ تَضِيقُ ذُرْعَاكِهَا كُنْيَهَا .
أَسْوَاقُهَا نَافِثَةٌ حَفِيلَةٌ . وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِإِرْعَادِ الْعَيْشِ كَفِيلَةٌ . لَا تَزَالُ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ .
مُسْتَنْدَةً إِلَى جِبَالٍ قَدْ أُنْظِمَتْ حَضِيضُهَا وَخَادِقُهَا . وَالْبَحْرُ يَمْتَرِضُ
أَمَامَهَا فِي الْجَمَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاهَا أَعْجَبُ مَرَاسِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ
لِأَنَّ الْمَرَآكِبَ الْكِبَارَ تَدْنُو فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تَمْسُكُهُ . وَيُنْصَبُ
مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشَبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . وَالْحِمَالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِقٍ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِيعِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
الْبُعْدِ مِنْهَا يَسِيرًا . فَتَرَاهَا مُصْطَفًى مَعَ الْبَرِّ كَأَصْطِفَافِ الْجِيَادِ فِي
مَرَابِطِهَا وَإِصْطَبَ لَهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمُقِ الْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زَفَاقُ
مُعْتَرِضٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيُقَابِلُهَا
مِنْهُ بَلَدَةٌ تُعْرَفُ بِرِيَّةٍ وَهِيَ عِمَالَةُ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسِ
جَزِيرَةِ صَقْلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمُدُنِ وَالْعِمَارِ وَالضِّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ صَقْلِيَّةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
الْبَرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتِرُّ بِالسَّحْبِ لِإِفْرَاطِ مُمْوِهِ وَيَعْتَمُ بِالسَّحَابِ شَتَاءً وَصَيْفًا
دَائِمًا . وَخِصْبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ
الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخِصْبِ وَالرَّفَاقَةِ . مَشْهُونَةٌ
بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْقَوَاكِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا
كُلُّهَا بِسَاتِينَ مُثْمَرَةٍ بِالتَّقَاحِ وَالشَّاهِ بَلُوطِ وَالْبُنْدُقِ وَالْإِجَاصِ
وغيرها مِنَ الْقَوَاكِ . وَلَيْسَ فِي مَسِينَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
يَسِيرُ مِنْ ذَوِي الْمَهَنِ وَلِذَلِكَ مَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مَدِينًا قَاعِدَةً مُلْكُهَا . وَالْمُسْلِمُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
يَعْرِفُونَهَا بِبَلْرَمَةَ . وَفِيهَا سَكَنَى الْخَضِرِيُّ بْنُ مَسْكَنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَبَلْرَمَةَ هَذِهِ مَسْكَنٌ مُلْكُهُمْ خَلِيفًا . وَهِيَ أَحْضَلُ مَدَنٍ صِقْلِيَّةٍ
وَبَعْدَهَا مَسِينَةُ وَشَأْنُ مُلْكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السَّيْرِ . وَهُوَ
كَثِيرُ الثَّقَةِ بِالْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَمِسُونَ بِخَاصَّتِهِ . وَعَلَيْهِمْ يُلَوِّحُ
رَوْنَقُ مَمْلَكَتِهِ . لِأَنَّهُمْ مُتَسِعُونَ فِي الْمَلَابِسِ الْفَاخِرَةِ وَالْمَرَائِبِ الْفَاخِرَةِ .
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْحَاشِيَّةُ وَالْحَوْلُ وَالْإِتْبَاعُ . وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْفُصُولُ
الْمُسَيَّدَةُ وَالنَّبَاتَيْنِ الْأَنِيَّةُ وَالْأَسِيَّا بِمَخَاضَةِ مُلْكِهِ الْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ .
وَلَهُ بِمَسِينَةِ قَصْرٌ أَيْضُ كَالْحَمَامَةِ مُطَّلٌّ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . وَلَيْسَ فِي
مُلُوكِ النَّصَارَى أَتَرَفٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَذَمُّ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ . وَهُوَ يَنْشَبُ فِي
تَرْتِيبِ قَوَائِنِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيهِ وَتَقْدِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أَهْلِهِ
الْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ . وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جَدًّا وَلَهُ الْأَطْبَاءُ
وَالْفُقَهَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ الْإِعْتِنَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ الْخَرَصِ عَلَيْهِمْ . حَتَّى إِنَّهُ مَتَى
ذَكَرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فَقِيهًا اجْتَازَ بِلَدِهِ أَمَرَ بِإِمْسَاكِهِ وَأَدْرَكَ لَهُ أَرْزَاقَ
مَعِيشَتِهِ . وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ الْتَحَدُّثُ بِهِ أَنَّهُ يَهْرَأُ وَيَكْتَبُ بِالْعَرَبِيَّةِ
وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خِدْمَتِهِ الْمُتَخَصِّصِينَ بِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ
وَبِمَدِينَةِ مَسِينَةِ الْمَذْكُورَةِ دَارُ صَنْعَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَائِكِهِ . فَكَانَ زُرُونَا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقْنَابِهَا تِسْعَةَ
أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زَوْرَقٍ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَلْرَمَةَ . وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ بِحَيْثُ يُبْصَرُ
رَأْيُ الْعَيْنِ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً رَجَّتِ الزُّوْرُقَ
أَهْنَأُ تَرْجِيَةٍ . وَسِرْنَا نُسْرِحُ اللَّحْظَ فِي عَمَارٍ وَقُرَى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونٍ
وَمَعَاqِلٍ فِي قُنَنِ الْجِبَالِ مُشْرِفَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرٍ
قَدْ قَامَتْ خِيَالًا مَرْتَفَعَةً عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ اثْنَتَانِ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهُمَا
النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهُمَا وَيُظْهِرُ بِاللَّيْلِ نَارًا احْمَرَاءَ ذَاتَ
الْأُتُنِ تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهُوَ الْبَرْكَانُ الْمَشْهُورُ خَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ خُرُوجَهَا
مِنْ مَنَافِسَ فِي الْجِبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفْسُ نَارِي بِقُوَّةٍ
شَدِيدَةٍ تَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرُبَّمَا قُدِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَتَلْقَى بِهِ إِلَى
الْهَوَاءِ بِقُوَّةٍ ذَلِكَ النَّفْسُ وَتَمْتَعُهُ مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى الْقَعْرِ .
وَهَذَا مِنْ عَجَبِ السَّمُوعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ كَالسَّلِيلِ
الْعَرِمِ . فَلَا تَرَى شَيْءَ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرْكُ بُجْهٍ
عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ
وَحَلَّلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ مَرَسَى مَدِينَةِ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةِ شِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةُ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْحَضَبِ وَاسِعَةٌ
الْمَرَاقِي . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارُ الْأَعْنَابِ وَغَيْرِهَا . مَرْتَبَةٌ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا
طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهَا فَنَّةُ جَبَلٍ وَاسِعَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ فِيهَا قَامَةٌ لَمْ
يُرَ أَمْعٌ مِنْهَا اتَّخَذُوهَا عُدَّةً لِلسُّطُولِ يُفْجَأُهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةٍ

الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ إِقْلَاعُنَا مِنْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَجِئْنَا مَدِينَةَ ثَرَمَةَ صَحْوَةً يَوْمَ
 الْخَمِيسِ بِسَيْرِ رُوَيْدٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَأَنْتَقَلْنَا
 فِيهَا مِنْ ذَلِكَ الزُّورِقِ إِلَى زُورِقٍ ثَانٍ أَكْثَرِيَتَاهُ لِبُكُونِ الْبَحْرَيْنِ
 صَحْبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثَرَمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضْعًا مِنَ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ تَرْكَبُ الْبَحْرَ وَتَشْرَفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رِبْضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيعَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْبَلَدَةِ حِمَّةٌ قَدْ
 أَغْنَتْ أَهْلَهَا عَنِ اتِّخَاذِ حِمَامٍ . وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مِنَ الْخِصْبِ وَسِعَةِ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ . وَالْجَزِيرَةُ بِأَسْرَها مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِصْبِ وَسِعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقَمْنَا بِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الرَّابِعِ عَشَرَ لِلشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ
 أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ الْمُدَّمِنْ الْبَحْرُ ثُمَّ يَنْحَسِرُ عَنْهُ . وَبَيْنَا
 بِهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرِيًّا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِقْلَاعِ سَبِيلًا .
 وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُقْصُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِثَرَمَةَ خَمْسَةُ
 وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَخَشِينَا طُولَ الْقَامِ وَحَمَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَبَّثُ الزُّوَارِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَتَفَقَّا عَلَى ذَلِكَ .
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُتَنَصِّفِ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ الْمَسِيرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَحَمَلْنَا بَعْضُ أَسْبَابِنَا وَخَلَّفْنَا بَعْضَ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزُّورِقِ . وَسَرْنَا فِي طَرِيقٍ كَانَهَا السُّوقُ عِمَارَةً وَكَثْرَةً
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَائِفُ النَّصَارَى يَتَلَقَّوْنَا فَيُبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُونُسُونَا. قَرَأْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلَيْنَ مَقْصِدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ
الْعَجَبَ. حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
بَنَاءُ الْإِعْيَاءِ فَلَمَّا إِلَيْهِ وَبِتْنَاهِ فِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدُ
الْبِنَاءِ عَتِيقُهُ قَدِيمُ الْوُضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلِكَةِ الْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَيَازَانُهُ
عَيْنٌ تُعَرِّفُ بَعَيْنَ الْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِينُ
وَعَالِي مُشْرِقَةٍ وَيُوتُ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلٌ مُرَافِقُ السَّكْنَى وَفِي
أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بَهَاءً. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائَا
مَقْرُوشَةٍ يُحْصِرُ تَطِيفَهُ لَمْ يُرَ أَحْسَنُ مِنْهَا صُنْعَةً. وَقَدْ عَلِقَ فِيهِ شُحُورُ
الْأَرْبَعِينَ قَنَدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بَيْتٌ عَذْبَةٌ. فَبِتْنَا فِي هَذَا
الْمَسْجِدِ أَحْسَنَ مَبِيتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِمَقَرَّةٍ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ نَحْوُ أَلِيلٍ إِلَى
جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرُ عَلَى صِفَتِهِ يُعَرِّفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ
تَقُورُ بِمَاءٍ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُنَاسَ مُعَدَّةٍ
لِإَرْضَى النَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِنَا
الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَةً وَبِصُورَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَعَجَبْنَا مِنْ أَعْتَابِهِمْ
بِهَذَا الْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَنِعْنَا
وَحَمَلْنَا إِلَى الْبَابِ الْمُتَّصِلِ بِقُصُورِ الْمَلِكِ الْإِفْرَنْجِيِّ غُلَامٌ وَأَدْيَا إِلَى
الْمُسْتَحْلِفِ لَيْسَا لَنَا عَنْ مَقْصِدِنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ فَسَرْنَا فِي
مَكَّكَ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلَوَّكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ الْقُصُورِ الْمَشْرِقَةِ

وَالْمِيَادِينَ الْمُنْتَظِمَةَ وَالْبَسَاتِينَ وَالْمَرَاتِبَ الْمُنْتَخَذَةَ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَارَاعَ
 أَبْصَارَنَا. وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا. وَأَبْصَرَنَا فِيْمَا أَبْصَرْنَاهُ مُجْلِسًا فِي سَاحَةِ
 فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَانْتَضَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بِالْأَطَاتُ. وَانْجَلَسُ قَدْ
 أَخَذَ اسْتَطَالَ تِلْكَ السَّاحَةَ كُلَّهَا. فَحِجْبًا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافٍ مَنَظَرِهِ.
 فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ الْبَلَاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ
 حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعَمَالَةُ أَمَامَهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
 الْمُسْتَخْلَفُ يَتَهَادَى بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يُحْفَانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا
 شَيْخًا طَوِيلَ النَّسَبَةِ أَيْضًا ذَا أَبْهَةِ. فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
 بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْنٍ فَأَعْلَمَنَا. فَأَظْهَرَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَنْصَرِفْنَا
 بَعْدَ أَنْ أَحَقَى فِي السَّلَامِ وَالِدَعَاءٍ فَحِجْبًا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
 لَنَا عَنْ خَبَرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نَعْلِمُهُ
 بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْقُنَادِقِ فَتَرَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِذِجْبَر. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بِالْأَطَا
 مُتَّصِلًا مَشِينًا فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
 عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ. فَأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَاطُ مَمْشَى الْمَلِكِ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
 (ذَكَرُ بِلَرْمَةِ) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُ الْخَضَارَةِ. وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
 غَضَارَةٍ وَنَضَارَةٍ. فَمَا شِلْتُ بِهَا مِنْ جَمَالٍ نَخْبَرُ وَمَنْظَرٍ. وَمُرَادُ عَيْشٍ يَانِعٍ
 أَخْضَرَ. عَيْقَةُ أَيْقَةٍ. مُشْرِقَةٌ مُؤْنِقَةٌ. تَتَطَّلَعُ بِمَرَأَى قَتَانٍ. وَتُنْخَالِلُ
 بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَاطٍ كُلُّهَا بُسْتَانٌ. فَسِيحَةُ السِّكِّكِ وَالشُّوَارِعِ. تَرُوقُ

الْأَبْصَارُ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا الْبَارِعِ عَجِيبَةِ الشَّانِ . قُرْطِيَّةُ الْبَنِيَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا بِمَنْحَوْتِ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَذَّانِ . يَشْقَاهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنَابِهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زُخِرَتْ فِيهَا لِلْمَلِكِ دُنْيَاهُ فَأَتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِهِ الْإِفْرَنْجِي . تَنْتَظِمُ بِلَتَبِهَا قُصُورُهُ اتِّتِظَامُ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكُوعَابِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَاتِينِهَا وَمِيَادِينِهَا بَيْنَ زُرْهَةٍ وَمَلَاعِبِ . فَكَمْ
 لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاظِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ بِحَبَاتِهَا مِنْ دِيَارَاتِ
 قَدْ زُخِرَ بُنْيَانُهَا . وَرُقَّةٌ بِالْإِقْطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ زُهَابُهَا . وَكُنَائِسَ
 قَدْ صُيِّغَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَابِغَاتُهَا . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرْبَاضٌ قَدْ انْفَرَدُوا فِيهَا بِسُكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقِ مَعْمُورَةٌ
 بِهِمْ وَهُمْ يُتَجَّارُ فِيهَا وَيَصِلُونَ الْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَّاسِيِّينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَّهَ
 بِقُرْطَبَةٍ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ وَضَعَ قُرْطَبَةَ . وَهَذَا الْقَصْرُ دِيَارُ كَانَتْهَا
 الْقُصُورُ الْمُسَيَّدَةُ . لَهَا مَنَاظِرُ فِي الْجَوِّ مُظْلِمَةٌ تُحَارُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بِلَرَمَةِ) وَمِنْ أَعْجَبَ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةُ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرْنَاهَا يَوْمَ الْمِيلَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِ لَهُمْ عَظِيمٍ . وَقَدْ احْتَفَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بُنْيَانِهَا مَرَأًى
 يَعْجِزُ الْوَصْفُ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمَزْخَرَفَةِ .
 جُدْرُهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ أَلْوَاحِ الرِّخَامِ الْمَلُونِ مَا لَمْ يَر

مِثْلَهُ قَطُّ قَدْ رُصِعتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلَّتْ بِأَشْجَارِ الْفُصُوصِ
الْخَضِرِ وَنُظِمَ أَعْلَاهَا بِالشَّمْسِيَّاتِ الْمَذْهَبَاتِ مِنَ الرُّجَاجِ . فَتَخْطَفُ الْأَبْصَارَ
بِسَاطِعِ شُعَائِمِهَا وَتُحْدِثُ فِي النُّفُوسِ قِتَبَةً . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بَانِيَهَا الَّذِي
تُنْسَبُ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَطَايِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا لِحَدِّ هَذَا الْمَلِكِ .
وَلِهَذِهِ الْكَنِيسَةِ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمَدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ
وَعَلَيْهَا قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتَعْرِفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِيِّ وَهِيَ مِنْ
أَعْجَبِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبُنْيَانِ . وَزِيُّ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيُّ
نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُلْتَحِفَاتٌ مُتَقَبَّاتٌ . خَرَجْنَا فِي هَذَا
الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَبَسْنَا ثِيَابَ الْحُرِيرِ الْمَذْهَبِ وَالتَّخَفُّنَ الْخُفَّ الرَّائِقَةَ
وَأَتَقَيْنَ بِالنَّسَبِ الْمُلَوَّنَةِ . وَاتَّمَعْنَا الْأَخْفَافَ الْمَذْهَبَةَ . وَبَرَزْنَا
لِكِنَاكِسِينَ حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحْلِيِّ وَالْتَّخَضُّبِ
وَالْتَّعْطُرِ . وَكَانَ مَقَامُنَا بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَزَرْنَا بِهَا فِي أَحَدِ
فَنَادِيهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ . . . وَخَرَجْنَا مِنْهَا صَبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي
وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دِجَنْبَرٍ إِلَى
مَدِينَةِ أَطْرَابُشَ سَبَبَ مَرَكَبَيْنِ بِهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةِ . فَسَلَكْنَا عَلَى فَرَسٍ مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنَا
مَحَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ تَرِ مِثْلَ تَرْتِبَتِهَا طَيْبًا وَكَرَمًا وَاتِّسَاعًا . فَشَبَّهْنَاهَا بِقَنْبَانِيَّةٍ
قُرْطَبَةٍ أَوْ هَذِهِ أَطْيَبُ وَأَمْتَنُ . وَبَيْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةً وَاحِدَةً فِي بَلَدَةٍ
تُعْرَفُ بِعَلْقَمَةٍ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَالزَّوَايَا

وَسُكَّانُ هَذِهِ الْمَضِيعِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلُّهَا مُسْلِمُونَ. وَفَتْنَا مِنْهَا سَحَرَ
 يَوْمِ السَّبْتِ فَأَجْتَرْنَا بِمَقَرَّةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحِمَّةِ وَهُوَ
 بَلَدٌ كَبِيرٌ فِيهِ حَمَامَاتٌ. وَقَدْ فُجِّرَ هَا اللَّهُ يُنَابِيعُ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَهَا
 عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يُحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجَزْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
 الطَّرِيقِ. فَتَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْحْنَا الْأَبْدَانُ بِالِاسْتِحْمامِ فِيهَا.
 وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابِ بُنْشٍ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَتَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارِ اكْتَرِنَاهَا
 (مَدِينَةُ أَطْرَابِ بُنْشٍ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ. غَيْرُ كَبِيرَةٍ
 الْمِسَاحَةِ. مُسَوَّرَةٌ بِيضَاءِ كَالْحَمَامَةِ. مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَايِ
 وَأَوْفَقِهَا لِلْمَرَائِبِ. وَلِذَلِكَ كَثِيرًا مَا يَقْصِدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَا سِيَّامَا
 الْمُقْلَعُونَ إِلَى بَرِّ الْعُدُودَةِ. فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.
 فَالْسَفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثَمَا تَهْبُ الرِّيحُ
 الْمُؤَافِقَةُ. فَجَرَّاهَا فِي ذَلِكَ تَجْرَى الْحِجَارُ الْقَرِيبِ. وَبِهِذِهِ الْمَدِينَةُ السُّوقُ
 وَالْحَمَامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمَدِينِ. لَكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ
 لِإِحَاطَتِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَاتِّصَالِ الْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
 ضَيِّقَةٍ. وَالْبَحْرُ فَاعْرِفَاهُ لَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ. فَأَهْلُهَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ
 مِنَ الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَاخَى مَدَى أَيَّامِهَا. وَهِيَ مُؤَافِقَةٌ لِرِخَاءِ
 السَّعْرِ بِهَا لِأَنَّهَُا عَلَى مَحَرِّ عَظِيمٍ. وَسُكَّانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
 وَلَكِنَّا أَتَرَقِّيقِينَ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ. وَبَرُّكُنَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
 مَا تَلَا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرِطٌ أَلَسْمُو مَتَّسِعٌ. فِي

أَعْلَاهُ قَنَّةٌ تَنْقَطِعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَطْرَةٌ
وَيَتَّصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَهَذَا الْجَبَلُ الْكُرُومُ وَالْمَزَارِعُ .
وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ عَيْنٍ مُتَشَجِّرَةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ
هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتَرَكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا
فِي ذَلِكَ الْمَعْقِلِ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسَوْا بِحَادِثَةِ حَصْنِ حَرِيمِهِمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
الْقَنْطَرَةَ . وَاعْتَزَّضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
وَشَأْنُ هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمَنْ الْعَجَبُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَشَجِّرَةِ
مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بَيْرٍ
عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا أَبَارٌ قَصِيرَةٌ الْأَرْضِيَّةُ مَاؤُهَا . كُلُّهَا شَرِيبٌ
لَا يُسَاقُ . وَأَلْقَيْنَا الْمَرْكَبَيْنِ اللَّذَيْنِ يَرُومَانِ الْإِقْلَاعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نُؤْمِلُ رُكُوبَ أَحَدِهَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
وَاللَّهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ بِنَيْهِ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صَغَارٌ
مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمَلِيطَمَةَ وَالْأُخْرَى بِبَاسَةَ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
بِالرَّاهِبِ لُسَبْتِ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءِ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ
مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَعْمُرُ الثَّلَاثَةُ سِوَى
الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاؤُنَا فِي الْمَرْكَبِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ
وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لَابَن جَبَر)

اللب الثامن عشر في عجائب المخلوقات

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِي: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِقُصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النُّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ قَاعِلِهِ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النُّحْلِ لَتَجَبَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ أَنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحْدَثَ هَذِهِ الْمَسَدَّاتِ الْمُنْتَاسِوِيَّةَ الْأَضْلَاعَ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَادِقُ مَعَ الْفَرَجَارِ وَالْأَسْطَرَّةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا السَّمْعُ الَّذِي اتَّخَذَتْ مِنْهُ بُيُوتَهَا الْمُنْتَاسِوِيَّةَ الَّتِي لَا يُجْتَاحُ بِبَعْضِهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أَفْرِغَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا دَحِيرَةً لِلسَّيِّئِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ السَّيِّئَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ الْغَذَاءَ . وَكَيْفَ أَهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءٍ رَقِيقٍ لِيَكُونَ السَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِيهِ فَلَا يَنْشَقُّهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْغُبَارُ . وَتَبَقَّى كَأَلْبَرْنِيَّةِ الْمُضْمَنَةِ الرَّأْسَ بِالْكَاعِدِ . فَهَذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُذَكِّرُهُ فِي صَبَاهُ عِنْدَ فَقْدِ التَّجَرُّبَةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِزَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا وَقَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَعْرِقُ الْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أَنْسَ بِمُذَرَّكَاتِهِ

وَمَحْسُوسَاتِهِ فَسَقَطَ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسَرِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَقْعَةً
حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِلْعَادَاتِ انْطَلَقَ لِمَسَانُهُ
بِالتَّسْبِيحِ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمرِهِ أَشْيَاءَ تَخَيَّرُ فِيهَا
عُقُولُ الْعُقَلَاءِ وَتَدَهَشُ فِيهَا نَفُوسُ الْأَذْكِيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بَعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيِيرِ وَالْتِسَادِ فَإِنَّ
الْأَرْضَ وَالْهَوَاءَ وَالْجَارِ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحَقِيقَةٍ مُلَاقَةٍ فِي فَلَاةٍ . ثُمَّ
يَنْظُرُ إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا رَحْوِيَّةً . وَبَعْضُهَا
حَمَلِيَّةً . وَبَعْضُهَا ذَوَلَايَةً . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيئًا .
ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَتِهَا مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ
تَتَعَمَّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَتَمَسِّهَا وَقَمَرِهَا
وَأَخْتِلَافِ مَسَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِأَخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَأَخْتِلَافِ
أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
إِلَى لَوْنِ الرِّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
وَعُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ لِأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ الْإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنْ وَسْطِ السَّمَاءِ
إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّيْعُ وَالْحَرِيفُ .
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِزْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ اكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيُنُوبَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى امْتِلَائِهِ وَانْتِفَاقِهِ . ثُمَّ إِلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ
وَكُسُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْحَجَرَةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرْجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَارِ حَوِيَّةَ . وَعَجَابُ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعٍ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِيَا ذَكَرْنَاهُ بُصْرَةَ كُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ انْقِضَاضِ الشُّهُبِ
وَالْعُيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالْثُلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِ . وَلِيَتَأَمَّلَ السَّحَابَ الثَّقِيلَ الْكَثِيفَ الْمُظْلِمَ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَتَسْخِيرَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا
تَلْعَبُ بِهِ وَتَسْوِقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُجْنَانَهُ فَتَرْشُ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطَرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِرَفِقٍ . فَلَوْ صَبَّهُ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِحَدِّهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَبُرْسِلَهَا مَقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنْ الْحَاجَةِ فَيُعْقِنُ
الْأَنْبَاتُ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُو . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ السُّحُبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَفْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُلْقِحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُرِييُ الزَّرْعَ وَالْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَمَلِهَا وَقُورًا لِيَتَكُونَ فِرَاشًا وَمَهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ اكْتِنَافِهَا وَبَعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَمَلِ ظَهَرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقَرًّا لِلْأَمْوَاتِ .
فَتَرَاهَا وَهِيَ مِثْبَةٌ فَإِذَا أُثْرِلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ أَهْتَرَتْ وَدَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أَجْنَاسَ الْمَعَادِنِ وَأَنْبَتَ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ .
ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّاحِخَةِ كَأَوَّادِهَا لِيَنْعَمَ مِنْ أَنْ تَمِيدَ .
ثُمَّ إِلَى إِيْدَاعِ الْمِيَاهِ فِي أَوْشَالِهَا كَالْخِرَازَاتِ لِيَخْرُجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَسْقَى
مِنْهَا الْعُيُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَحَيَا بِهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
زُرُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْقَابِلَةِ . وَيَنْصَبُ فَاضِلُهَا إِلَى الْبَحَارِ دَائِمًا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبَحَارِ الْعَمِيقَةِ الَّتِي هِيَ خُلْجَانٌ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ
الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمِيعَ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْبُودِي وَالْجِبَالِ
بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَجَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرِ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ الْأَرْضِ
مَسْتَوْرَةٌ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
إِلَى خَلْقِ اللَّوْثِ فِي صَدْفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِنْبَاتِ الْمَرْجَانِ فِي صَمِيمِ
الصَّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَنْبُتُ مِنَ الْحَجَرِ . ثُمَّ إِلَى
مَا عَدَاهُ مِنَ الْعُضْبِ وَأَصْنَافِ الْفَنَائِسِ الَّتِي يَقْدِفُهَا الْبَحْرُ وَتُسْتَخْرَجُ
مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفُنِ كَيْفَ سِيرَتْ فِي الْبَحَارِ وَسُرْعَةَ جَرِّهَا بِالرِّيَّاحِ
وَالِى اتِّخَاذِ أَلَانِهَا وَمَعْرِفَةِ النَّوَائِي مَوَارِدِ الرِّيَّاحِ وَمَهَابِهَا وَمَوَاقِفِهَا .
وَعَجَائِبُ الْبَحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعُ فِي إِحْصَائِهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعَادِنِ الْمَوْدَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ فَمِنْهَا مَا يَنْطَبِعُ
كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
كَالْقَيْرِ وَزَجِّ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَتَنْقِيَتِهَا
وَاتِّخَاذِ الْحِلْيِ وَالْأَلَاتِ وَالْأَوَانِي مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالنَّفْطِ

وَالْكَبِيرِ وَالْقِيرِ وَغَيْرِهَا وَأَجَلَهَا الْعِلْجُ فَلَوْ خَلَتْ مِنْهُ بَلَدَةٌ لَتَسَارَعَ
 الْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا . ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْأَرَايِجِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاحِي مُخَلَّةٍ مُطَوَّقَةٍ بِعَنَاقِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ . ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَرْضِ الْبَوَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَائِهَا
 فَإِنَّهَا إِذَا نَزَلَ الْقَطَرُ عَلَيْهَا أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بَهْجٍ .
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَاخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا . فَلَمْ تَبْتَ مِنَ الْأَرْضِ وَرَقَةً إِلَّا وَفِيهَا مَنَفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعٌ يَقِفُ
 فَهْمُ الْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا . ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَأَنْقِسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَيَسْجُ وَيَمْشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَائِبَ
 تَذْهَشُ مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ النَّمْلِ أَوْ الْعَنْكَبُوتِ أَوْ النُّحْلِ فَإِنَّهَا
 مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانَاتِ لِيَرَى مَا يَتَخَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بَنَائِهَا أَلَيْتَ وَجَمْعِهَا الْغَذَاءَ
 وَادِّخَارَهَا لَوَقْتِ الشِّتَاءِ وَحِذْقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ
 وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى . وَإِنَّمَا سَقَطَ الْعَجَبُ
 مِنْهَا لِلْأَنْسِ بِهَا بِكَثْرَةِ الْمَشَاهِدَةِ

في جرم الشمس ووضعا

٣٤١ وَأَمَّا الشَّمْسُ فَأَعْظَمُ الْكَوَاكِبِ جِرْمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا . وَمَكَانُهَا

الطَّبِيعِيُّ الْكُرَّةُ الرَّابِعَةُ (*) . زَعَمَ الْمُجْمَعُونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَالْمَلِكِ وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ . وَالْقَمَرُ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيِّ
الْعَهْدِ . وَعُطَارِدُ كَالْكَاتِبِ . وَالْمَرْيَخُ كَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ . وَالْمَشْتَرِي
كَالْقَاضِي . وَزُحَلُ كَصَاحِبِ الْخَزَائِنِ . وَالزُّهْرَةُ كَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِي .
وَالْأَفْلَاقُ كَالْأَقَالِيمِ . وَالْبُرُوجُ كَالْبُلْدَانِ . وَالْدَّرَجَاتُ كَالْعَسَاكِرِ .
وَالدَّقَائِقُ كَالْحَالَ . وَالثَّوَانِي كَالْمَنَازِلِ . وَهَذَا تَشْبِيهُ جَيِّدٌ

وَمِنْ عَجَائِبِ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ الشَّمْسُ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ اتَّبَعَ الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ الْعَالَمِ بِحَرَكَاتِهَا عَلَى حَدِّهَا
الِاعْتِدَالِيِّ . إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكَ الثَّوَابِتِ لَفَسَدَتِ الطَّبَائِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ . وَلَوْ أَنَّهَا أُنْحَدَرَتْ إِلَى فَلَكَ الْقَمَرِ لَأَحْتَرَقَ هَذَا الْعَالَمُ
بِالْكَلْيَةِ . وَلُطْفُ آخَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ حَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوقَفَةٍ
وَالَا لَأَشْتَدَّتِ السُّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
فَسَادُهَا . لَكِنْ تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) . وَلَا تَزَالُ تَغْشَى
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ . فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَكْشُوفٌ مُوَازِلًا إِلَّا وَيَأْخُذُ حَظًّا مِنْ شُعَاعِهَا . وَتَمِيلُ فِي كُلِّ
سَنَةٍ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لِتَنْعَمَ فَإِنَّهَا أَمَّا إِلَى الْجِهَةِ

(*) ذَلِكَ زَعَمَ الْأَقْدَمِينَ أَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ فَعَلَى أَنَّ الشَّمْسَ فِي جَوْفِ الْفَلَكَ وَمِنْ حَوْلِهَا

تَدُورُ سَائِرُ الْأَفْلَاقِ وَاقْرِبِهَا إِلَى الشَّمْسِ عُطَارِدُ ثُمَّ الزُّهْرَةُ ثُمَّ الْأَرْضُ ثُمَّ الْمَرْيَخُ ثُمَّ الْمَشْتَرِي ثُمَّ زُحَلُ

(*) وَهَذَا مِنْ آراءِ الْأَوَائِلِ . فَقَدْ ثَبَتَ الْآنَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْأَفْلَاقَ تَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ

وَأَبْطَلَ مَا اعْتَقَدَهُ الْقَدَمَاءُ مِنْ أَنَّ الشَّمْسَ تَدُورُ حَوْلَ الْأَفْلَاقِ

الْجَنُوبِيَّةِ قَمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَابِ الْعَرَبِ .
وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ قَمِيلُ حَتَّى
تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّاحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ قَمِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ
جِرْمَ الْقَمَرِ كَمَدٍ فَيَحْجُبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسَ
وَكَانَ فِي إِحْدَى نُقْطَتَيِ الرَّأْسِ أَوِ الذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَمُرُّ تَحْتَ
الشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكْتُ لِيَنَّ قَاعِدَةُ مَخْرُوطِ الشَّمْعِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَيَبْتَدِئُ الشَّمْسُ بِالْانْجِلَاءِ . لَكِنْ
يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
الْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا تَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصَلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي
الْعُلُويَّاتِ فَإِخْفَاؤُهَا جَمِيعَ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِقَمَرِ
النُّورِ . وَأَمَّا فِي السُّفْلِيَّاتِ فَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْبَحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى
الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ ابْجَرَةً بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْبَحَارُ إِلَى الْمَوَاءِ
الْبَارِدِ تَكَثَّفَ مِنَ الْبَرْدِ وَانْعَقَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيَّاحُ إِلَى
الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْبَحَارِ فَيَنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُنْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

موتها . وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سببا لبقاء الحيوان وخروج
النبت . ومنها أمر النبت فإن الزروع والأشجار والنبت لا تثبت
بنحو إلا في المواضع التي تطلع عليها الشمس . ولذلك لا تثبت تحت
الخليل والأشجار العظام التي لها ظلال واسعة شي من الزروع
لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها . وحسبك ما ترى من تأثير الشمس
بحسب الحركة اليومية في النياور والأذريون وورق الخروع فإنها
تنمو وترداد عند أخذ الشمس في الارتفاع والصعود . فإذا زالت
الشمس أخذت في الذبول حتى إذا غابت الشمس ضعفت وذابت
ثم عادت اليوم الثاني إلى حالها . ومنها تأثيرها في الحيوانات فإننا
نرى الحيوانات إذا طلع نور الصبح خاق الله تعالى في أبدانها قوة
تظهر فيها فراهة وانتعاش قوة . وكلما كان طلوع نور الشمس أكثر
كان ظهور قوة الحيوان في أبدانها أكثر إلى أن وصلت إلى وسط
سمائها . فإذا مالت عن وسط سمائها أخذت حركاتهم وقواهم في
الضعف ولا تزال ترداد ضعفا إلى زمان غيوبها . فإذا غابت الشمس
رجعت الحيوانات إلى أماكنها وزمتها كالموتى فإذا طلعت عليها
الشمس في اليوم الثاني عادوا إلى الحالة الأولى (للقزويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وأما القمر فهو كوكب مكانه الطبيعي الملك الأسفل وهو
جرم كئيف مظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى في ظاهره .

فَالنَّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا قَارَتِ الشَّمْسُ كَانَ
النَّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنْ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَالَ النَّصْفُ الْمُظْلَمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيَظْهَرُ
مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةٌ هِيَ الْهَلَالُ . ثُمَّ يَتَرَايِدُ الْإِنْجِرَافُ وَيَزْدَادُ
يَتَرَايِدُهُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهُ لِلشَّمْسِ هُوَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَنَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الضِّيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَارَنَةِ الشَّمْسِ يَتَحَقُّ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نِقْطَتَيْ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِقْبَالِ
تَوَسَّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ فَيُرَى مُنْخَسَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلُّهَا بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا اِعْتِبَارُ أَهْلِ التَّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ الْبَحَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاوَهُ فِي الْمَدِّ مُقْبِلًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ انْتَهَى الْمَدُّ مُنْتَهَاهُ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُنْتَهَاهُ . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَقْتُ اتِّدَاءِ الْمَدِّ

أَحْسَ لِلْمَاءِ حَرَكَةً مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَيَرَى لَهُ انْتِفَاحًا وَتَهَيُّجَ فِيهَا
رِيَّاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْجُزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَانْتِفَاحًا وَجَرِيًّا
وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزِرَ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ. وَأَبْتَدَاءُ
قُوَّةِ الْمَدْيِ فِي الْبَحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

فِي الْحِجْرَةِ وَالْكَوَاكِبِ الثَّوَابِ

٣٤٤ وَهِيَ أَلْبِيَّاضُ الَّذِي يُرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ شَرْجُ السَّمَاءِ إِلَى
زَمَانِنَاهُذَلِكَ يُسْمَعُ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلُ شَافٍ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَفَرٌ
مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ الْحِجْرَةِ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَصَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تُرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ
السَّمَاءِ. وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَمَدَّةً مِنَ الشَّمَالِ إِلَى
الْجَنُوبِ. وَبِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحْوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَمَدَّةً
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ...
وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يَقْضَرُ ذَهْنُ الْإِنْسَانِ عَنْ
صَبْطِهَا. لَكِنَّ الْأَوَّلِينَ قَدْ صَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا.
ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجَمْعِ تِسْعِمِائَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تُشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِيهَا. وَهِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِيمُوسُ فِي كِتَابِ الْجِحْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

السَّمَاوِيَّ مِنَ الْكُرَّةِ وَبَعْضُهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ الْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ
السَّيَّارَاتِ . وَبَعْضُهَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ . فَسَمِيَ كُلُّ صُورَةٍ بِاسْمِ
الشَّيْءِ الْمُشَبَّهِ بِهَا فَوَجَدَ بَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجُوزَاءِ .
وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ كَالسَّرَطَانِ . وَبَعْضُهَا عَلَى
صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ كَالْحَمَلِ . وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الطَّيْرِ كَالْعُقَابِ .
وَبَعْضُهَا خَارِجًا عَنْ شَبهِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْمِيزَانِ وَالسَّفِينَةِ . وَوَجَدَ مِنْ هَذِهِ
الصُّوَرِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامَ الْخِلْقَةِ مِثْلَ الْفَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ
حَيَوَانَاتٍ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانَاتٍ آخَرَ كَالرَّايِ . وَإِنَّمَا
أَلْفَوْا هَذِهِ الصُّوَرِ وَسَمَّوْهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ اسْمٌ
يَعْرِفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنْ الصُّورَةِ وَمَوْقِعَهُ مِنْ
فَلَكَ الْبُرُوجِ وَبَعْدَهُ مِنَ الشِّمَالِ أَوْ الْجَنُوبِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَمُرُّ
بِأَوْسَاطِ الْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالطَّلَعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ مِنْ جُمْلَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَعْطَى لِكُلِّ فَصْلٍ طَبْعًا مُنَايَا لِمَا
قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ وَرُودُ الْفُصُولِ عَلَى الْأَبْدَانِ بِالتَّدرِجِ .
فَلَوْ أَنَّ قِلَ مِنْ الصَّيْفِ إِلَى الشِّتَاءِ دَفْعَةً لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرٍ عَظِيمٍ
فِي الْأَبْدَانِ . فَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَغْيِيرِ الْهَوَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحَرِّ
إِلَى الْبَرْدِ كَيْفَ يَظْهَرُ مُقْتَضَاهُ فِي الْأَبْدَانِ . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا
التَّغْيِيرِ فِي الْفُصُولِ . فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ . وَكَثُرَ امْتِنَانُهُ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ بَرْجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 أَسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ . وَاعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ
 وَهَبَّ النَّسيمُ . وَذَابَتِ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
 وَنَبَتَ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ
 الْعُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأَلَا الزَّهَرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَانْفَتَحَ النَّوْرُ .
 وَأَخْضَرَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكُونَتِ الْحَيَوَانَاتُ
 وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَتَبِعَتِ الْبِهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرْعُ . وَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
 الْبِلَادِ عَنْ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّتْ وَتَرَيَّتْ
 لِلنَّاطِقِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ دَائِبًا وَدَابَّ أَهْلُهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
 آخِرَ الْجُوزَاءِ . فَحِينَئِذٍ أَنْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ

وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 تَمَاضَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَأَشْتَدَّ
 الْحَرُّ وَتَخَنَ الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَذْرَكَ الثَّمَارُ
 وَجَفَّتِ الْحُبوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسَمِتَتِ الْبِهَائِمُ .
 وَأَشْتَدَّتْ مُوَةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَانْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
 وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الْحَرِّ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
 الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السَّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضِبَتِ الْمِيَاهُ . وَبَيْسَ
 الْعُشْبُ وَأَذْرَكَ الْحَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَاتَّسَعَ لِلنَّاسِ الْقُوتُ
 وَلِلطَّيْرِ الْحَبُّ وَلِلْبَهَائِمِ الْعَلْفُ . وَتَكَامَلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتِ

الدُّنْيَا كَانَهَا عَرُوسٌ مُنْعَمَةٌ بِالْعَةِ كَامِلَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوْتِي . فَلَا يَزَالُ
الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السَّنْبِلَةِ فَيَحْتَدِ أَقْبَلَ الْخَرِيفُ
وَأَمَّا الْخَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُولِ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْتَوِي
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ الْآيِلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ
الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشْوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدَأَ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَلِخَرِيفٍ
زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَيَحْتَدِ بِرَدِّ الْمَاءِ
وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغْيَرُ الزَّمَانُ وَنَقَصَتِ الْمِيَاهُ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
الْعُيُونُ . وَيَبَسَتْ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتْ الْقَتَادُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
وَالثَّمَرِ وَعَرِيَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ دَبِيبِهَا . وَمَاتَتِ الْهُوَامُ وَانْتَحَرَتِ
الْحَشَرَاتُ . وَانْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطْلُبُ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِئَةَ
وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوتَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْغَلِيظَةَ مِنْ
الْقِيَابِ . وَتَغْيَرُ الْهُوَامُ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَانَهَا كَهْمَةً قَدْ وَلَتْ أَيَّامَ شَبَابِهَا
إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ انْتَهَى الْخَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ الْجُدِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
طُولُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ .
وَحَشَنَ الْهُوَامُ وَتَغَرَّتِ الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتْ بُطُونُهَا وَمَاتَ
أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَانْتَحَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُهُوفِ
الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثُرَ الْأَنْدَاءُ . وَنَشَأَتِ النُّيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ
وَكَلَّمَ وَجْهَ الزَّمَانِ . وَهَزَلَتِ الْبِهَائِمُ وَضَعُفَتْ قُوَى الْأَبْدَانِ . وَمَنَعَ

الْبَرْدُ النَّاسَ عَنِ التَّصَرُّفِ وَصَرَ عَيْشُ أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ اللَّيْلُ
 الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرْدَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَانْقَطَعَ
 الذُّبَابُ وَالتَّبَعُوضُ وَعَدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْهُوَامِ . وَيَطِيبُ فِيهِ
 الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالِاسْتِمْتَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
 زَمَانُ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَفُلْ دِمَاعُهُ صَائِقًا لَمْ تَفُلْ
 قِدْرُهُ شَايِتًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَةٌ دَنَا مِنْهَا الْمَوْتُ . فَلَا
 يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدْ أَنْتَهَى الشِّتَاءُ
 وَأَقْبَلَ الرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالثَّلُوجُ عَلَى الْجَبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
 الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الثَّلُوجُ وَتَقِضُ إِلَى الْأَهْوِيَةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
 مَخْرُوتَةٌ فِيهَا وَتَمْتَلِ الْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ
 مَنَافِذُ ضَيْمَةٍ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ الْمَنَافِذِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا
 جَدَاوِلُ . وَتَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
 كَانَتْ الْخِزَانَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَرِجِرُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا
 تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتَهَا لَوْصُولِ مَدَدِهَا مِنْ
 الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتْ الْخِزَانَاتُ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
 الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدَدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
 فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطُّعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِي مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبَحَارِ أَوْ الْبَطَاحِ . وَفِي مَرِّهَا تَسْقِي الْمَدْنَ وَالْقُرَى وَمَا
فَضْلُ يَنْصَبُ إِلَى الْبَحَارِ . ثُمَّ يَرِقُّ وَيَلْطَفُ وَيَنْصَاعِدُ فِي الْهَوَاءِ بُخَارًا
وَيَتَرَاكُمُ مِنْهُ الْغُيُومُ وَتَسُوقُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَاري . وَيَمُطَرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاضِلُهُ إِلَى
الْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَائِبُهُ وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طَبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خُلِقَتْ
بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ الْغَلْظِ وَالْتِمَاسِكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا لَمَا أَمَكَّنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمِقْدَارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا
انْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارُ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ الْعَمِيقَ الْأَعْظَمَ لِحَاطٍ بِكَثْرَةِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفِ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاقٍ عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةٍ
غَائِصَةٍ فِي الْمَاءِ يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ مُحْدَبًا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةً مَلَسَاءَ
وَلَا مُصَمَّتَةً بَلْ كَثِيرَةً الْأَرْتِفَاعِ وَالْإِنْخِفَاضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخُجَّانٌ . وَكُلُّهَا

مُمْتَلِئَةٌ مِيَاهًا. وَبُخَارَاتٍ وَرُطُوبَاتٍ ذَهَبِيَّةٌ. وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
شَيْءٌ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
وَصُورِهَا وَمِزَاجِهَا وَأَلْوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلُهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا
وَمُدَبِّرُهَا. مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ
وَلَا يَأْبِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ آرَاءُ الْقَدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ:
إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي السَّطْحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ عَلَى شَكْلِ الْتُرْسِ وَلَوْلَا
ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ. وَالَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ
جَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَةِ. وَمِنْ الْقَدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
فِثَاغُورَسَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةً دَائِمًا عَلَى الْأَسْتِدَارَةِ وَالَّذِي
يُرَى مِنْ دَوْرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرُ الْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّتْ مِنْ الْمَاءِ أَجْزَاءً
لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا.
فَإِذَا ارْتَفَعَ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَاخَلَا هَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
وَتَكُونُ مِنْ قُدَاهِمَا جِبَالٌ شَاخِجَةٌ مَائِنَةٌ وَمِنْ فَوْقِهَا يَرْدُ الزَّهْرُ وَمِنْ
أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُتَّصِلَةٌ فَلَا يَزَالُ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ يَكْتَرَانِ وَيَنْظُرَانِ
فِي الْهَوَاءِ وَتَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضِ حَتَّى يَنْخَنَ فَيَتَكُونُ مِنْهَا
سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَاكِمٌ. ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا ارْتَفَعَ انْتَضَمَتْ أَجْزَاءُ الْبُخَارِ

ثُمَّ تَلْتِمُ تِلْكَ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا. فَتَمُتُ
وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلُ. فَإِنْ كَانَ صُعودُ ذَلِكَ الْبَخَارِ بِاللَّيْلِ
وَالْهَوَاءِ شَدِيدَ الْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ الصُّعُودِ وَأَجْمَدَهُ أَوَّلًا فَصَارَ سَحَابًا رَقِيقًا.
وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرِطًا أَجْمَدَ الْبَخَارَ فِي الْعَمِيقِ وَكَانَ ذَلِكَ تِلْجَالًا لِأَنَّ الْبَرْدَ
يُجْمَدُ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ فَتَخْتَلِطُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرِّفْقِ فَلِذَلِكَ
لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقَعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلْمَطَرِ وَالْبَرْدِ. وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
دَافِقًا ارْتَفَعَ الْبَخَارُ فِي الْعُيُومِ وَتَرَاكُمُ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ
مَنْدُوفٍ. فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدٌ أَوْ زَمْهَرِيرٌ مِنْ فَوْقٍ غَلِظَ الْبَخَارُ وَصَارَ مَاءً
وَأَنْصَمَتْ أَجْزَاؤُهَا فَصَارَ قَطْرًا. وَعَرَضَ لَهَا الثَّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
سَمَكِ السُّحَابِ وَمِنْ تَرَاكُمِهَا تَلْتِمُ تِلْكَ الْقَطَرَاتُ الصِّغَارَ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا. فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
بَرْدٌ مُفْرِطٌ فِي طَرِيقِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ. وَإِنْ
لَمْ تَبْلُغِ الْإِبْخِرَةَ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَثُرَتْ صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ
قَلَّتْ وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ تَنْجَمِدْ نَزَلَتْ طَلًّا وَإِنْ أُنْجَمَدَتْ نَزَلَتْ صَفِيمًا
فِي الرِّجْدِ وَالْبَرَقِ وَمَا يَتَعاقَبُ بِذَلِكَ

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَلَّتْ مِنْهَا أَجْزَاءُ
نَارِيَّةٌ مُخَالِطُهَا أَجْزَاءَ أَرْضِيَّةٍ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْخُجُوعُ دُخَانًا. ثُمَّ الدُّخَانُ
يُمَارِجُهُ الْبَخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ. فَيَنْعَقِدُ

الْبُخَارُ سَحَابًا وَيَحْتَسِسُ الدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ الصُّعُودَ
 وَإِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يَمْزِقُ السَّحَابَ تَزْرِيقًا عَنِيْقًا
 فَيَحْدُثُ مِنْهُ الرَّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لَشِدَّةِ الْحَاكَةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ الْبَرْقُ
 إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتَحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
 قَرُبًا تُذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى أَلْبَابٍ وَلَا تَضُرُّ الْحَشَى وَرُبَّمَا تُذَوِّبُ الذَّهَبَ
 فِي الْحِرْقَةِ وَلَا تَضُرُّ الْحِرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُّ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْقُهُ وَقَدْ تَقَعُّ عَلَى
 الْمَاءِ فَيَحْرِقُ فِيهِ حَيَوَانَهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدُثَانِ مِمَّا
 لَكِنْ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرَّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحْصُلُ
 لِمَحَاذَةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُضُوحِ الصَّوْتِ إِلَى الصِّمَاحِ
 وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمُوجِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابُ النَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُضُوحِ
 الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَصَارَ إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجَرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
 يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجَرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بَرَمَانٍ .
 وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِقِلَّةِ الْبُخَارِ الدُّخَانِيِّ . وَلِهَذَا لَا
 يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ زُيُولِ الثَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يُطْفِئُ الْبُخَارَ
 الدُّخَانِيَّ . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُّ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِتَكَاثُفِ أَجْزَاءِ الْعَمَامِ .
 فَإِنَّمَا إِذَا تَكَثَّفَتْ انْتَحَصَرَ الْمَاءُ فَإِذَا نَزَلَ نَزَلَ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا احْتَبَسَ الْمَاءُ
 ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يُجْرِي جَرِيًّا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ لِلْقُرُونِيِّ)

(هـ) قد انضغ الآن للطبيعيين المحدثين ان البروق والرعود مسببة عن الكهرباء وقد

أتوا على شرح ذلك في كتبهم

أَلْبَابُ التَّاسِعِ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والأمراء

كتاب الحق الطوسي إلى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٢م)
٣٥٠ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ رَزَقْنَا بِغَدَادَ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ فَدَعَوْنَا مَا لِكُمَا إِلَى طَاعَتِنَا فَأَتَانِي. فَحَقَّ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فَأَخَذَ نَاهُ أَخَذًا وَبِيلاً وَقَدْ دَعَوْنَاكَ إِلَى طَاعَتِنَا فَإِنْ أَتَيْتَ فَرَوْحَ وَرِيحَانَ وَجَنَّةَ نَعِيمٍ. وَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا سَاطِنَ مِنْكَ عَلَيْكَ. فَلَا تُكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنْ حُفَّتِهِ بِظَلْفِهِ. وَالْجَادِعِ مَارِينَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ. وَالسَّلَامُ
ذكر مراسلة تيمور سلطان عراق العجم أبا الفوارس شاه شجاع

٣٥١ إِنْ اللَّهَ تَعَالَى سَلَطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظِلْمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ. وَرَقَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَ نِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. وَقَدْ رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنَعَمْتَ. وَإِلَّا فَأَعْلَمْ أَنَّ قَدَامَ قَدَمِي ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ الْحَرَابَ وَالْفَقْطَ وَالْوَبَاءَ. وَإِنْهُمْ كُلُّ ذَلِكَ مَا يُدْ عَلَيْكَ وَمُنْسُوبٌ إِلَيْكَ (أخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن زكريه إلى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عِنْدِ أَمْهَدِي الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ حَمِيدِ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَنْهَيْتُ إِلَيْنَا مَا حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكَفَرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِأَحْسَنِكَ مِنْ

الظلم والغيث والفساد في الأرض . فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُفْعِدَ
إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُوشِنَا مَنْ يَنْتَقِمُ لَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . فَأَنْفَعْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ
حِمَصَ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْمَصِيرِ إِلَى نَاحِيَتِكَ لِطَلَبِ
أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجَرِّتَنَا اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ
عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْتَالِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقُلُوبُ مَنْ
اتَّبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَانَا وَثِقًا بِاللَّهِ وَبِنَصْرِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُعَوِّدُنَا فِي كُلِّ
مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَاتَّخَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتُبَادِرِ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ
وَمَا يَخْدُثُ فِيهَا وَلَا تُخْفِي عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حلب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صدر هذا المكتوب العليُّ الأماميُّ عن الأمير العلويِّ الذي
دَانَتْ لِعَاطَتِهِ الْكَرِيمَةِ مَمَالِكُهُ الْإِسْلَامِيَّةُ . وَأَنْقَادَتْ لِدَعْوَتِهِ الشَّرِيفَةِ
الْأَقْطَارُ الْمَغْرِبِيَّةُ . وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ الْعَالِيَةِ جَبَابِرَةُ الْمُلُوكِ السُّودَانِيَّةِ .
وَأَقْطَارُهَا الْقَاصِيَّةُ وَالْدَّانِيَّةُ . إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ
وَالْمِلَلِ الْمَسِيحِيَّةِ الرَّتْبَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ السَّامِيَّةُ . سُلْطَانِ
فَرَانْصَةِ لُوزِ أَنْبَنِ السُّلَاطِينَ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَانَةُ السَّامِيَّةُ الْمُنَارِ
أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْحَمْدِ وَمُسْتَحَقِّهِ فَكُنَّا بِهَا هَذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَتِنَا
الْعَالِيَةِ مَدِينَةِ مُرَاكَيْشَ وَلَا زَائِدَ إِلَّا مَا سَنَاهُ لَا يَأْتِلُنَا الشَّرِيفَةُ مِنْ عَوَائِدِ

النَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ. وَصَنَعَ اللَّهُ الْجَمِيلَةَ الْمُفْعَمَةَ السَّجَالِ. الْمَثَالَةَ فِي الْبُكَرِ
وَالْأَصَالِ. لِلَّهِ الْمِنَّةُ وَالشُّكْرُ. هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
خَدِيمُكُمْ الْمَرْعِيُّ الْمُخَوَّطُ الرَّزِيلِيُّ عَلَى مَرْسِي تَغْرِ أَسْفِي الْخَرْوَسِ بِاللَّهِ
وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمَصْحُوبَ مَعَهُ لِحُدَامِنَا الَّذِينَ بِالتَّغْرِ بَادَرُوا بِوُصُولِهِ إِلَيْنَا
فِي الْفُورِ. فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْنَاهُ فِيهِ مِنْ تَقْرِيرِ الْحَبَّةِ وَتَأْسِيسِ
الْهُدْنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ. إِلَى مَا أَشْرَفْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْفَرَانِصِيِّنَ
الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ. فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أَتَمَّ الْأَخْذِ
وَأَكْمَلَهُ. إِلَى أَنْ اسْتَوْفِيَ ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَاجْمَلِهِ. وَأَجَبْنَاكُمْ
عَنْ فُضُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ بِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُحْبَةَ خَدِيمِنَا
الْوَجِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيهِ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَنَاقِيِّ. قَصْدُ أَنْ
يَلْتَقِيَ مَعَ خَدِيمِكُمْ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْإِجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ. وَإِنْ
تَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثُ لِحُدَامِنَا مَنْ يَفُومُ مَقَامَهُ مِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ وَمِثْلَاتِهِ
فِي أَغْرَاضِكُمْ لِيَسْلَمَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَغْرَاضِ
الْجَانِبَيْنِ. ثُمَّ إِنْ خَدِمْنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَلَغَ تَغْرِ أَسْفِي فَقَدْ خَدِيمُكُمْ مِنْ
الْمَرْسِيِّ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَقْلَعْنَا مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. فَأَقْصَصْ بَعْضَ
الْحُدَامِ أَثَرَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا. هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمُكُمْ عَلَى عِلْمٍ
وَيَقِينٍ أَنَّ خَدِمَنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَقَلِقَ قَبْلَ
وُصُولِهِ. وَالْحَدِيمُ الَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَغْرَاضِ نَسِيدِهِ لَا يَسْتَغْرِهُ شَيْءٌ
عَنْ قَضَائِهَا وَلَا يَتَنَبَّيْ لَهُ إِلَّا زُرْعَاجٌ قَبْلَ اسْتِفَائِهَا. فَعَرَفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لُتَوْفُوا أَتْنَاكُمْ نُقْصِرُ فِي أَغْرَاضِكُمْ الْمُتَلَقَّاةَ لَدُنَا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ
أَلَكْتُبُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَيْعِ النَّبَوِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسا

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مَرَاكُشٍ وَفَاسٍ وَكَافَّةِ الْأَقَايِمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
خَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ. وَأَعَزَّ أَمْرَهُ. وَأَدَامَ سُلُوكَهُ وَفَخْرَهُ. وَأَشْرَقَ فِي فَلَاحِ
السَّعَادَةِ شَمْسَهُ وَبَدَّرَهُ. إِلَى عَظِيمِ جَنْسٍ الْإِفْرَنْصِيصِ الْمُتَوَلِّي
أَمْرِهِمُ الرِّيُّ لُوِيْذُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَأْرِيحُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مِائَةِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفِ الْمُتَمَتِّنِ الْإِخْبَارِ
يَمُوتُ جَدُّكَ الرِّيُّ لُوِيْذُ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قَوْنُصُوكُمْ بَرْطُلُمِي
دِ بَطْنِيرٍ. وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيْذُ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ حُبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ يَحْسِنُ السِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ. وَلَهُ خَنَانَةٌ فِي رِعِيَّتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَفَرَحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقِي مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ يَخْلُقُهُ
فِي الْمُلْكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ. وَمَا زَالَتْ تَسْعُدُ بِكَ
رِعِيَّتُكَ أَكْثَرًا مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصَّلَاحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ. ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سَفْنًا مِنْ سَفْنِ الْفَرَنْصِيصِ حَرَّثُوا
بِأَقْصَى أَيَالَتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّخْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلَمٍ مِنَ الْفَرَقِ
مِنَ النَّصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ. وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

خُدَامَنَا لِلصَّخْرَاءِ لِنُوجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعِيًّا لِلْمَهَادَةِ
وَالصَّلَاحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصِلُكَ سِتَّةٌ مِنَ الْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا
صِلَةً مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخَدِينَا الْمَذْكُورَ لَا تُبْطِئُوهُ عِنْدَكُمْ وَوَجْهُهُ إِلَيْنَا عَزْمًا
بَعْدَ قَضَاءِ الْفَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمَهَادَةِ وَالصَّلَاحِ .
أَتَتْهُ . صَدَرَ الْأَمْرُ بِكِتَابِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الزَّيْتُونِ فِي عَاشِرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥) لِلْمَسِيحِ

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبُّ إِلَيْكَ سَائِي الطَّرْفِ تَحْوِكَ وَذِكْرُكَ مُلْصَقٌ لِبِلْسَانِي .
وَأَسْمُكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهْوَاتِي وَشَخْصُكَ مَاثِلٌ بَيْنَ عَيْنِي . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخْذُهُمْ بِجَمَاعٍ هَوَايَ . صَادَفْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ تَحْمُودٍ عَلَى الْإِنْفِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زَمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَقُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل إلى صديقه له يدعوهُ إلى مَادِيَةِ

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةِ لَنَا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةِ تَضَاجُحِ الشَّمْسِ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتْ السَّمَاءُ تَعْلَمُهَا فِيهِ مُشْرِقَةُ يَمَانِهَا . حَالِيَةُ بِنَوَارِهَا . فَرَأَيْكَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ مِنْ أَسْتِمْتَاعِ بَعْضِنَا بَعْضًا

(فَكُتِبَ إِلَيْهِ): هَذِهِ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوَجِبَ
 أَنْتَجِعَهَا وَحَثُّ الْمَطِيِّ فِي ابْتِغَائِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
 وَتَجْمَعُ إِلَى أَنْ يَقْضَى مِنْظَرُهُ حُسْنَ وَجْهِكَ وَطِيبَ شَمَائِكَ. وَأَنَا الْجَوَابُ
 ٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: أَلْمُودَّةُ تَجْمَعُنَا
 مُحَبَّتُهَا. وَالصَّنَاعَةُ تُولِّفُنَا أَسْبَابُهَا. وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَخٍّ فِي لِقَاءٍ أَوْ
 تَخَلُّفٍ فِي مَكَاتِبَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنُنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشُّوقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَّامِنَا الَّتِي حَسَلَتْ كَانَهَا أَعْيَادُ.
 وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ. وَمِمَّا يُجِدُّهُ وَيُكْثِرُ دَوَاعِيَهُ
 تَصَاقُفُ الدَّيَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ. ثُمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةُ الْمَجْدَّدَةُ فِيكَ بِالنَّظَرِ
 إِلَى الْغُرَّةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا (لَابَنِ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخٍ لَهُ): أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِنْ عَالِي
 الظَّمَا بِفُرْقَتِكَ اسْتَوْجَبَ الرِّيَّ مِنْ رُؤَيْتِكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ
 لِي مِيعَادًا بِرِيارَتِكَ أَتَوْقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤَيْتِكَ وَيُونُسِي إِلَى حِينِ
 لِقَائِكَ فَمَلَّتْ. (فَأَجَابَهُ): أَخَافُ أَنْ أَعِدَّكَ وَعَدًا يَعْتَرِضُ دُونَ الْوَفَاءِ
 بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحُسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفُرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ): يَوْمَنَا طَابَ أَوَّلُهُ وَحَسُنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
 السَّمَاءُ بِقَطَارِهَا. فَحَلَّتِ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِهَا. وَبِكَ تَطِيبُ السَّمُولُ وَيُسْقَى
 الْغُلِيلُ. فَإِنْ تَأَخَّرْتَ فَرَقْتَ سَمَلَنَا. وَإِنْ تَعَجَلْتَ إِلَيْنَا نَظَمْتَ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ: ضَعْنِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للقيرواني)

كتاب زبدة الى المأمون بعد قتله انها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ
فَاطَالَ مُدَّتُكَ وَتَمَّ نِعْمَتُكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةُ الْوَالِهِ الَّتِي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَمَاتِ
لِحَمِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضُعْفِي وَأَسْتِكَانِي وَقَلَّةَ حَيَاتِي
وَأَنْ تَصِلَ رَجَائِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَأَفْعَلُ .
وَتَذَكَّرَ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورق لها وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ يَا أُمَامَهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ بِالرَّعَايَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ فِي شَهَادَةِ اللَّهِ جَمِيعُ مَا أَوْضَحَهُ فِيهَا . لَكِنَّ الْأَقْدَارَ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَالدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ . وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْعُدْرُ وَالْبَغْيُ حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مَا تَخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ

ثم أمر برد ضياعها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها واعادها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحسنة (حديقة الأفراح لليماني)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ الْهَدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطَفْتَ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعُ وَأَوْقَعُ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَرَتْ
بِي هِمَّةُ أَصَارَتْنِي إِلَيْكَ وَلَا أَحْرِي إِرْشَادُ دَلِّي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :
مَا قَصَرَتْ هِمَّةُ بَلَفْتُ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا الْأَنْدَاءِ وَالْكَرَمِ .
حَسْبِي بِوَدِّكَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَغَزَايَا وَاحِدَ الْأُمَمِ .

كتب احمد بن ابي طاهر مع هدية :

٣٦٥

مِنْ سُنَّةِ الْأَمْلَاجِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي حِدَّةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُولْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أَهْدَيْتُ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ .

أهدت جارية من جوارى المأمون تفاعلة له وكتبت اليه :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَأَفُّسَ الرَّعِيَّةِ فِي الْهَدَايَا إِلَيْكَ
وَوَازَرَ الطَّافِئِينَ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخَفُّ مَوَاسِيئَهُمْ وَتَهْوَنُ كَلْفَتُهَا
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا النِّعَتِ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
 الْعَدَدِ كَثِيرَةٍ فِي التَّقَرُّبِ . وَأَخْبَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَعْرَبَ لَكَ عَنْ
 فَضْلِهَا وَأَكْشَفَ لَكَ عَنْ مَخَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
 قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمُقَهَا بَعَيْنُ
 الْجَلَالَةِ وَتَلَحَّظَهَا بِمُحَلَّةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
 الْقَاصِمَةِ التَّفَاحُ اجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَلَوْنُ التَّيْرِ . يَلْذُّ بِهَا مِنَ
 الْحَوَاسِ الْعَيْنُ بِسُجَّتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْقَلَمُ بِطَعْمِهَا
 كَتَبَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ فِي الْمَهْرَجَانِ :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْعَادَةُ بِالْطَّافِ الْعَبِيدِ لِلْسَّادَةِ . وَإِنْ
 كَانَتْ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ الْهَمَّةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أَبْلُغُ
 مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَايِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرَجَانِ
 جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
 وَعَبْدًا حِينَ تَكْرِمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنْ لَا يِعْزُّ عَلَى الْهُوَانِ
 تَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِ

فصل في التهنة

كُتِبَ السُّلْطَانُ الْعَزِيزُ إِلَى ابْنِ مَقْسَرِ الطَّبِيبِ النَّصْرَانِيِّ يَهْنُئُهُ بِإِثْنِهِ مِنْ مَرْضِهِ

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِنَا سَلَّمَ اللَّهُ سَلَامُ اللَّهِ الطَّبِيبُ
 وَأَتَمَّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْبَشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّبِيبِ

وَرِيَّةٌ . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصِّحَّةِ فِي
جَسَدِنَا أَقَالَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَدَكَ مِنْ صِحَّةِ
الْجَسَمِ وَطَيِّبَةِ النَّفْسِ وَخَفَضِ الْعَيْشِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لَا بِي الْفَرَجِ)

في التروية

كتاب أبي بكر إلى يزيد ابن أبي سفيان

٣٦٩ إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعْنَفَ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغْضِبَ قَوْمَكَ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَاسْتَعِمْ الْعَدْلَ وَابْعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلَاقُوا لَهُمْ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَرَهُ الْإِمْتِحَافُ
لِقَتَالٍ أَوْ مُخِيزًا إِلَى فِيهِ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نَصَرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَقْرُبُوا أَمْثَلًا
وَلَا تَحْرِقُوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُثْمَرًا . وَلَا تَقْرِؤْوا بَيْمَةً إِلَّا
بَيْمَةَ الْمَأْكُولِ . وَلَا تَغْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا إِذَا صَاحْتُمْ .
وَسَتْمُرُونَ عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رُهْبَانٍ رَهَبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْفَرُوا إِلَيْهِ وَأَرْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ

(تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ . وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَرَاهُ . فَأَجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ

(للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيَسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيَنْفِذُ أَمْرَكَ .
فِيَالهَا نِعْمَةٌ إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطْعِمَكَ عَلَى مَنْ ذُوْنَكَ فَاحْتَرَسْ
مِنَ النِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنْ احْتِرَاسِكَ مِنَ الْمُصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْقُطَ
سَقْطَةً لَا شَوَى لَهَا وَتَعْتَزَّ عِزَّةً لَا لَهَا (أَيُّ لَا إِقَالَتهُ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْدَةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي
الْحَرْبِ . وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي
مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْحَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ .
وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عَدَّتُنَا
كَعَدَّتِهِمْ . فَإِنْ أَسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ .
وَالْإِثْرُ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ تَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ
حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا
وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا تُجَشِّمُهُمْ مَسِيرًا يُتَبِعُهُمْ . وَلَا
تُقْصِرْ بِهِمْ عَنْ مَنَزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ حَتَّى يَلْفُتُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ

قوتهم فإنهم سارون إلى عدو مُعِمْ حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ . وَأَقِمَّ
 بَيْنَ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً . حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُجَيِّونَ فِيهَا
 أَنْفُسَهُمْ وَيَذْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ . وَنَحْ مِنْ أَرْزَلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ
 الصَّلْحِ وَالذَّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَحْبَابِكَ إِلَّا مَنْ تَبَقَّى بِيَدِيهِ . وَلَكِنْ عِنْدَكَ
 مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصِيحِهِ وَصِدْقِهِ . فَإِنَّ
 الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ . وَلَكِنْ مِنْكَ عِنْدَ
 دُؤُوكَ مِنَ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تَكْثُرَ الطَّلَائِعُ وَتَبُثَّ السَّرَايَا بَيْنَكَ
 وَبَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَذْكَ أَحْرَاسِكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَقِظُ مِنَ أَلْيَاتِ جُهْدِكَ .
 وَاللَّهُ وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَلِيُّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

فصول في الذم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ طَرِيقًا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ
 إِلَيْكَ . فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ . وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي
 الْمَعْرُوفِ أَنْ تَحْقِرَهُ . وَفِي وَلِيهِ أَنْ تَكْفُرَهُ

كتاب أبي العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ نَائِكَ بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ
 وَدَرَائِعِ الْحَمْدِ فَرَأَا مِنْ الْفَقْرِ وَرَجَاءَ لِلْفَنَى وَأَزْدَدَتْ بِهِمَا بُعْدًا مِمَّا
 فِيهِ تَقَرَّبْتُ وَقُرْبًا مِمَّا فِيهِ تَبَعَّدْتُ . وَقَدْ قَسَمْتُ اللَّائِمَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 لِأَنِّي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتَ فِي مَنْبِيِّ . أَمَرْتُ بِالْأَلْيَاسِ مِنْ

أَهْلِ الْبُخْلِ فَسَأَلْتَهُمْ . وَنَهَيْتَ عَنْ مَنْعِ أَهْلِ الرِّغْيَةِ فَمَنْعَهُمْ

فصل لابراهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُضَرِّفُ فِي آثَارِهَا . وَقَدْ كُنْتُ أُحِلُّ مَوَدَّتَكَ بِالْحَلِّ النَّفِيسِ وَأُزْهِلُهَا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدَ الضَّعَةِ وَضَرَعَتِكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَعَبُكَ عِنْدَ الْإِسْتِغْنَاءِ وَأَطْرَاحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَحَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَمَدَّ عَاقِبِي الشَّاكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . ابْتَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ وَأَعَقَّبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأَظْهَرَنِي أَوَّلَكَ فِي إِخَانِكَ وَآيَسَنِي آخِرَكَ مِنْ وَقَائِكَ . فَسَبَّحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْنَعْنَا عَلَى اتِّتْلَافٍ وَافْتِرَاقِنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وله ايضا في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تَحْتَجِّجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَانِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَأُخْبَاسِ جَوَابَاتِهَا عَنِّي . لَكِنَّ الثَّقَّةَ بِمَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعَذُّرُكَ وَتَحْسِنُ مَا يَقْبِجُهُ جَفَاؤُكَ . وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا يَا

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ أَمَقَّتَحُ بِالْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَالتَّقْرِيعِ اللَّطِيفِ
فَلَوْلَا مَا غَلَبَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَّعْتُ غَمًّا بَعَثَ بِكَ الَّذِي
لَطَفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَغَلُظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَلَه . فَلَا أَعْدِمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَيَّ مَا اسْتَحَقَّهُ
عَتَبُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي الْخُرُجُ مِنْهُ (لابن عبد ربّه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنْ أَلْفُضَلَ بَنُ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِذْمَانِ اللَّذَاتِ عَنْ
النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرَّعِيَّةِ

فلما قرأه الرشيد روى به الى يحيى وقال له : يا أباي أقرأ هذا الكتاب وأكتب اليه بما يردمه
عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفِظَكَ اللَّهُ يَا بَنِيَّ وَأَمْتَعَ بِكَ . قَدْ أَنْتَهَيْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا
أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوِمَةِ اللَّذَاتِ عَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
الرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ قَعَاوِدُ مَا هُوَ أَزِينُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ
يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ (لابن خلكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٣٨٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْتِ الْخِلَافَةِ
بِفَيْزِ كَلَامِ الْأَمْرِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَا بُلُ الْهُوَى
وَالرَّأْيِ لِلنَّاكِتِ الْخُلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كُلُّمَا بَلَغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ
لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرُ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَرَكَاثُهُ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا فَتَدَبَّرْهَا :

رُكُوبُكَ الْهُولَ مَا لَمْ تَلَقْ فُرْصَتَهُ جَهْلُ رَمَى بِكَ بِالْإِقْحَامِ تَغْرِيدُ
أَهْوَنُ بِدُنْيَا يُصِيبُ الْخَطِيطُونَ بِهَا حَظُّ الْمُصِيبِينَ وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ
فَأَزْرَعُ صَوَابًا وَخُذْ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَذْيِيرُ
فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْذُورُ
وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَظَفِرْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلُ أَعَانَتِهِ الْمُقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
وَشَهَرْتَ بِمَحَاسِنِهَا . فَتَنَافَسَ الْأَخْوَانُ فِيكَ يَتَسَدَّرُونَ وَدَكَ
وَيَتَمَسَّكُونَ بِحَبْلِكَ . فَمَنْ أَثَبَّتَ لَهُ عِنْدَكَ وَدًّا وَضَعَ حُلَّتَهُ مَوْضِعَ حِرْزِهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدير :

٣٨٢ إِنْ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنَظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ الْقَضْلَ فَإِذَا انْتَهَوْا
إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ . وَيَتَنَافَسُونَ الْمَسَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ .
فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ . وَيُقَدِّمُهُ
أَخْتِيَارَكَ . وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافَقَتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
طَاعَتِكَ . (وَلَهُ) . إِنْ مِمَّا يُطْمَعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ . وَيَزِيدُنِي
بَصِيرَةً فِي الْعِلْمِ بِدَوَائِمِهَا لَدَيْكَ أَنْتَ أَخَذْتَهَا بِحَبْلِهَا وَاسْتَوْجَبْتَهَا بِمَا
فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَّامَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلَّلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجُنُّ إِلَى غُنْصِرِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مَنَّتَهُ وَزَلَّ فِي مَغْرِبِهِ ضَرْبَ بَعْرِقِهِ وَسَبَقَ بَفْرِعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةَ وَتَفَتَّكَ تَفَتَّكَ الطَّبِيعَةَ

فصل له ايضا

٣٨٣ السَّيْفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا اسْتَعْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيُظْهَرُ فِرْنَدُهُ لِلَّيْنِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمُ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عَجَبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ :
زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ
تَتَنَاسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَاكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمَسْدُودِ بِهِ ثَلَمُهُمُ الْمُجَدِّدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَالْمُحْيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَإِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْ مِنْ كُنْتَ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ
سَبِيلِهِ . وَلَا أَنْحَتِ أَعْلَامُ مَنْ خَلَقْتَهُ فِي رُبَّتِهِ

فصول في التمازي

فصل لعبد بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ
فِيكَ . وَإِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي اللَّهِ الْعَزَاءُ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَالْخَلْفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
الصَّبْرَ بِعَقِبِهِ الْأَجْرُ وَالْجَزَعُ بِعَقِبِهِ الْهَلْعُ . فَمَسَّكَ بِمِحْطِكَ مِنَ الصَّبْرِ تَبَلُّ
بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتُذَرِّكَ بِهِ الَّذِي تَأْمُلُ (لابن عبد ربه)

كتب ابن السماك الى هارون الرشيد يعز به بوليد :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أُسْتَطِفْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
فَأَقْعِلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هِبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهْفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتَ الدَّارَ
لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِأَنْفِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكَدْرِ وَبَقِيَ أَنْتَ
مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامِ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شبيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس قتال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ ثَوَابَ مَا رُزِيتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
وَحَتَمَ ذَلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ

رسائل الى عليل

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ الْأَشَارِكِ
فِيهَا بِأَنْ يَتَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَتِي
مُخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَمَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤَلِّمُكَ . فَأَنَا عِلِيلٌ مَصْرُوفُ الْعِنَايَةِ
إِلَى عِلِيلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يَخْصِنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنَّ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتَ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَالِلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي صَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق يوصي ابن ابي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطُهُ بِيَمِينِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهْنِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةٍ هَذَا مَوْفَعَهَا مِنِّي . أَتُرَانِي أَقْبِلُ الْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ
عَلَيْهَا . وَابْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصَفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِيْنَا
تَبْسِطُ يَدَيْهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَكُتِفَ بِهَذَا مِنَّا . (وَلَهُ) كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بَيْنَ كُتُبِ لَهُ وَائِقٍ بَيْنَ كُتُبِ إِلَيْهِ . وَلَنْ يُضِيعَ بَيْنَ
الثَّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ . فَلَانٌ قَدْ اسْتَعْنَى بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِ إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةً لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةً إِلَى مُصْطَنِعِهِ . فَسَطَّ اللَّهُ
يَدَكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) مُوَصِّلُ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنِ مُشَاهِدَتِي وَخِلَافَتِي .
فَلِسَانُهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتُ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصُرَتْ فِيهِ (لَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)

الْبَابُ الْعَشْرُونَ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ

نظر في أمة العرب وطباعهم وسكانهم

٣٩١ إَعْلَمَ أَنَّ الْعَرَبَ مِنْهُمْ الْأُمَّةُ الرَّاخِلَةُ النَّاجِمَةُ . الْحَيَامُ
لِسُكْنَاهُمْ وَالْحَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَالْأَنْعَامُ لِكَسْبِهِمْ . يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقَاتِلُونَ
مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَّخِذُونَ الدِّفْءَ وَالْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ
أَثْقَالَهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَازَلُونَ جَلَلًا مُفْتَرِقَةً وَيَتَنَعُونَ الرِّزْقَ فِي
غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الْقَنْصِ وَتَخْطِفِ النَّاسَ مِنَ السُّبُلِ . وَيَقْبَلُونَ
دَائِمًا فِي الْجَلَالَاتِ فِرَارًا مِنْ حِمَارَةِ الْقَيْظِ تَارَةً وَصَبَارَةً الْبَرْدِ أُخْرَى .
وَأَتَجَاعَلُوا لِرَاعِي غَنَمِهِمْ . وَارْتَبَدُوا لِمَصَالِحِ إِبِلِهِمْ الْكَفِيلَةِ بِمَعَاشِهِمْ وَحَمْلِ
أَثْقَالِهِمْ وَدِفْعِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَاتَّخَصُّوا لِذَلِكَ يَسْكُنِي الْإِفْلِيمُ الثَّلَاثِ .
فَعَمَرُوا أَيْمَنَ وَالْحِجَازَ وَنَجْدًا وَتِهَامَةً وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِإِخْتِصَاصِ هَذِهِ
الْأَلَادِ بِالرِّمَالِ وَالْقِفَارِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَرْيَافِ الْأَهْلَةِ بَيْنَ سِوَاهُمْ مِنْ
الْأُمَمِ فِي فَصْلِ الرَّيْعِ وَزُخْرِفِ الْأَرْضِ لِرَغْيِ الْكَلَامِ وَالْعُشْبِ
فِي مَنَابِتِهَا وَالثَّقَلِ فِي نَوَاجِيهَا إِلَى فَصْلِ الصَّيْفِ لِمُدَّةِ الْأَقْوَاتِ فِي
سَلَتِهِمْ مِنْ حُبُونِهَا . وَرُبَّمَا يَلْتَقِي أَهْلُ الْعُمُرَانِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مَعْرَاتٍ مِنْ
أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ السَّابِلَةِ وَرَغْيِ الزَّرْعِ مُخْضَرًّا وَأَتْنَاهُ بِقَائِمًا وَحَصِيدًا .
إِلَّا مَا حَاطَتْهُ الدَّوْلَةُ وَذَادَتْ عَنْهُ الْحَامِيَةُ فِي الْمَمَالِكِ الَّتِي لِلسُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ

فِيهَا . ثُمَّ يَتَحَدَّرُونَ فِي فَصْلِ الْحَرِيفِ إِلَى الْقِفَارِ لِرَعْيِ شَجَرِهَا وَنَتَاجِ
إِبِلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَآمَاطَ بِهْ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفَرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ
وَوَظَمًا بَيْنَهُمْ مِنْ أَدَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مُسْتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرَّيْفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِفْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
صَاعِدِينَ وَمُنْخَدِرِينَ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْخَيْطِ فِي الْغَالِبِ
وَلُبْسُ الْعَمَامِ تِيْجَانًا عَلَى رُؤُوسِهِمْ . لِقُضَا مِنْ أُمَمِ الْبَرَبِ فِي حِمْلِ السِّلَاحِ
أَعْتَقَالَ الرِّمَاحِ الْخَطِيَّةَ وَهَجَرُوا تَكُتْبَ الْقِسِيِّ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمُطَرِّزِيُّ : اخْتَلَفَ فِي نَسَبِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْمَهُمْ أُشْتُقَ مِنْ
الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي صَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصَحُّ
أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فَهِيَ مِنْ تِهَامَةٍ وَدُعِيَ جِيلُهُمْ جَيْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا
كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشُرَائِعِ الدِّينِ وَالْكَبْرِ وَالْخُبْرِ . وَقَدْ
قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَبِيَّةٍ وَمُتَعَرَّبِيَّةٍ وَمُسْتَعَرَّبِيَّةٍ .
أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَهُمْ الْعَرَبُ الْأَوَّلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهُ تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
لِقِدَامِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبِيَّةُ فَهُمْ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ .
وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَّبِيَّةُ فَهُمْ وَلَدُ إِمَامَعِيلَ (نهاية الارب للنويري)

اخبار العرب العاربة او البائدة وهم القسم الاول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادٌ وَثَمُودٌ وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجَرَهْمٌ
الْأَوَّلَى . وَقَدْ لَسِمَ هَذَا أَجْلِيلُ الْعَرَبِ الْبَائِدَةِ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُمْ لَمْ

يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سَمِيَ أَهْلُ هَذَا الْجَبَلِ
 الْعَرَبِيَّةَ إِمَّا بِمَعْنَى الرِّسَاخَةِ بِالْعُرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلٌ أَلِيلٌ وَصَوْمٌ
 صَائِمٌ أَوْ بِمَعْنَى الْفَاعِلَةِ لِلْعُرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بُنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 الْيَمَنِ وَعُثْمَانَ إِلَى حَضْرَمُوتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ
 الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمُسْعُودِيُّ أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 شَدَادُ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي الْمَالِكِ وَأَسْتَوَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمْ
 اتَّخَلَّوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الثُّرَى فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يَتَخَوَّنُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَغْيٍ .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يَهْتَفُوا إِلَى دُعَائِهِ . فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي النَّارِ

وَأَمَّا جَدِيسُ وَطَسَمُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةُ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنَ
 أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرَهَا وَأَكْثَرَهَا ثَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ غَشُومًا مُطَادًا لَجْدِيسٍ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتْلَهُ غِيلَةً
 وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ
 بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلِثْقَادِمٍ أَنْقَرَا ضِهِمَ ذَهَبَتْ عَنْهَا حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَأَنْقَطَعَتْ عَنْهَا أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَّةُ

فَلَيْسُوا مِنْ أَلْبَانِدَةٍ بَلْ هُمْ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ وَبِهِمْ أَتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسُمِّيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبُ الْمُتَعَرِّبَةُ لِتَرْوُلِهِمْ بِالْبَادِيَةِ مَعَ الْعَرَبِ
الْعَارِيَةِ وَتَحَلُّقِهِمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ شَالِحِ بْنِ
أَرْفَحْشَدَ بْنِ سَامَ . وَقُحْطَانُ هَذَا مُعَرَّبُ يُقْطَانَ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ
أَرْضَ الْيَمَنِ وَلَيْسَ النَّجَاحُ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ
مُعَاَصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِيَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .
وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَادِيَةِ مُبْعَدِينَ عَنْ رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفِهِ
الَّذِي كَانَ لِأَوَّلِكَ فَأَصْبَحُوا بِمَحَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرَفُ
وَالنُّصَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْقَضَاءِ فَصَا لَهُمْ وَتَعَدَّدَ فِي جَوِّ الْقَفْرِ
أَفْحَاذُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَنَمَى عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعَمَالِقَةِ فِي
آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَاجَهُوهُمْ بِمَنَّاكِبِهِمْ وَأَسْتَجِدُّوا خُلُقَ الدَّوْلَةِ بِمَا أَسْتَأْنَفُوهُ
مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لأبن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْربُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعَاطِمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَيُسَمَّى يَمْنَاوِيَهُ
سُمِّيَتْ أَلْيَنُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَدَهُ بِالْحَيَّةِ : أَبَيْتُ اللَّعْنِ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا .
وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :
تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْربِ أَيْبِنَا فَصَرَّيْتُمْ مُعَرِّبِينَ ذَوِي تَفَرِّ
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامٌ وَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَفْرِ

وَمَلِكٌ بَعْدَ يَرْبِ ابْنِهِ يَشْجُبُ . وَكَانَ وَاهِي الْعَزِيمَةِ وَأَسْتَبَدَّ أَعْمَامُهُ بِمَا
 فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِكِ . وَمَلِكٌ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَأَكْثَرُ
 الْغَزْوِ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسَمِيَ سَبَأً . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
 وَمِنْ مُدُنِهِ مَارِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (لِلنُّوْرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ)

سَدِّ مَارِبُ وَتَفَرُّعُ بَنِي سَبَأَ

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأٌ فِي مَارِبِ سُدَّامًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ فَحَقَّنَ
 بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
 عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرَمَ وَمَاتَ
 قَبْلَ إِمَامِهِ فَأَتَتْهُ مَلُوكُ حِمِيرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنْ الْيَمِينِ
 وَالشَّمَالِ . وَدَوَّلَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتْرَفَ وَأَبْذَخَ وَأَعْلَى يَدًا
 وَأَظْهَرَ . فَلَمَّا طَغَوْا وَأَعْرَضُوا أَجْحَفَهُمُ السَّلِيلُ وَأَغْرَقَ جَنَاتَهُمْ وَخَرِبَتْ
 أَرْضُهُمْ وَتَفَزَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّبَاعَةُ مَلُوكًا عِدَّةً
 فِي عُصُورٍ مُتَعَاقِبَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضْطِطْهُمْ الْحَضَرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ
 مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنْ
 الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَاخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ اللَّبْسُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ .
 فَلَنَلَّتْ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَحَرِّيًا جَهْدَ الْإِسْطَاعَةِ عَنْ طُحُوسٍ مِنَ الْفَكْرِ وَأَقْفَادِ
 التَّنَاقُيْدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأَصُولِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
 أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةٍ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَأٍ مِنَ الْوُلَدِ كَثِيرٌ وَأَشْهَرُهُمْ
 حِمِيرٌ وَعَمْرُو وَكَهْلَانُ فَيَغْزِي التَّبَاعَةَ إِلَى حِمِيرَ وَالْمَنَادِرَةَ إِلَى عَمْرُو وَيَتَّخِذُ

الْفَسَّاسَةِ إِلَى كَهْلَانَ . وَسَوْرِدُ بِالْثَّلِيصِ أَخْبَارُهُمْ (لابن خلدون)

ملك التبابعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشذاد وتبع الاول)

٣٩٧ قَالَ السُّعُودِيُّ : قِيلَ لِلْمُلُوكِ الْيَمَنِيِّينَ تَبَاعُةٌ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرُ . وَلَمْ يَكُونُوا يَسْمُونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ يَتَّبِعُ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمَنِيُّ وَالشَّخَرُ وَحَضَرُ مَوْتٍ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَيَسْمَى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تَبِعٌ . وَأَمَّا حَمِيرٌ فَقَدْ يُعْرَفُ أَيْضًا بِالْعَرَجِ (٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَجَّعَ بِالذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودٌ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَابْنُ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَذَادٍ قَفَزَا إِلَى الْبِلَادِ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمَصَانِعَ وَأَبْقَى الْأَتَارَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ حَمِيرٍ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ تَبِعُ الْأَوَّلِ وَفِي بَيْتِهِ التَّبَاعَةُ . وَقَدْ لُقِبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِسِ لِأَنَّهُ رَأْسُ النَّاسِ بِالْعَطَاءِ . مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَوَاتِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالْغَنَائِمِ (حمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذوي الازعار وشرجيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ آفْرِيقَةُ ذُو الْمَنَارِ ثُمَّ آفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِقَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى آفْرِيقِيَّةٍ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقَ الْبَرَبَرُ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَعْنَانَ فَأَثَرُهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمَّى الْبَرَابِرَةَ بِهَذَا الْإِسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا أَفْتَحَ الْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رَطَاتِهِمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرَبَرَتِهِمْ . فَسَمَوْا الْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمْرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ السِّيرَةَ فِي
الرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَعْبَأُ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَيْرَهُةَ وَكَانَ أَشَدَّهُ عِنْدَ وَقَاتِهِ :

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جِئْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَأَحْضَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَعَنَى إِلَّا الْمَعِينُ الْوَرْدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعَلَى بَنَوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيْدُ
كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُحْصَدُ
وَلَمَّا أَدْعَرْتُ خَيْرَ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعْتُ طَاعَتَهُ وَقَدَّتِ الْمُلْكُ شَرْحِيلَ .
فَجَرَى بَيْنَ شَرْحِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .
وَأَسْتَقَلَّ شَرْحِيلُ بِالْمُلْكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْهَذَاهُدُ . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناسر النعم وشمر مرعش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةُ الْهَذَاهُدِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَقَدَتْ
عَلَيْهِ بَلْقِيسُ الْهَذَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ أَلْبَيْنَ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
بِالْمُلْكِ مَالِكُ نَاسِرِ النِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَدَّ اعْتَنَقَ رِعِيَّتَهُ أَطَوَاقَ الْإِنْعَامِ وَالْإِنِ
وَسَارَ غَازِيَا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَاْدِي الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكثَرَةِ
الرَّمْلِ وَغَبَرَةِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرْجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ يُصَبَّ
عَلَى شَفِيرِ الْوَاْدِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْخَطِّ الْمُسْنَدِ : هَذَا الصَّنَمُ لِنَاسِرِ
النِّعَمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَلَّفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيُعْطَبَ .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاسِرِ هَذَا ابْنُهُ شَمْرُ مَرْعَشُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَاشَى كَانَ بِهِ
وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْآخَرِ . وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَايَعَةِ ذُو الْمَغَازِي

وَالْأَثَارُ الْبَعِيدَةُ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
وَأَبْعَدِهِمْ مَنَارًا (٨٥٠ قِيلَ الْمَسِيحِ) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
وَفَارِسَ وَخُرَاسَانَ أَقْتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّغْدِ وَرَاءَ
جَيْحُونَ . فَقَالَتِ الْعَجَمُ سِيرَ كَنْدَ أَيُّ يَمُرُّ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَاكَ
فَسَمَّيْتُ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَّبْتُهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمَرْقَنْدَ . وَشَخَصَ مِنَ الْإِيْنِ
عَازِيًا وَمَرَّ بِالْخَيْرَةِ فَتَحَيَّرَ عَسْكَرُهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِيْنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ
وَهَادَتْهُ . وَأَخَذَ بِيَدَيْنِ الْيَهُودِيَّةِ بِأَعْرَاءَ بَعْضِ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَأَ الْمَلِكُ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى
الصِّينِ . قَالَ التَّوْبَرِيُّ : وَكَانَ لِمَلِكِ الصِّينِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
الْبَاسِ سَامِي الْهِمَّةِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ الْإِيْنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحَقَ بِأَبِي
كَرْبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
أَبَا كَرْبٍ عَلَى خَلْلِ عِيْنِكُهُ الْفُرْصَةَ لِإِقْتَاءِ بِلَادِهِمْ بِالْقِيَادِ وَفَتْحِهَا . فَسَرَّ
بِهِ تَبِعَ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاخَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَّ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ
يَقْدُمُهُمْ حَتَّى أَتَتْهُمُ يَوْمَ إِلَى أَرْضِ سَبْجَةِ . فَتَوَعَّلُوا فِي فُلُوتٍ سَحَابَةٍ
لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
وَهَمَّكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ أَتَقَلَّ الْمَلِكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ
حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ الْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزِيْفِيَا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فُرْقَةً لِلَّائِيحِدِ
أَحَدُ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرِمِ (١٠٢ ب م) .

فَأَنْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَأَخْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَبَ دِيَارَهُمْ
فَتَفَرَّقَتِ الْقَبَائِلُ الْعَجَاوِرَةُ لَهُ أَيْدِي سَبَا (لأبن الأثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَلْ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى خَيْرٍ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نَوَاسٍ .
(٤٩٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نَوَاسٍ هُوَ ابْنُ ثَبَانٍ
أَسْعَدُ وَأَسْمُهُ زُرْعَةُ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مَلِكِ آبَائِهِ التَّبَايَعَةِ لَسَمَى
يُوسُفَ وَتَغَضَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْإِيْنِ . فَأَسْتَجَبَتْ مَعَهُ
خَيْرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَأَرَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَأَسْتَقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ الْأَنْجِيلِ .
وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَامِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَقَطَ لَهُمْ مِنْ مَلِكِ التَّبَايَعَةِ
يُقَالُ لَهُ فَيْمُونُ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابِدًا لِلدَّعْوَةِ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْأَرْضِ . وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنْ
النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيُعَظِّمُ يَوْمَ الْأَحَدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَقَطِنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحٌ
فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارَيْنَ بِنَفْسِهِمَا حَتَّى وَطِئَا بِلَادَ الْعَرَبِ . فَأَخْطَفَتْهُمَا
سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ
نَحْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةٌ وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدِ اتَّبَعَ فَيْمُونُ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَاتَّبَعَ

صَالِحًا آخِرُ . فَكَانَ فَيُؤْنُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
سَيِّدُهُ أَسْتَسْرِجَ لَهُ أَلَيْتُ ثَوْرًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مِصْلَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ
الصَّبَاحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكَهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا يَدَّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ
سَيِّدُهُ : أَفَعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَزَكَّيْنَا مَا مَخُنُ
عَلَيْهِ . فَمَدَا فَيُؤْنُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَمَعَتِ النَّخْلَةَ مِنْ أَصَابِهَا . وَأَطْبَقَ
أَهْلُ تَجْرَانَ عَلَى أَتْبَاعِ دِينَ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِتَجْرَانَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيُؤْنُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْمَعُ مِنْهُ شَرَائِعَ
النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى فُقِّهَ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْخَوَارِقُ وَالْعُجْزَاتُ وَدَانَ
الْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَاسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنَ ثَامِرٍ فَأَخَذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَفْتَ دِينِي
وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقِّتِلَ وَعَرَضَ عَلَى أَهْلِ تَجْرَانَ الْقَتْلَ فَلَمْ
يَزِدْهُمْ إِلَّا جَمَاحًا . فَخَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا . ثُمَّ أَمْتَحَنَهُمْ .
فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْذِفَكَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكُ دِينِي لِشَيْءٍ فَيُقْذَفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَمَقِيَّتِ
أُمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيَ عَمْرُهُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ فَجَزَعَتْ وَتَهَيَّتْ . فَقَالَ لَهَا
الْغُلَامُ : يَا أُمَاهُ لَا تَتَأَفَّقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
فَأَحْتَرَقَتْ . وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عَشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَائِقَالُ لَهُ دَوْسٌ ذُو
ثُعْلُبَانٍ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَتَجَمَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
الرُّومِ يَسْتَصْرِهُ عَلَى ذِي نُوَّاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك الين

٤٠١ قَبِعَتْ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَتْهُ السُّفُنُ
وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرُ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطُ رُجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهْدَ
إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبُحْرَ وَتَزَلُّوا سَاحِلَ
الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَّاسٍ فَمِنْ مَعَهُ فَأَنْهَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَّاسٍ مَا تَزَلُّ بِهِ
وَبَقُومِهِ وَجَهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبُحْرِ وَخَاضَ صَخْرًا حَافِيًا . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
غَمْرَةٍ فَأَقْعَمَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَأَنْقَرَضَ أَمْرُ التَّبَابِيَةِ
(٥٢٩ ب م) . وَوُطِئَ مِنْ ثُمَّ أَرْيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رِجَالَ
خَيْرٍ وَهَدَمَ حُصُونَ الْمَلِكِ . ثُمَّ أَتَتْهُ عَلَى أَرْيَاطُ أَرْهَةِ أَحَدُ رُؤَسَاءِ
جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رِجَالُ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطُ وَدَعَاهُ لِلْحَرْبِ فَأَنْحَازَ
إِلَى أَرْيَاطُ عُظَمَاءُ الْحَبَشَةِ وَغَطَّارِيَهُمْ فَأَقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
أَرْهَةِ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبِذَلِكَ لُقِبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
أَرْهَةُ عَلَى أَرْيَاطُ بِالسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْرَعَ السَّيْفُ فِي دِمَاعِهِ
وَسَقَطَ عَنْ جِوَادِهِ . فَأَلْوَا حِينَئِذٍ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَرْهَةِ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا .
وَكَانَ أَرْهَةُ رُجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لَحِيًا دَحْدَحًا ذَا دِينَ فِي النُّصْرَانِيَةِ .
فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ عُثْمَانَ كَنِيسَةً مُحْكَمَةً الْعَمَلِ وَسَمَّاهَا

الْقُلَيْسَ (*) فَأَنْتَشَرَ خَبْرُ بِنَاءِ هَذَا أَلَيْتَ فِي الْعَرَبِ . وَلَمَّا هَلَكَ أَبْرَهَهُ
(٥٧١ ب م) مَلِكٌ مَكَانَهُ ابْنُهُ يَكْسُومٌ وَبِهِ كَانَ يَكْنَى وَأَسْتَحْلَ مَلِكُهُ
وَأَذَلَ خَيْرَ وَقْبَائِلِ الْإِيْنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
يَكْسُومٌ فَمَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عُسْفُهُ (لِلأَزْرَقِ)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَلَمَّا طَالَ بَلَاءُ الْحَبْشَةِ عَلَى أَهْلِ الْإِيْنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنٍ
الْحِمَيْرِيُّ مِنَ الْأَذْوَاءِ بَقِيَّةُ ذَلِكَ السَّلَفِ وَعَقِبُ أَوْلَاكَ الْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
الدَّوْلَةِ الْوُفُضُ لِلْحُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) لِيَسْتَجِدَّهُ عَلَى
الْحَبْشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْحَبْشَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
وَقَدِمَ الْحِيرَةَ عَلَى الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ عَامِلِ فَارَسَ عَلَى الْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا
مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَأَسْتَمَعَهُ الثُّعْمَانُ إِلَى حِينٍ وَفَادَتْهُ عَلَى
كِسْرَى وَأَوْفَدَ مَعَهُ وَسَأَلَهُ النَّصْرَ عَلَى الْحَبْشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
فَقَالُوا : فِي سُبُحُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لِلْقَتْلِ . أَبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(*) وكان القليس مرتباً مستوي الترتيب وجعل طوله في السماء ستين ذراعاً وحوله
سورٌ بينه وبين القليس مائتا ذراعٍ مطيف به من كل جانب وجعل بين ذلك كله حجارة
تسميها أهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين أطباقها إلا برة مطبقة به . وكان
له باب من نحاس يفضي إلى بيت في جوفه طوله ثمانون ذراعاً في أربعين ذراعاً معلق السمل
بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة وعقوده مضروبة بالفيسفساء مشجرة بين أضفافها
كرواكب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت إلى قبة جذرها بالفيسفساء وفيها صلبٌ منقوش
بالذهب والفضة وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق من أربعة تغشي عين من نظر إليها من
بطن القبة . تؤدي ضوء الشمس والقمر إلى داخل القبة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب
اللبخ وهو الابنوس مفصل بالعاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة (لابن اسحاق)

الَّذِي أَرَدَتْ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكَوْا كَانَ مُلْكًا أُرْدَدَتْهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَخْصُوا
 ثِمَامًا ثَلَاثَةً وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَاهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَكَبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
 وَهَزَرَ الدَّيْلَمِيِّ . فَنَوَاقِفُوا لِلْحَرْبِ وَأَمَرَ وَهَزَرَ ابْنَهُ أَنْ يُنَاقِشَهُمُ الْقِتَالَ
 فَفَتَلَوْهُ وَأَخْضَطَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ
 تَأْجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَأْقُوْتُهُ حُمْرًا . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَ الْيَأْقُوْتَةَ بَيْنَ
 عَيْنَيْهِ وَتَغَلَّغَلَ فِي دِمَاعِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارَوْا بِهِ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
 وَأَنْهَزَهُمُ الْحَبْشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مُلْكِهِمْ فِي الْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَتْهُ مِنْهُمْ
 أَرْبَعَةٌ فِي ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً (٦٠١) . وَأَنْصَرَفَ وَهَزَرُ إِلَى كِسْرَى
 بَعْدَ أَنْ خَلَفَ سَيْفًا عَلَى الْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَسِ سَمَّاهُمْ إِلَيْهِ عَلَى
 قَرِيضَةٍ يُودِّي بِهَا كُلَّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزْنَ وَأَرْزَلَهُ بِصَنْعَاءَ .
 وَأَنْفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزْنَ بِسُلْطَانِهِ وَزَلَ قَصْرَ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُثْمَانَ .
 يُقَالُ إِنَّ الصَّحَّالَكَ بَنَاهُ عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبُيُوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
 عَلَى أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْثِقَ
 لِدِي يَزْنَ الْمَلِكُ جَعَلَ يَعْتَسِفُ الْحَبْشَةَ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
 الْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوْلًا وَاتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَائِيرَ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحِرَابِ .
 فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنْفَرَدُوا بِهِ عَنْ النَّاسِ رَمَوْهُ
 بِالْحِرَابِ فَفَتَلَوْهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمَنِ وَأَتَمَّرَتْ عَمَالُهُ إِلَى أَنْ
 كَانَ آخِرُهُمْ بِأَذَانَ فَاسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمَنِ لِلْإِسْلَامِ (لَا بَنَ خَلْدُونَ)

خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق

تَمَلَّكَ مَلِكُ بَنِي فُهَمٍ وَجَدِيَّةُ الْإِشْرِ

٤٠٣ أَمَّا أَخْبَارُ الْعَرَبِ بِالْعِرَاقِ فِي الْجِيلِ الْأَوَّلِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا تَفَاصِيلُهَا وَشَرَحُ حَالِهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَدَثَ سَيْلُ الْعَرِمِ تَمَزَّقَتْ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ مَدِينَةِ مَارِبَ إِلَى الْعِرَاقِ وَالشَّامِ . فَكَانَتْ تُنَوِّخُ وَقُضَاعَةُ وَهَمَا حَيَّانٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ يَمِينَ تَمَزَّقَ إِلَى الْعِرَاقِ . فَقَالَ مَلِكُ بَنِي فُهَمٍ الْأَزْدِيُّ لِمَالِكِ الْقُضَاعِيِّ : نَقِيمُ بِالْبَحْرَيْنِ وَنَتَحَالَفُ عَلَى مَنْ نَوَانَا فَتَحَالَفُوا . فَسَمُوا تُنَوِّخَ وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ الطَّوْافِ فَظَفَرُوا إِلَى الْعِرَاقِ وَعَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنْ مُلُوكِهَا وَهِيَ شَاغِرَةٌ فَخَرَجُوا عَنْ الْبَحْرَيْنِ وَسَارَتْ الْأَزْدُ إِلَى الْعِرَاقِ مَعَ مَلِكِ بَنِي فُهَمٍ الْأَزْدِيِّ . وَسَارَتْ قُضَاعَةُ إِلَى الشَّامِ مَعَ مَالِكِ الْقُضَاعِيِّ

٤٠٤ وَأَوَّلُ مَنْ تَمَلَّكَ عَلَى تُنَوِّخَ فِي الْعِرَاقِ مَلِكُ بَنِي فُهَمٍ (١٩٥ للمسيح) وَكَانَ مَنَزَلُهُ بِالْأَنْبَارِ فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ رَمَاهُ سُلَيْمَةُ بْنُ مَالِكِ رَمِيَةً بِالْأَلِيلِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ . فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ سُلَيْمَةَ رَامِيَهُ قَالَ :

جَزَانِي لَا جَزَاءَ اللَّهُ خَيْرًا سُلَيْمَةُ إِنَّهُ شَرٌّ أَجْزَانِي

أَعْلَمُهُ الرِّمَاءُ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

فَلَمَّا قَالَ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ فَاطَ وَهَرَبَ سُلَيْمَةُ ثُمَّ مَلَّكَ مِنْ بَعْدِ مَلِكِ جَدِيَّةِ الْأَنْبَرِشُ . (٢١٥ ب م) وَكَانَ ثَاقِبَ الرَّأْيِ بَعِيدَ الْمَنَازِلِ شَدِيدَ النِّكَايَةِ ظَاهِرَ الْحَزْمِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَزَا بِالْجُيُوشِ وَشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَى

قَبَائِلُ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَكَبَّرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْتَعُهُ بِهِ إِعْظَامًا
فَسَمَّيَتْهُ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ وَجَذِيمَةَ الْوَضَاحِ . وَاسْتَوَلَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
الْحَبِيرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَائِرِ الثَّرَى الْجَاوِرَةِ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يَحْجِي
أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسَمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ أَلِيَّامَةٍ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
أَضْحَى جَذِيمَةً فِي الْأَنْبَارِ مَنْزِلُهُ قَدْ حَارَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكَ سَابُورَ بْنِ أَشَكَّ . وَكَانَ جَذِيمَةُ
مَلِكًا مَعَدٍّ وَبَعْضُ الْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمْرِهِ الشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ حَسَّانَ
ابْنَ أَدْنَةَ وَالِدَ الزُّبَّاءِ مَلِكَةَ الطَّوَائِفِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزُّبَّاءُ عَلَى طَلَبِ الثَّارِ
حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ ثَمُوسَتَيْنِ سَنَةً بِالْقُرْبِ (لَحْمُزَةُ الْأَصْفَهَانِي)

ملك عمرو بن عدي

٤٥٥ قَوَّرَتْ الْمُلْكُ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أَخِيهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
رَقَاشٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْحَبِيرَةَ مَنْزِلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
يَعُدُّهُ الْحَبِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
يَنْتَسِبُونَ وَهُمْ عَمْرُو يَطْلُبُ الثَّارَ مِنْ الزُّبَّاءِ بِخَالِهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحْسَتِ
الزُّبَّاءُ بِنَيْتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَعْقِلٍ فَصَارَتْ أَمْنٌ مِنْ عِقَابِ . فَعَمِدَ عَمْرُو إِلَى
قَصِيرٍ وَزِيرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمُوَاطَاةٍ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَحِقَ بِالزُّبَّاءِ يَشْكُو مَا
أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَآثَمَ أَنْتَهُمْ بِمُدَاخَلَةِ الزُّبَّاءِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ :
وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلَ بِي أَنْكِي لَهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَامْرَأَتُهُ وَقَرَّتْ بِهِ
حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ الْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَحَكَمَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْكَفَأَ رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرُو مَلِكًا
 مُدَّةَ عَمْرِهِ مُنْقَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو الْمَغَازِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
 وَتُجْبَى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفْدَعُ عَلَيْهِ الْوُفُودُ دَهْرَهُ الْأَطْوَلُ . لَا يَدِينُ
 لِلْمُلُوكِ الطَّوَائِفَ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ فَارِسَ
 أَرْضَ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَهَرَمَ مِنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاوِنًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا
 أَرَادَ مِمَّا يُوَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُوَافِقُهُمْ . فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوحِ حُجَّارَةِ الْعِرَاقِ
 عَلَى الصَّغَارِ . فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
 مَعَ مَلَكَ فَحُشُوا بِالشَّامِ وَأَنْضَمُّوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنْاسٌ
 مِنَ الْعَرَبِ يُخْدِعُونَ أَحَدَانَا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتُهُمْ فَيَخْرُجُونَ
 إِلَى رَيْفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ مُجْنَةً .
 فَصَارَ أَهْلُ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . الْأَثْلُ الْأَوَّلُ تَنُوحٌ وَهُمْ مَنْ كَانَ
 يَسْكُنُ الْمِظَالَّ وَيُبُوتُ الشَّعَرَ وَالْوَرَى فِي غَرْبِي الثَّرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ
 إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا فَوْقَهَا . وَالثَّلْثُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ
 الْحِيرَةِ فَأَبْنَوْا بِهَا . وَالثَّلْثُ الثَّلَاثُ الْأَخْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحِيرَةُ أَيَّامَ
 مُلْكِ عَمْرُو بْنِ عَدِيٍّ بِاتِّخَاذِهِ مَنَزِلًا إِيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتْ
 الْكُوفَةُ وَزُلْهَا عَرَبُ الْأِسْلَامِ (للنوري وحمة الاصفهاني)

ملك امرئ القيس البدء والخرق والنعمان الاعود السامح

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرُو بْنِ عَدِيٍّ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الْبَدْءُ وَهُوَ الْأَوَّلُ
 فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصْرَ وَعَمَالِ الْفَرَسِ. ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عُمَرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقِبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَامٍ الْعَمَلِيُّ خَمْسَ سِنِينَ. ثُمَّ نَارَ بِهِ حُجَّابًا أَحَدُ بَنِي
فَازَانَ قَتَلَهُ. (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الثَّانِي). (٣٦٨-٣٩٠ ب م) وَيَعْرِفُ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
بِالنَّذِيرِ وَالْمُحَرِّقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسْوَدُ
أَنَّ يَغْفِرُ فِي قَوْلِهِ: مَاذَا أَوَمِلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
النُّعْمَانُ الْأَعُورُ السَّاحِجُ وَهُوَ بَابِي الْخَوَرْتَقِ وَالسَّيْدِ (*). وَكَانَ
النُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامِ يَزْدَجِرْدَقْدَقَ إِلَى ابْنِهِ بُهْرَامَ لِيرِيَهُ وَأَمَرَ
بِنَاءِ الْخَوَرْتَقِ مَسْكِنًا لِابْنِهِ فَاسْكَنَهُ إِيَّاهُ. وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ.
وَجَاءَهُ مِنْ يَلْقَنَهُ الْخَلَالِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْقُرُوسِيَّةِ حَتَّى اكْتَمَلَ
عَلَى ذَلِكَ بِمَارَضِيَّةٍ. وَكَانَ النُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَاحَةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدَهُمْ مَغَارًا قَدْ آتَى الشَّامَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَأَكْثَرَ الْمَصَائِبِ
فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ. وَكَانَ مَلِكَ فَارِسَ يُفْعِدُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
وَأَهْلَهَا الْفَرَسَ وَدَوْسَرَ وَأَهْلَهَا تُوخَ. فَكَانَ يَغْزُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنْ
الْعَرَبِ. وَكَانَ صَارِمًا حَازِمًا ضَاطِحًا لِلْمَلِكَةِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْحَوَالِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْحَيَرَةِ. وَالْحَيَرَةُ يَوْمَئِذٍ
سَاحِلُ الْفَرَاتِ. وَلَمَّا آتَى عَلَى النُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَصَرَّ عَلَى يَدِ بَعْضِ
وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهَدًا وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ الْمُسُوحَ وَذَهَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*).

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامرؤ القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَرَهَّدَ النُّعْمَانُ تَوَلَّى الْأَمْرَ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ الْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م)
وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَوْا عَلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ وَلَدِ أَزْدَ شِيرَ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ
لِنَشْئِهِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَخُلُوِهِ مِنْ آدَابِ الْعَجَمِ . وَاسْتَجَدَّ بَهْرَامُ بِالْعَرَبِ
فَجَهَّزَ الْمُنْذِرُ الْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِيَطْلُبَ مُلْكَهُ . وَحَاصَرَ مَدِينَةَ الْمَلِكِ فَادْعَنَ
لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ . وَاسْتَوْهَبَ الْمُنْذِرُ ذُرُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَقَعَاغَهُمْ وَأَجْتَمَعَ
أَمْرُهُ . وَرَجَعَ الْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشَغِلَ بِاللَّهُوِ إِلَى مَوْتِهِ (٤٦٢ ب م) .
وَمَلِكٌ مَكَانَهُ النُّعْمَانُ الثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيَّ بْنُ زَيْدٍ النَّصْرَانِيَّ
فَنَصَرَهُ * وَتَرَهَّدَ (٤٦٩) . وَمَلِكٌ مَكَانَهُ أَخُوهُ الْأَسْوَدُ وَهُوَ الَّذِي اُنْتَصَرَ
عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ الشَّامِ وَأَسْرَعِدَةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١) . وَمَلِكٌ
أَخُوهُ مُنْذِرُ الثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نُّعْمَانُ الثَّالِثُ . ثُمَّ
اسْتَخْلَفَ أَبُو يَغْفَرُ بْنُ عُلْقَمَةَ الذَّمِيلِيَّ (٥٠٣) وَذَمِيلُ بَطْنٌ مِنْ لَحْمٍ . ثُمَّ
مَلِكٌ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الثَّالِثُ (٥٠٦) هَذَا هُوَ الَّذِي غَزَا بِكَرٍّ يَوْمَ أَوَارَةَ
فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُقِيمُ أَوْدَ مُلُوكِ الْحِيرَةِ وَتَعَصَّدُهُمْ . وَهُوَ
أَيْضًا بَانِي الْعُذَيْبِ وَالصَّنْبَرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جَبْرِ بْنُ بُلُوغٍ :
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَحِبُّ بَنَاتُنَا قَهَّ نَحْوُ الْعُذَيْبِ وَالصَّنْبَرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الثَّالِثُ مَلِكُ الْمُنْذِرِ الثَّالِثُ ابْنُهُ وَهُوَ ذُو

الْقَرْنَيْنِ لِضَفِيرَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمُّ مَاءُ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبْلَ لِأَبِي عَامِرٍ الْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرِ أَيْ
عَطَاءً وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفَ مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرَّةً بَنَ كَثُومٍ
قَتَلَهُ لِحَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ (٥٦٢ ب م) . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ
هِنْدٍ الْمُلَقَّبُ بِالْمُحَرِّقِ وَهِنْدُ أُمُّهُ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَزَا نِجْمًا
فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةً يَوْمَ أُورَةِ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنَ
الْمُنْدِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً (٥٧٨) . ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ الرَّابِعِ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشِرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لَيْنٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ (٥٨٢) . ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْدِرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً
ثُمَّ النُّعْمَانُ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّابِغَةِ
الذَّيْنَانِي الَّذِي بَنَى الْغُرَيْنِ وَتَوَصَّرَ (لِلنُّوَيْرِيِّ وَالْمَسْعُودِيِّ)

خبر تنصر النعمان

٤٠٩ كَانَ النُّعْمَانُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمُلَقَّبُ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمُنْطِقِ . فَأَمَرَ أَنْ يُخْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ خَافِزَةٌ
بِظَهْرِ الْحِيرَةِ ثُمَّ يُجْعَلَانِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَانِي الْخُفَرَتَيْنِ . فَقُعِلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأُخْبِرَ بِهِمَا لِكَيْمَا . فَقَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَغَمَّهُ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَبْرَ بَيْنِ يَوْتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدُ وَرُوقُ

أَمَّا الْبُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَئِنْ بَكَيتَ فَلِلْبُكَاءِ خَلِيقُ
ثُمَّ رَكِبَ النُّعْمَانُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِنَاءَ الْغُرَيَيْنِ عَلَيْهِمَا . فَنِيَا
وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْغُرَيَيْنِ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا
يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
مِائَةً مِنْ الْأَبِلِ شُومًا أَيْ سُودًا . وَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ
يُعْطِيهِ رَأْسَ ظُرْبَانَ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ وَيَغْرِى بِدَمِهِ الْغُرَيَانِ .
فَلَيْتَ بِذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَبِئِهِ يُقَالُ لَهُ
حَنْظَلَةٌ بَنُ أَبِي عَفْرَاءَ . كَانَ أَوَى النُّعْمَانِ فِي خِيبَاءِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
الصَّيْدِ وَانْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ الْمَطَرِ . فَحَرَّبَ بِهِ حَنْظَلَةً وَهُوَ لَا
يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
النُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ
هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : آيَيْتَ اللَّعْنُ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَتَيْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
أَبَشِّرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَلَأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ
مَأْرًا فَلَا تَكُنْ مِثْرَهُمْ قَتْلِي . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَاسْأَلْ حَاجَةً
أَقْضِيهَا لَكَ . فَقَالَ : تُوجِلْنِي سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأَحْكِمُ مِنْ أَمْرِهُمْ
مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذَ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ
حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ جُلُوسًا بِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرِو بْنِ النَّشِدِ :
يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرِو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه
يَا أَخَا شَيْبَانَ فُكَّ الْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَا لَهُ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحَيًّا مَنْ لَا حَيَالَهُ
 إِنَّ شَيْبَانَ قِيلُ أَكْرَمَ اللَّهِ رِجَالَهُ
 وَأَبُوكَ الْخَيْرُ عَمْرُو وَشَرَّاحِيلُ الْحِمَالَهُ
 رَقِيَّاكَ الْيَوْمَ فِي الْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَةِ

فَوَبَّ شَرِيكَ وَقَالَ: أَبَيْتَ اللَّعْنِ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ
 وَأَمَرَ الطَّاءِي بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ. وَقَدْ جُعِلَ الْأَجَلُ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ. فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لَشَرِيكَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءَ حَنْظَلَةَ.
 فَقَالَ شَرِيكَ: فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنَّ غَدًا لِلنَّاطِرِ قَرِيبٌ.
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلًا. وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرَيِ نَدِيمَيْهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَذَرَاؤُهُ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوِيَ
 يَوْمُهُ. فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُخَيِّطَ الطَّاءِي. فَلَمَّا
 كَادَتْ الشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكَ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسَّيَافِ
 إِلَى جَانِبِهِ. وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَاكِبٍ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ الطَّاءِي قَدْ تَكَفَّنَ وَتَحَنَّنَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ. فَلَمَّا رَأَاهُ
 النُّعْمَانُ قَالَ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفْلَتَ مِنَ الْقَتْلِ. قَالَ: الْوَفَاءُ.
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ. قَالَ: إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْغَدْرِ. قَالَ:
 وَمَا دِينُكَ. قَالَ: النَّصْرَانِيَّةُ. قَالَ: فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ. فَأَعْرَضَهَا فَتَصَرَّ
 النُّعْمَانُ. وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفَعَا عَنْ شَرِيكَ وَالطَّاءِي.

وَقَالَ: مَا أَذْرِي أَيْكُمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَمَادَ
إِلَيْهِ أَمْ هَذَا الَّذِي ضَمِنَهُ. وَأَنَالَ أَكُونُ أَلَامَ الثَّلَاثَةِ. قَالَ الْمِيدَانِيُّ: وَتَنَصَّرَ
مَعَ النُّعْمَانِ أَهْلُ الْحِيرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى النُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكُنَاسَ
الْعَظِيمَةَ. وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أَرْوَيْدَ (٦٠٤ ب م) وَأَنْقَطَعَ الْمَلِكُ
عَنْ لَحْمٍ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ إِلَى سَلَامٍ بَعْدَ زَمَانٍ (الافاني)

٣ الفساسة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَنْفَةِ عَمَّالَ الْقِيَاصَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ
الْمُنَادِرَةُ آلُ نَصْرِ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَّالًا لِلْكَاسِرَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ.
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحْسَتْ
بِمَارِبِ انْتِقَاضِ الْعَرَمِ وَخَشِيتِ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ. فَتَشَاءَمَ قَوْمٌ فَتَزَلُّوا
عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ غَسَّانٌ فَصَيَّرُوهُ شَرِبَهُمْ فَسَمُّوا غَسَّانَ. ثُمَّ أَزَلَّهُمْ ثَعْلَبَةُ
ابْنُ عَمْرِو النَّسَائِي بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقِيَاصَةِ. وَكَانُوا
يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ. وَلَمَّا زَلَّتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ
مِنْ سَلِجٍ فَضَرَبُوا عَلَى الْفَسَاسِيَةِ الْإِثَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي بَلَ جَبَاتِهَا سَيْطَانًا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَطَّاهُمْ سَيْطَانٌ وَقَصَدَ ثَعْلَبَةُ رَأْسَهُمْ وَقَالَ: لَتُجَنَّنَّ لِيَ الْإِثَاوَةُ
أَوْ لَا خُذْنِ أَهْلَكَ. وَكَانَ ثَعْلَبَةُ حَلِيمًا فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي مَنْ يُزِيحُ عَنْكَ
بِالْإِثَاوَةِ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: عَلَيْكَ بِأَخِي جَذَعِ بْنِ عَمْرِو. وَكَانَ جَذَعٌ قَاتِكًا.
فَإِثَاوَهُ سَيْطَانٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُنْهَبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِثَاوَةَ. قَالَ:

نعم . قال : فخذهُ . فتناول سيّطُ جفن السيف واستلّ جذع نصله
وضربه به قائلاً : خذ من جذع ما أعطاك فذهبت مثلاً . فوقعَت
الحرب بين سليح وغسان فأخرجت غسان سليحاً من الشام وصاروا
ملوكاً . واستقر ملك الغساسنة ٤٠٠ سنة بئيف (*) (حزمة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب أضفنا إليها أخبار كندة) هم بنو زيد بن
كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجرٌ عليهم بغير ملك تأكل القوي الضعيف حتى ملك
حجر وكان تبع حين أقبل سائراً الى العراق استعمله عليهم . فسدد أمورهم وساسهم احسن
سياسة وانتزع من اللخمين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعاً لحسن سيرته (٥٠٣ هـ م) .
ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استغله الحارث وعظم شأنه حتى
ولاه قباز ملك العجم على العراق . مدة ثم طرده أنوشروان وارجع المنذر الثالث فهرب
الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب ولم يلبث ان مات عندهم . وكان للحارث اربعة
بنين ولآم على قبائل كندة . وكان حجر أكبرهم متولياً على بني اسد فنقضوا امره وقتلوه . فقام
امروء القيس واستنجد بيكر وتقلب على بني اسد فأنجذوه وهربت بنو اسد منهم وتبعهم فلم يظفر
بهم . ثم تخاذلت عنه بكر وتقلب وتقلب المنذر بن ماء السماء . فتفرقت جموع امرىء القيس
خوفاً من المنذر وخاف امروء القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب ويثقل من
أناس الى أناس حتى قصد السموءل بن عادياء اليهودي فأكرمه وأتزله . وأقام امروء القيس
عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امروء القيس الى قصر ملك الروم مستنجداً به وأودع أدراعه
عند السموءل بن عادياء المذكور . ومر على حماة وشيزر وقال في مسيره قصيدته المشهورة

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونهُ والحق أنا لاحتقان بقبصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو غوت فنعددا

فأت امروء القيس بعد هودبه من عند قيصر عند جبل يقال له عيب . ولما علم بموته هناك قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عيب

ولما مات امروء القيس سار الحارث بن أبي شمر الغساني الى السموءل وطالبه بادرع

امرء القيس وما له عنده وكانت الأدرع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموءل . فلما

امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إما أن تسلم الأدرع وإما قتلت

ابنك . فقال السموءل : لست أخفيّر ذمتي فاصنع ما شئت . فذبح ابنه والسموءل ينظر اليه

ذَكَرَ الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَهُمْ الْقَسَمُ الثَّالِثُ

٤١١ وَهُمْ بَنُو عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ تَزَلُّوا الْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سَدَانَةَ
الْكَعْبَةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَتِهَامَةُ . كَانَا دِيَارَ الْعِمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هُنَالِكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَيْمِينَ مَعَ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرَمُوتَ . وَأَصَابَ الْيَمِينَ قَحْطٌ فَفَرُّوا تَحْتَ تِهَامَةٍ يَطْلُبُونَ
الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيفِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَحْتَلُّوا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلُوا مَعَ الْعِمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
جُرْهُمَ وَتَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ وَتَرَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَتَوَفَّى لِمِائَةِ
وَتَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَحِلُّ حَتَّى
وَلَّوْا أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ . وَكَانُوا وَلَاةً وَحَجَابَهُ وَوَلَاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَلَمَّا
طَالَتْ وَلَايَةُ جُرْهُمَ اسْتَحْلَوْا مِنْ الْحَرَمِ أُمُورًا عِظَامًا وَاسْتَحْلَفُوا بِجُرْمَةٍ
أَلْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَطَعَ اللَّهُ دَائِرَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَارِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطَاوِنُ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
مَا مَحِبٌّ أَنْ تَنْزِلُوا فَتُضَيِّقُوا عَلَيْنَا مَرَاتِعَنَا وَمَوَارِدَنَا فَأَرَحَلُوا عَنْنَا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأس . فغضب العرب به المثل في الوفاء . وقال السموءل .

وفيت بأدوع الكندي إلي إذا ما خان أقوام وفيت

بني لي حاديا حصنا وبدا كلما شئت استقيت

رفيعا تزلق العقبان عنه إذا ما نابني ضم آبيت

وأوصى حاديا قديما بألا تخدم يا سموءل ما بنيت

(لابي الفداء)

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجُودَارِكُمْ . فَأَقْتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَانْهَزَمَ جُرْهُمُ فَلَمْ
يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ فَهَدَرَ دَمُهُ (٢٠٧ م) . ثُمَّ تَقَرَّرَتْ قَبَائِلُ الْإِيْنِ
وَالْخَزَعَتِ خُرَاعَةُ بَكَّةَ فَوَلُّوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَالَ بَنُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رَيْعَةٌ
أَبْنُ حَارِثَةٍ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بَكَّةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَائِفَ
الْإِبِلِ وَلِحْمَانَهَا عَلَى الثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَتَوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْإِيْنِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحُسَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ
قُرَيْشُ وَالْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْخُفَيْفَةَ
دِينَ بَرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُرَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سَدَانَةِ الْبَيْتِ حَتَّى
قَامَ قُصَيُّ الْقُرَيْشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرْفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وَلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَبِي غَبْشَانَ الْخَزَاعِيِّ
فَبَاعَهَا مِنْ قُصَيِّ بْنِ خَزْرَجٍ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَبِي غَبْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا قُصَيُّ إِلَيْهِ رِجَالَ قُرَيْشٍ وَاجْتَمَعَ لِحَرْبِ خُرَاعَةَ فَتَنَاجَرُوا
وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُحْكَمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ ب م) . فَصَادَ
لِقُصَيِّ لَوَاءُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ الْبَيْتِ وَتَمَنَّتْ قُرَيْشُ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلٍ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَاتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

الْكَمْبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعِ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ .
 ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَجًا يُؤَدُّونَهُ . ثُمَّ
 هَلَكَ قُصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى
 جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخص عن كتاب اخبار مكة للارزقي)

(ملحق بتاريخ العرب)

١ اديان العرب

٢١٢ كانت العرب في أوّل أمرها على دين ابراهيم واسماعيل حتى قدّم عمرو بن لُحَي بصنم
 يقال له هُبَل . وكان من أعظم اصنام قُرَيْش عندها فكان الرجل اذا قدّم من سفر بدأ به
 على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده . وكان هُبَل من خرز العقيق على صورة انسان
 وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قُرَيْش فجمعت له يدًا من ذهب . وكانت له خزنة
 للقرابن . وكانت له سبعة فِداح يضربون بها اذا مستهم الحاجة ويقولون :
 إِنَّا اخْتَلَفْنَا فَبِ السَّحَابِ ان لم تَقُلْهُ فَرُ القِدَاحِ

وكان بالكعبة على عينا حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظماً في الجاهلية والاسلام .
 تبرّك الناس به وغرّ دونه وتقبّله . وكان بأسفل مكة قد نُصِب صنم يُعرف بالخلصة فكانوا
 يلبسونها القلائد ويحذون اليها الشميع والحنطة . ويصبون عليها اللبن ويدبحون لها ويمسحون
 عليها بيض الشعير . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيارات من الكواكب . وهي المشتري
 وقيل ان اصل اسمه ذو شراه اي ساطع النور . والزهرة وزُحَل والمرّيخ وغيرها من الثوابت .
 ومن معبوداتهم أيضاً المناة واللات وعزى . وكانت المناة على ساحل البحر ما يلي قُذَيْد .
 وكانت صخرة تُراق عليها دماء الذبائح ويلمسون منها المطر في الخدب . وكانت اللات أيضاً
 صخرة صنمًا للشمس اذا مرّ عليها الحاج يلتويها بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي ملا وعظم
 ومنه اسم الحلالة . وأما العزى فكانت شجرة يعظمها قُرَيْش وبنو كنانة . ويطوفون بها بعد
 طوافهم بالكعبة ويمسحون عندها يومًا . قال الكلبي : وكانت اللات والعزى ومناة في كل
 واحدة منهن شيطان يكلمهم . وتراعى للسدّة وهم الحبّة وذلك من صنع إبليس وأمره . وكان
 بنو خنيفة في الجاهلية اتخذوا لها عبوداً دهرًا طويلاً ثم أصابهم مجاعة فأكلوه . فقبل في ذلك :

أكلت خنيفة رجلاً زمن التقم والجاه

لم يحذروا من رجم سوء العقوبة والتباعد

ومن ادبائهم الجوسية والصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئية اصنام الذهب للشمس
 واصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب . وزعموا ان قوى الكوكب
 تفيض على تلك الأصنام . فتكلم تلك الأصنام وتوحي للناس اعني الأصنام . وتعلم
 الناس منافعهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا أفردت تلك
 الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك
 الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أدبائهم اليهودية في حبر وكنانة وبني الحارث
 ابن كعب وكندة . واما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزبادي : ان قبائل شتى من
 بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم العباد . وإن كثيراً من ملوك اليمن والحيرة
 تنصروا . وأما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وقضاة وجبلا
 وتوخج وتغلب وبعض طي . وكانت قرش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة تمثل مريم زوجة
 وابنها عيسى في حجرها فاصلاً مزوفاً . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تطمس
 صورتها بل بقينا الى عهد ابن زبير فهلكتا في الحريق (لثوري والازري)

٢ علوم العرب وآدابهم

٢١٣ قام علم العرب الذي كانوا يتفاخرون به فلم لساخهم واحكام لغتهم ونظم الأشعار
 وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والنصاحة في المنطق والذلاقة
 في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومفارجا وعلم بانواء الكواكب
 وامطارها . على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في
 اسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق . وأما علم الفلسفة فلم يحفهم الله شيئاً منه ولا هباً
 طبائهم العناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب ومنتهى حكمتها والنظم من كلامها
 والمقيد لأيامها والشاهد على حكامها . به يأخذون واليه يصيرون . وكانوا لا يمشون الا بفلام
 يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنجح . قال الصفدي : بل ما كان للعرب ما تفخرون به الا السيف
 والضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون الى سوق عكاظ ويتبايعون ويتناشدون
 ويتفاخرون ويتماثلون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت الى سبع
 قصائد من الشعر القديم فكتبتها ماء الذهب في القبايط المدرجة . فقبل لها مذهبات وقد يقال
 لها معالقات لانها علقت في أستار الكعبة . أما الكتابة فحكموا أن ثلاثة نفر من طيهم كانوا على دين
 عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فتعلمه قوم من الأنبار وجاء
 الاسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنساناً . ولقلة القرايطس عديم عدوا الى
 كتف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والأتيون . والأي من كان
 لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والأتيون بمكة (لاني الفرج والجوهري)

تم بحولہ تعالی

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

وجه		وجه	
٦٣	ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره	٣	الباب الأول في التدئين
٦٤	اشعار جارية مجرى المثل	٣	في كمالاته تعالى
	الباب السادس في امثال عن السنة	٤	الدعاء لله
٦٨	الحيوانات	٧	منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب
٦٨	البازي والديك برغوث وبعوضة	٩	حجة الله والثقة به
٦٩	اللبوة والغزال والقرد	١٢	الاستغفار الى الله
٧٢	ساعة	١٥	العالم العقلي
٧٦	قرد وغيلم	١٦	الباب الثاني في الزهد
٧٩	الضبعة والرجل اسد وذئب وغراب	١٦	في الخوف زهد النعمان بن امرئ القيس
٨٣	الجدي السالم والذئب النادم	١٧	هذي بن زيد والنعمان
٨٥	فارة وهر	١٨	ذلة الدنيا وزوالها
٩١	العهده الغير المتروي	١٩	الراهب الجرجاني والشنخ عمر الصيني
٩٢	مالك الحزين والسكة	٢٩	حفظ الخواس
٩٤	الديك والعلب	٣٠	الدهر وحوادثه
٩٧	الجبل والحم	٣٢	ذكر الموت
٩٩	البستاني والاربعة العاشون بجنته	٣٥	التوبة الى الله
١٠٣	الباب السابع في الفضائل والذائل	٣٨	الباب الثالث في المراثي
١٠٣	الصبر	٤٦	الباب الرابع في الحكم
١٠٥	القناعة	٥٠	نوادير بزرجمهر حكيم الفرس
١٠٧	العدل	٥٢	حكم شاتاق الهندى
١٠٩	الكرم	٥٤	اشعار حكمية
١١٠	الوفاء الراي والمشورة	٦٢	الباب الخامس في الامثال
١١٣	الحسد	٦٢	فصل من نوادر كلام العرب
١١٤	حفظ اللسان وكتان السر	٦٣	نبد من كلام الزمخشري والبستي
١١٧	الغيبة		
١١٩	الصدق والكذب		

وجه	وجه
١٨٢	المزاج
الباب الثاني عشر في الانغاز	١٢٠
١٨٧	الصدقة وخلوص المودة
الباب الثالث عشر في الوصف	١٢١
١٩٤	المطل في الرود التواضع والكبر
١٩٤	١٢٧
ابن الزبيري ومعاوية	الباب الثامن في الذكاء والادب
١٩٥	١٢٩
المصور ومحمد بن جعفر	١٣٣
١٩٦	١٣٨
عمر بن الخطاب والهجوز	في العقل وماهية وشرفه
٢٠٠	١٤١
معاوية والزرقاء	في العلم وشرفه
٢٠٣	١٤٢
كريمان حصلا على الامارة بكرها	وصف الكتاب
٢٠٨	١٤٤
يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك	في البيان والبلاغة والفصاحة
٢٠٩	١٤٧
احسان كريم الى من قتل اباها	في الشعر
٢١١	١٥٠
جود من بن زائدة	١٥٠
٢١٢	١٥١
ابراهيم الموصلي والمهدي	١٥٢
٢١٤	١٥٣
المرأة المتظلة وابن المأمون	١٥٤
٢١٥	١٥٥
المرأة الكريمة	١٥٦
٢١٨	١٦٠
الاعرابي ومالك بن طوق	١٦٢
٢١٩	١٦٤
الخارجي والمعتصم	١٦٦
٢٢٠	١٦٧
قصة رجل اجار رجلاً استناب به	١٧٦
٢٢٥	١٨١
الباب الخامس عشر في الفكاهات	١٨١
٢٢٥	
سيد العرب ابن المغازلي عند المعتضد	
٢٢٨	
ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي عند الرشيد	
٢٣٠	
ثعلب وظريف	
٢٣١	
سنان بن ثابت والطبيب القروي	
٢٣٢	
حذاء ابي القاسم الطنبوري	
٢٣٥	
الباب السادس عشر في النوادر	
٢٣٥	
ابن مقلة والواشي	

وجه	وجه
٢٨٧	معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ
٢٨٨	مشهد الحسين
٢٩٠	مروءة اسماعيل العزرجي
	جود حام الطائي
٢٩١	إيثار ابن مامة الايادي
	صنم سومة
الباب العشرون في تاريخ العرب ٢٩١	الباب السابع عشر في الاسفار ٢٩٢
٢٩١	مدح السفر
٢٩٢	ذم السفر
	سفرة ابن جبيل الى جزيرة صقلية ٢٩٦
٢٩٢	البحار عرب العاربة والابانة ٢٩٢
٢٩٦	العرب المتعربة بنو قحطان ٢٩٦
٢٩٦	ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان ٢٩٦
٢٩٥	سد مأرب وقرع بني سبا ٢٩٥
٢٩٦	ملك التابعة بني حمير في اليمن ٢٩٦
٢٩٦	ملك شداد وتبع وافريقس وذو الازمار ٢٩٦
٢٩٧	ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش ٢٩٧
٢٩٩	ذو نواس وشهداء النصرانية في نجران ٢٩٩
٣٠١	استيلاء الحبشة على ملك اليمن ٣٠١
٣٠٢	اخبار سيف بن ذي يزن ٣٠٢
٣٠٦	ملك المناذرة بني كهلان في العراق ٣٠٦
٣٠٦	ملك بن فهم وجذعة الابرش وابن عدي ٣٠٦
٣٠٦	امرؤ القيس البدء والمهرق والنعمان ٣٠٦
٣٠٨	المنذر والنعمان والاسود وامرؤ القيس ٣٠٨
٣٠٨	ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس ٣٠٨
٣٠٩	خبر قصر النعمان ٣٠٩
٣١٢	القساسة ملوك الشام بنو كهلان ٣١٢
٣١٣	ملوك كندة ٣١٣
٣١٤	ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل ٣١٤
٣١٦	ملحق بتاريخ العرب ٣١٦
٣١٦	اديان العرب ٣١٦
٣١٧	علوم العرب وآدابهم ٣١٧

 Библиотека Александрина



0380022